مجلة
الشؤون الاجتماعية

تصدر شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

كل ما يتعلق بالنشر والاشتراك يرسل باسم مدير التحرير مباشرة
قيمة الاشتراك فى اثنى عشر عددا ... ... ١٥ قرشا

ليس للمجلة وكلاء ولا محصلون

رئيس التحرير : حسن الشريف
إدارة المجلة : بديوان وزارة الشؤون الاجتماعية ، تليفون ٨٥٣١٢

فهرس مواد العدد

الموضوع

الموضوع		صفحة
مهمة المصلح الاجتماعى فى مصر	أحمد لطفى السيد باشا	٥
الأسرة المصرية تتحدر الى الهاوية	على جمال الدين باشا	١٠
توجيه التعليم فى مصر	الدكتور عبد الرازق السنهورى بك	١٤
تعاون الحكومة والشعب	محمد عبد الخالق حسونه بك	١٩
رق الأسرة المسلمة	صالح عنان باشا	٣١
الخمور فى الولايات المتحدة		٣٤
جموح المادية	الدكتور منصور فهمى بك	٣٧
العلم والشؤون الاجتماعية	الدكتور على مصطفى مشرفة بك	٤١
كيف نحبب العمل الى الصبيان		٤٦
الشؤون الاجتماعية والشؤون الاقتصادية	محمد صلاح الدين بك	٤٩
مشكلة الفقر فى مصر	الأستاذ عبد المجيد نافع	٥٤
آبة العار	الأستاذ فؤاد بليبل	٥٩
قوى معطلة	الأستاذ ابراهيم الملبان	٦١
المرأة والأسرة		٦٥
الشؤون الاجتماعية	الأستاذ حسين رمزى بك	٦٨
العقول المهملة		٧٣
الخدمات الاجتماعية وما ترمى اليه	الدكتورة نعيمة الأيوبى	٧٧
تعليم البنات فى مصر		٨٠
سمات الديموقراطية الأمريكية	الأستاذ سلامه موسى	٨٣
أثر الثقافة والفلسفة فى المجتمع العصرى		٨٦
صيدلية المنزل	الدكتور حسين أمين	٨٩
كيف نربى أنفسنا		٩٤
الأمراض الوبائية	وزارة الصحة	٩٧
أزمة المتعطلين وكيف تعالج	الأستاذ س م	١٠٣
الأمن العام فى السنة الماضية		١٠٦
التحالف الثلاثى بين الفقر والجهل والمرض		١١١
متفرقات اجتماعية		١١٣

مجلة الشؤون الاجتماعية

فى عامها الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم ونحمده على حسن توفيقه تفتتح مجلة الشؤون الاجتماعية عامها الثانى بعد أن ودعت عامها الأول ، شاكرة ذلك المدد الكريم الذى نالته من أقلام الكتاب والمفكرين ، مغتبطة بما استقبلت من طلائع النجاح ، طامعة فى المزيد .

ولقد حرصت هذه المجلة فى كل أعدادها السابقة على أن تقدم لقرائها ألوانا مختلفات من البحث والتفكير ، حتى ليجد فيها كل قارئ ما يرضى ثقافته ويشبع رغبته ، وجعلت نصب عينيها أن تحمل الجمهور المصرى على قراءة البحوث المفيدة معروضة عليه فى قالب مقبول ، فتصرفه بذلك عن أنواع من المطالعات لا متعة فيها للعقل ولا خير للخلق والذوق . فاذا كانت قد نجحت فى هذا حقا ، فانها تكون قد قامت بخدمة عامة تضاف الى خدماتها فى نشر الثقافة الاجتماعية وتقويم المبادئ الخلقية وتهذيب الذوق العام فى هذه البلاد .

ونحن نقدر تمام التقدير ما لاحظه بعض القراء من أن مجلة الشؤون الاجتماعية تكاد تبلغ بوقارها حدود التزمت ، ونعلم أن قليلا من المرح قد يلطف من توقرها وأن شيئا من التوابل الأدبية قد يخفف من دسمها . ولكنا نحب أن يعلم قراؤنا أن هذه المجلة قد تخصصت للإرشاد الاجتماعى فيجب أن تعمل فى دائرته مهما كانت ضيقة وأن لا تتعداها الى البحوث التاريخية والعلمية والسياسية حتى لا يختلط غرضها بأغراض المجلات الأخرى التى تعالج هذه البحوث .

على أن التزامنا حدود تلك الدائرة لا يمنعنا من فسح مكان للتاريخ أو للقصص أو للشعر أو الفكاهة ، ما دام فى وسعنا أن نجد أو نوجد صلة بينها و بين مهمتنا الأصلية وهى الإرشاد الاجتماعى . وكثيرا ما رأى القراء بين الحين والحين ، وفى خلال البحوث الاجتماعية ، عرضا

تاريخيا يحمل عظة نافعة أو مثلا عاليا ، وحكاية تتضمن إيحاء خفيا أو واضحا ، وقصيدة محكمة النسج سامية الغرض ، أو صورة فكهة من صور حياتنا العامة ، كل ذلك نعرضه دون هبوط فى المرامى أو تبذل فى الألفاظ . وفى نيتنا أن نزيد قراءنا من هذه الألوان جهد الإمكان .

ولقد تساءل بعض الذين يطيب لهم أن يروا عيبا فى كل شىء : ما الذى تستطيع هذه المجلة أن تفيد به الفلاح والعامل ما دامت لا تصل إليهما ؟ والجواب على ذلك يعرفه كل من يعرف أن العامل والفلاح لا يقرآن وأن لا سبيل لنا الى الاتصال بهما الا من طريق المسئولين عنهما من أصحاب الأعمال وأعيان الريف وعمد البلاد والشباب المثقف والموظفين بالأقاليم ، وهؤلاء هم الذين نخاطبهم ونوحى إليهم ما ينشرون به النور والصحة والرقى فى هاتين الطبقتين.

والقائمون بأمر هذه المجلة يرون فى وفرة الإقبال عليها والسعى فى طلبها ، سواء من الأفراد أو من مختلف الهيئات الثقافية والاجتماعية ، أوضح دليل على أن الفطر المصرية سليمة والغرائز صالحة ، وأنصع برهان على فساد الزعم القائل بأن الجمهور القارئ فى مصر ميال بطبعه الى الهزل والتهريج .

إنما يقبل سواد جمهورنا على الغث من المطالعات لأن السمين منها بعيد عن متناول قواه العقلية أو بعيد عن متناول قواه المالية . فاذا استطعنا أن نوفر له مطالعات لطيفة تهذب ذوقه وتغذى عقله دون أن ترهق طاقته فى الفهم والمال ، فاننا لا شك واصلون الى الغرض من أقوم طريق .

وبعد فلسنا نريد أن نكيل لقراءنا الوعود جزافا ولا أن نمنيهم بما لا نقدر عليه . وحسبهم منا عهد نقطعه على أنفسنا ان نتقن عملنا ما استطعنا الاتقان والله المعين .

مُهِمَّة المِصْلح الإجتماعِيّ

فى مصر

لحضرة صاحب السعادة أحمد لطفى السيد باشا

مدير جامعة فؤاد الأول والعضو بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

وزارة الشؤون الاجتماعية تفضلت فدعتنى لأن أتحدث فى "مهمة المصلح الاجتماعى". ولئن رأى البعض — كما قد قيل لى — أن هذا الموضوع أجف من أن يكون حديثا ممتعا يرغب فى قراءته أو فى الاستماع له ، فان شأنى فى ذلك شأن كل فرد يجب عليه أن يعاون الحكومة فى عملها وعلى الخصوص إذا كان يتعلق بالإصلاح الاجتماعى .

إنما يتحقق الإصلاح الاجتماعى بحركة فاعلة من جانب الحكومة بسلطتيها التشريعية والتنفيذية ، وقبول حسن وتعاون من جانب المحكومين . ومن المحال أن يتحقق إصلاح اجتماعى إلا إذا تحقق هذا التعاون من الجانبين . ومع ذلك فان هذا المعنى لاينبغى أن يستدرجنا إلى الظن بأن الإصلاح الاجتماعى ، أو بعبارة أدق التطور الاجتماعى ، خاضع كله لإرادتنا ، بل هو مسير بالقوانين الاجتماعية التى هى ثابتة أو كالثابتة تمشى عليها الظواهر الاجتماعية ، ولا تكون مهمة المصلح الاجتماعى فى مصر إلا مساعدة ذلك التطور وتعجل ثمراته بالقضاء على عوامل الرجعية التى تعتوره وتعيق فى تقدمه ، ويحفظ هذا التطور من أن تتطرق اليه مذاهب الاشتراكية التى تفضى فى مجموعها إلى نوع من أنواع الاستعباد .

غرض الإصلاح الاجتماعى هو إذن معالجة الحال الأخلاقية والمعيشية التى نشكو منها ، لأجل الوصول الى حال مرضية ينعم الفرد فيها بحريته وكرامته وتسترد الأمة ما فقدت من قوة فى روحها القومى تحت حكم الأجنبى أزمانا طوالا .

واذا كانت مهمة الإصلاح تقع على وزراء الحكومة ومعاونيهم وعلى زعماء الأحزاب السياسية والشيوخ والنواب ، كان من الطبيعى أن يأخذ هؤلاء أنفسهم بادئ الأمر برعاية الفضائل الاجتماعية فى جميع تصرفاتهم العامة والخاصة ليستطيع أفراد الشعب الوثوق بقادته ومعاونتهم على الإصلاح الذى نكرر أنه لا يستطيع مؤازرة التطور الاجتماعى إلا بحسن تصرف قدة الرأى العام وثقة الأفراد .

لست بحاجة إلى أن أقول إن الإصلاح الاجتماعى لايتم فى عام أو فى عشرة أعوام فلا محل للنظر الى مشروعاته بعين اليأس . وعلى كل جيل أن يحمل من عبئه ما يستطيع .

كما أنى لست محتاجا الى أن أبين للمصلح الاجتماعى فى مصر الأضرار التى لحقت بنواحى روح الشعب من جراء الاستبداد الأجنبي . بل حسبى أن ألفت النظر الى أن روح الشعب لا يزال جوهره سليما ، وما زالت خواصه الجنسية التى علا بها الأمم فى زمانه القديم باقية فيه ، وما زال قادرا على أن يجعل الأجانب الذين توحوا اليه واختلطوا به على سبيل القرار يتمثلون فى بنيته فألفوا و إياه شعبا جديدا مستعدا لإحراز ضروب المجد جميعها . وما زالت دائرة المشابهات بين أفراده تتسع شيئا وشيئا ، ودائرة الفروق بينهم تضيق شيئا فشيئا .

هذا الشعب بوطنه المحدود بالحدود الطبيعية و بجنسه الخالى و بلغته الموحدة و بعقائده الموحدة أو المتقاربة ، أهل لأن يرقى أعلى درجات التطور الاجتماعى متى قدر له أن يسلم زمنا ما من تسلط القوة العاشمة الأجنبية التى أودت باستقلاله فى غابر الأزمان .

وقبل أن أتحدث عن الظواهر الاجتماعية التى يستطيع المصلح الاجتماعى أن يساعد على تطورها أرى أن ألفت النظر الى قاعدة اجتماعية أساسية وهى :

أهم ما يجب على من يعمل لسعادة الأمة أن يخلق حالة عقلية بها يكون المرء سعيدا . و إلا فالجمعية صائرة الى الاضمحلال . ومن المحال أن تحصل النفس الانسانية سعادتها من الأشياء الخارجة عنها . وإذاً فلا سعادة لها إلا بالإيمان بالله واليوم الاخر .

والمهمة الأولى للمصلح الاجتماعى أن يتذرع بجميع الوسائل للمحافظة على العقائد الدينية فى نفوس الأفراد . ولقد يعلمنا التاريخ الاجتماعى أن العقائد الدينية لكل أمة كانت العامل الوحيد الذى له الأثر السريع فى خلقها ، كما يعلمنا أن التاريخ السياسى والفنى والأدبى لكل أمة هو وليد عقائدها . وليس على المصلح الاجتماعى فى هذا الباب كبير عناء بل حسبه أن يحافظ على عقائد الأمة و يتوسل لتنميتها . وبذلك يعيد للأمة قوة خلقها و يوفر لها سعادتها ، فان الأمم لا تؤتى من ناحية ذكائها ولكنها يضمحل روحها القومى و ينفك تضامنها متى فقدت خلقها أو بعبارة أخرى متى قل إيمانها .

بعد ذلك أتحدث عن مهمة المصلح الاجتماعى فى تطور الظواهر الاجتماعية الأخرى : الحكومة ، العائلة ، اللغة ، الانتاج ، المدرسة ، الجيش .

١ — الحكومة :

أما حكومتنا فدستورية حرص دستورها على حريات الأفراد فقصّلها وألح فى احترامها وتجنبها طغيان الإسراف فى مقتضيات المنفعة العامة ، وقسم فيها السلطات على وجه مرض .

أجل ، الحكومة ديموقراطية ، ولكن هل يحس الناس هذه الديموقراطية وآثارها فى معاملاتهم وفى علاقاتهم بالحكام ؟ الواقع أنه لا يكفى أن يصدر الدستور مؤسسا على المبادئ الديموقراطية

حتى يصبح الناس كذلك فى معاملاتهم . بل هذا التطور محتاج الى زمان طويل أو قصير على حسب العوامل التى تعيق سيره أو العوامل التى تعجل تحقيق آثاره. فمهمة المصلح الاجتماعى ، أو بعبارة أخرى مهمة المسئولين عن البلاد، أن يقضوا على الأولى وأن يشجعوا العوامل الأخرى. على أن الحكومة الدستورية لاتزال فى بدايتها تخطو وتتعثر فى بعض الأحيان فى خطواتها ، شأن المبتدئ فى كل شيء .

ومع أن المنطق يقضى بأن يكون هذا النظام الدستورى هو وحده الحقيق ببنى آدم و بأنه التطور الاجتماعى الذى انتقل به السلطان من يد الفرد الى يد الأمة ، فان بعض الأفراد عندنا يتبرمون بهذه الحكومة النيابية لأوهى الأسباب . كأنما كانوا يريدون أن تولد الحكومة النيابية كاملة وأن تؤتيهم من الخير فى الحكم ما تؤتيه حكومة رسخت المبادئ الدستورية فى نفوس أفرادها زمانا طويلا . والواقع أن الحكومة النيابية اذا طلبها أى شعب عريق فى الاستقلال استنكافا عن حكم الاستبداد أوطمعا فى سعادة لا تحققها له حكومة الفرد ، فاننا بعد الاستبداد الطويل الأجنبى إنما نريد الحكومة النيابية أولا و بالذات سلما نرقى به إلى حرية الفرد وتنقية ما علق بروح الشعب من آثار الظالمية الأجنبية . وعلى ذلك فالحكومة النيابية هى فى بلادنا خير أداة فى يد المصلح الاجتماعى يستعين بها على الإصلاح الذى نكرر أنه لا يتم فى بلادنا على الوجه المرغوب إلا بالتعاون الصادق بين الحكومة و بين المحكومين . وعلى ذلك فليست الحكومة النيابية عندنا رخرفا ، و إنما هى العامل الأكبر لتنظيف النفوس مما علق بها من طبائع الاستبداد الأجنبى الطويل .

إذن فشكل حكومتنا موجب للرضى لا نسأل المصلح الاجتماعى شيئا كبيرا فيه ، ولكننا نسأله أن يجعل الروح الدستورية والمبادئ الديموقراطية تمشى فى جميع أعمال الحكومة وتتم عليها معاملة الحكام للمحكومين وأن يعمم اللامركزية فى جميع فروع الإدارات .

من مهمة المصلح الاجتماعى الذى يريد أفراد الأمة على أن يعاونوه فى إصلاحه ، سعداء بحريتهم الموفورة، معتدين بشخصياتهم المحترمة ، مغتبطين بقوميتهم، ألا يتكل فى إصلاحه على التشريع الاجتماعى بل هو يستغل نفوذه فى تعديل العادات و يستغل ثقة المحكومين به فى إدخال المشروعات الاجتماعية والتمويد عليها من غير حاجة الى تشريع ، ولا يلجأ الى التشريع إلا إذا كان تشريعه ضروريا ونافعا وسهل الاحتمال على الناس بأدنى مشقة .

إن أفراد أمتنا بحاجة إلى أن يوسع فى دائرة حريتهم الشخصية. فمهما كانت فائدة القانون الاجتماعى الذى يأتى قسرا فإن ضرره على الحرية الشخصية عندنا هو دائما أكبر من نفعه . وأن ميل الحاكمين لسوق الأفراد بسوط التشريع فى الصغيرة و فى الكبيرة ، بحاجة ومن غير حاجة، هو ميل من الميول الاشتراكية ينبغى أن يصون المصلح الاجتماعى حرياتنا من عقباه .

ومن مهمة المصلح الاجتماعى أن يتدرع بالوسائل التى فى حيازته لتنمية نشاط الأفراد فى المسائل العامة فينمى بذلك شخصيتهم و يعودهم على احتمال المسئولية عن بلادهم وعن مرافقها العامة ، وذلك بأن تتدرج الحكومة بالشعب شيئا فشيئا الى احتمال المسئولية عن كثير من المرافق حتى لا يبقى فى يدها منها إلا ما لا يستطيع الأفراد القيام به .

أخص مهمات الحكومة أن تحفظ أمن البلاد من الخارج بالجيش البرى والبحرى والهوائى ، وأمن البلاد فى الداخل بالبوليس والقضاء وما يستتبعه كل ذلك من الإدارات . وما بقى من المرافق يجب أن تنزل عنه بالزمان إلى نشاط الأفراد والمجاميع ومسئولياتهم . ذلك قد يكون هو المثل الأعلى ولكن لم يدرك بعد فى البلاد المتقدمة طبنا ، فنحن بالضرورة أولى بالتواضع فى تحميل الأفراد فوق طاقتهم من المسئوليات . ولكننا على كل حال لا نظن أن الأفراد يرهقهم بعض هذه المرافق وبخاصة بعد أن يتم من الإصلاح الاجتماعى . ولكن من هنا إلى هناك ، هل من الضرورى أن تكون الحكومة مالكا يستغل ملكه ، ومزارعا يزرع أراضى مصلحة الأملاك الأميرية ؟ أليس يقتضى الإصلاح الاجتماعى أن تنزل الحكومة عن ما تملك من الأراضى الزراعية للفلاحين يزرعونها ؟ هذا مثل من الأمثلة ينبغى أن يجعله المصلح الاجتماعى فى مقدمة برنامجه للإصلاح هو وأمثاله من المرافق العامة التى تستطيع الأفراد أن تقوم بها ، وعلى ظنى أنها تقوم بها خير قيام . إن الحكومة الدستورية للحكم لا للاستغلال ، فان استطاعت أن تجعل التعليم وكثيرا من المرافق فى يد هيئات مستقلة تحت مراقبة الحكومة بالضرورة كان ذلك متمشيا مع ما تطلبه إلى الأفراد من النشاط واحتمال المسئولية وحب المعاونة على الإصلاح .

كذلك من مهمة المصلح الاجتماعى ، أو بعبارة أخرى الحكومة ، أن تقضى على هذه العادة الموروثة عن حكومات الاستبداد العتيقة والتى كان الحكم فيها لمنفعة الحاكم أولا وبالذات ولمنفعة المحكومين ثانيا وبالعرض . تلك عادة الترجى أو عادة المحسوبية التى لا زالت فاشية حتى ليجيئك صاحب الحاجة يستفتح كلامه بتقرير قاعدة كأنها بعض التقاليد القومية ، تلك القاعدة هى أنه لاشىء يتم فى هذا البلد إلا بالترجى والمحسوبية . قد يكون أرباب الحاجات فى تصريحاتهم مغالين بعض المغالاة . ولكن القدر المتيقن هو أن هذا المعنى قد رسخ فى نفوس الناس بحيث يرجون من كل وزير وكل رئيس مصلحة أن يخالف القانون أو قواعد الإنصاف . فعلى الحكومة — مادامت تريد الإصلاح الاجتماعى — أن تقضى على هذا العرف المفسد فتضع قانون التوظف فى الحكومة على قاعدة ثابتة كالامتحان للوظائف العامة ، وبهذه الوسيلة ينتظم عملها من ناحية ، ومن ناحية أخرى تكسب ثقة المحكومين فى نزاهتها . وهذه الثقة كما قلنا أهم علة لمعاونة المحكومين إياها على كل إصلاح اجتماعى تحاوله .

وهنا معنى آخر أحاول أن أخفف وقعه على القراء بقدر ما أستطيع . ذلك هو ما يسمونه فى الدوائر الحكومية " هيبة الموظف وهيبة الوظيفة " وهـذا المعنى يمهـد للحكام شيئا من الاعتقاد بأنهم طبقة عليا والمحكومين طبقة دنيـا ، وذلك كثيرا ما يظهر من ناحيتهم أثره السيئ فى معاملتهم للناس ، وكثيرا مايظهر أثره من ناحية المحكومين وعلى الخصوص من أهل القرى أنهم لا يأمنون للحكام ولا يعاونونهم عن طيب خاطر . فمن مهمة المصلح الاجتماعى الذى هو محتاج كل الحاجة لثقة المحكومين به ومعاونتهم إياه أن يقضى على هذا المعنى فى دوائر الحكومة فان الأفراد فى الحكومة الديموقراطية يجب أن لا يخضعوا إلا للقـانون . ينبغى أن لا تستمد هيبة الموظف من وظيفته بل من شخصيته التى لاتنفك عنه إذا انفكت عنه الوظيفة ، وألا تكون هـذه الهيبة داعيا إلى الإغضاء عن هفوات الموظف احتراما لوظيفته ، فان هذا المعنى إن كان له محل فى حكومة الفرد فليس له معنى فى الحكومة الدستورية التى يجب أن يفهم أنها قائمة لمنفعة المحكومين لا لمنفعة الحاكمين .

وسأتحدث بعد ذلك عن مهمة المصلح الاجتماعى فى بقية الظواهر الاجتماعية .

أحمد لطفى السيد

من حكم الإمام

كتب أمير المؤمنين على بن أبى طالب ينصح الأشتر النخعى عامله على مصر . قال :

اللهَ اللهَ فى الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البُؤسى والزَّمْنَى (١) . فان فى هذه الطبقة قانعا ومعتَرًّا (٢) فاحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من صوافى الإسلام فى كل بلد ، فان للأقصى منهم مثل مالأدنى . ولا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم . وتفقَّدْ أمور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال .

---

(١) الزَّمْنَى : جمع زمن وهو المصاب بعاهة تمنعه عن الاكتساب .

(٢) القانع أى السائل الذى يسأل الناس . والمعتَرّ : الفقير الذى لا يسأل ولكنه يقبل العطاء .

الأسرة المصرية

تنحدر الى الهاوية

لحضرة صاحب السعادة على جمال الدين باشا

لشد ما أجزع ويتولانى الخوف على الأسرة المصرية ومستقبلها حين أرى نساءنا وبناتنا منحدرات فى طريق الاستهتار ، منصرفات عن مملكة البيت إلى عبث يحسبنه رقيا ومدنية وإدراكا لشأن المرأة الأوروبية ، وما هو فى الحقيقة إلا تقليد ساذج كتقليد القردة لا روية فيه ولا بصيرة . وأدهى من ذلك وأنكى أننا ، نحن آباءهن وأزواجهن واخوتهن ، نساق معهن فى هذا التيار الوبيل لا يثنينا عنه حزم الرجولة ولا إرادة أولى القوام .

دعنى من بيوت الفقراء ، فليس لدى نسائها ورجالها ما يسمح بهذا العبث . ودعنى أيضا من بيوت الريف ، فلسأوها حتى اليوم فى شبه عصمة من هذا التلف ، بما درجن عليه من أصول صالحة وتقاليد مرعية ، وبما فى طبيعة الحياة الريفية نفسها من بعد عن لهو المدينة وقصفها .

ولست بغافل عن أن دبيب المدنية الزائفة أخذ يدب إلى بعض بيوت القرى الكبيرة والمدن الصغيرة ، ولكنى لا أراه قد بلغ المدى الذى يدعو إلى الخوف أو الجزع ، وأظن أن استئصاله ممكن إذا عرفنا كيف نكافح التيار الجارف الذى يجتاح بيوت المدينة ، ذلك التيار الفاجر الذى اتخذ فى بعض الصحف والمجلات خلال هذه السنوات الأخيرة أسماء عجيبة مضحكة ، كقولهم : حياة " الهاى لايف " و " الأوساط الراقية " و " الأرستقراطية المصرية " وغير ذلك مما يدل على عدم فهم المعانى التى وضعت لها هذه الكلمات .

سمت نساؤنا بحفلات استقبال يقيمها الغربيون فى بيوتهم أو حضرن بعضها ، فاستهوتهن هذه البدعة حتى أنستهن ما بيننا وبين الغربيين من اختلاف فى الأديان والتقاليد والآداب والأسس الاجتماعية ، وصرنا نرى فى الصحف والمجلات المصورة أخبارا وصورا لحفلات استقبال ، وحفلات كوكتيل ، وجاردن بارتى "Garden Party" تقام فى بيوت أولئك الذين يسمون أنفسهم أو يسميهم الناس "الطبقة الراقية" . وهذه الحفلات تجمع الرجال والشبان والنساء والعذارى وتحكم بينهم صلة التعرف وتمهد لهم وسيلة التودد والتقرب والتمازج ، كل هذا بالجنس اللطيف فى أبدع زينة وأشف ثياب ، وهذه الفتاة تتبارى مع أترابها فى صنع مزيج الكوكتيل ، وهذه الأخرى تتولى تقديمه الى الأضياف والأصدقاء ، ثم ينهض البعض إلى الرقص فتنعقد الأيدى بالأيدى وتنطوى الأذرع على الخصور وتتقارب الصدور

من النحور وتلعب بالرءوس صنوف الخمور وروائح المساحيق والعطور ، ويرى الوالد هذا الشاب يسر فى أذن ابنته كلمات فيحمر وجهها وتبتسم ابتسامة الرضا الخجي أو الاستسلام المجبول ، ويرى ذلك الزوج زوجته وقد اختلى بها أحد المدعوين فى ركن من أركان البهو يقول لها وتقول له مالا يعلمه إلا علام الغيوب . ولعمرى فيم يكون الاستحياء بعد أن زالت الحجب وتلاصقت الأجسام وتهامست الشفاه وسهل التناجى وأبيح التلميح والتصريح ، وبعد أن صارت رحلة الغرام الطويلة التى أجملها شوقى حين قال :

نظرة ، فابتسامة ، فسلام فكلام ، فموعد ، فلقاء

تلك الرحلة التى كانت فيما مضى تستغرق الأعوام أو الشهور ، صارت تقطع كلها فيما بين بداية السهرة ونهايتها ، لأن مدنية العصر قد اختصرت الأبعاد وأزالت الفوارق وزللت العقبات ؟

إنى — وأنا أحد المحضرمين الذين حضروا العهدين وعرفوا أخلاق الجيلين — أقرر أن انتقالنا من التقييد القديم إلى التحرر الجديد قد جاء طفرة لا تدرجا وانقلابا لا تصورا . فلا زلت أذكر كيف كان من أعيب العيب فيما مضى أن تطل سيدة من نافذة أو أن يرى الناس وجهها أو شيئا من جسمها . ولا أزال أذكر أننا إلى عهد قريب كنا نرى الدم يعلى فى عروق الرجال ، وغريزة الانتقام تتحرك فى نفوسهم ، إذا علموا أن اسم واحدة من نساء الأسرة قد ذكر فى مجلس أو رأوه مطبوعا على صفحة جريدة ، وأنهم كانوا يرون فى ذلك انتهاكا للحدود وإيذاء للعرض وتهجما على الشرف .

لست أحمد هذا الغلو فى التقييد ولا هذه المبالغة فى الحذر ، ولكنى أسائل نفسى : ماذا جرى ؟ وكيف بردت هذه الحمية الحامية وتراخت هذه الرجولة المتأججة حتى صارت النساء والعذارى يسعين إلى مصورى الصحف ومندوبى المجلات كى ينشروا صورهن وأخبار حفلاتهن ، وصار الآباء والأزواج والإخوة والأبناء يهللون لهن هذا المطلب ويسرون عندما يرون صورا لزوجاتهم أو بناتهم أو أخواتهم وهن عاريات النحور والسواعد والظهور يشربن الخمر ويقدمنها للغير ويراقصن الأجنبى فى عير ما تورع ولا استحياء ؟ بل أسائل نفسى كيف فترت الغيرة ورخص الشرف وهان العرض حتى لترى الزوج يبتسم لبنته أو الأخ لشقيقته وهو يراها تروح وتغدو متهادية على الشاطئ فى لباس هو العرى بعينه ، بل لعله أشد وقاحة من العرى ، إذ هو يعين من أجزاء الجسم ويهدف من أسراره ما لو كان عاريا لما تعين واستهدف ؟

كم وددت لو استطعنا أن نقف بين قيود الماضى وإباحة الحاضر وقفة حكيمة وأن نتخذ سبيلا وسطا بين جمود " المحافظين " وتطرف " المجددين " .

* * *

والخمر ، ما خطبها ؟ وما مصيرنا إذا فشت فى النساء ونحن ننهى عنها الرجال ؟

إن حياة الأسرة لتفسد إذا أدمن ربها الخمر ، فكيف تكون الحال إذا أدمنتها ربتها أيضا ؟ وكيف لا تنتقل العدوى إلى البنين والبنات ؟ وأية ميزانية للبيت تنتظم ، وأية نشأة ضالة ينشأها الأولاد ، وأى انحلال وتمزق يصيبان الجيل القادم ويمتدان إلى ما بعده من الأجيال ؟

والقمار ؟ ألا نرى أن ألعاب البوكر والبريدج والكونكان قد فشت فى كثير من بيوت " الطبقة الراقية " وأخذت تتحدر منها إلى بيوت الطبقة الوسطى ؟ اللهم إن هذا فتك آخر بالثروات وبالميزانيات ، ونكبة أخرى على الأخلاق والآداب ، وداء جديد يتغلغل فى جسم الأسرة المصرية وينضم إلى غيره من الأدواء ، فرحماك يارب رحماك !

رضينا بتردد النساء والبنات على دور السينما ، وقلنا لعل هناك بجانب المفاسد والمغريات والاستهواءات دروسا خلقية نافعة وعظات اجتماعية صالحة ، وأقنعنا أنفسنا بأن فى المرئيات المسلية والمشاهد الواعظة عبرا وإيحاءات تعزينا بعض العزاء عن مناظر الحب والفسق والخطف والابتذال ، ثم أدخلنا فى روعنا أنه ما دامت الأخلاق مصونة فى " البيت " فلا خطر من السينما أو أن الخطر هين لا يستحق حربا ولا مكافحة .

وسكتنا على مضض عن خوض نسائنا وبناتنا فى ماهو من شأن الرجال وفى ما لم تدع الحاجة بعد إلى معاونتهن للرجال فيه ، وتركنا الأستاذة المحامية تقضى اليوم فى مكتبها ، والطبيبة الطاسية تنهض من فراشها إلى عيادتها ، والفقيهة المعلمة تنشط إلى تلاميذها ودروسها ، وقلنا هذه مسألة لم تزل الآراء مختلفة عليها ولا بأس من الصبر حتى يتبين وجه الصواب فيها .

وشكونا من التبرج الجرئ على شواطئ البحر ومن عرض الجمال عرضا رخيصا فى ثياب شفافة نمامة ناجرة ومشية متخلعة متثنية تثير الغرائز وتنبه الشهوات ، ومنينا النفس بأن يكون فى مناشدة الآباء والأزواج واستثارة غيرتهم ما يخفف من هذا المصاب ، ولا يزال الأمل قويا إذا واظب المصلحون على هذه المناشدة والاستثارة فى أن يكون فى الإمكان تدارك ما كان ، أو حمل الحكومة على التدخل بقوتها وقوانينها لتدفع عن الأسرة المصرية هذا الشر المستطير .

على أن تلك كلها عيوب ومفاسد معروضة فى الطريق بادية للأنظار . أما هذا المصاب الخفى وهو القمار الذى بدأ يتغلغل فى بيوتنا ، فما أحرانا أن نجد فى علاجه قبل أن يستفحل ويستشرى ويستعصى على العلاج !

اذا درجت سيدة البيت على أن تكون داعية الى يوم استقبال فى الأسبوع ، وعلى أن تكون زائرة لصديقاتها فى أيام استقبالهن ثلاث مرات أو أربعا فى نفس الأسبوع ، وعلى أن تتردد على المسرح والسينما ليالى أخرى تتخلل هذه الزيارات والاستقبالات ، فماذا ادخرت من الوقت لتدبير أمور البيت والإشراف على شؤون الأولاد ؟ أتراها تظن أن الأصبوحة القصيرة التى تمضى معظمها فى انتقاء ثياب الأمسية وفى اختيار الأزهار التى تهديها أو تنسقها وفى تذكر أسماء من تدعوهن ومن لا تدعوهن ، وفى مشاركة الطاهى فى إعداد قائمة ألوان الطعام وفى الطواف على المزين والخياطة وبجل الأظافر ، أتراها تظن أن هذه الأصبوحة القصيرة تتسع لكل هذا وللانصراف أيضا الى واجباتها كزوجة وأم وربة بيت ؟ اللهم لا ! وكل ما فى الأمر أنها تترك الى المربيات والخادمات أمور البيت وأمور الأولاد ويا تعس بيت يتولى أمره الخادمات والمربيات !

لقد توسعنا فى تفهم أساليب الحياة الغربيـة حتى سبقنا أصحابها وجددنا فيها وابتكرنا ، ولم نلق بالا إلى أن الأسرة الأوروبية الفاضلة تفرح وتمرح وتلهو وتستقبل وتزور وتزار وتدعو وتدعى ، ولكن فى حدود معقولة لا تؤثر فى مالية البيت ولا فى نظامه ولا فى تنشئة الأولاد وتربيتهم وأخلاقهم . ولقد عمدنا الى تقليد الغربيين فى رذائلهم دون أن نأخذ عنهم الفضائل التى يتحلون بها والتى تهون من شأن تلك الرذائل وتحول بينهم وبين السقوط فى مهاويها ، وهكذا صرنا فى كل ما ننقله عنهم كالقردة نفعل الشىء ولا ندرسه ولا نتفهمه ، وإنما يستهوينا بريقه فنغلو ونسرف ونشتط حتى نقلبه رذيلة وشرا مستطيرا .

والآن لا أملك أكثر من أن أهيب بالأزواج والآباء والأخوة أن يردوا زوجاتهم وبناتهم وأخواتهم عن هذا المنزلق الخطر ، وأن يعودوا بهن الى حفاظنا الإسلامى وأدبنا الشرقى ، أو أن يكونوا بين ذلك قواما .

على جمال الدين

توجيه التعليم فى مصر

لكفاية حاجة البلاد

لحضرة صاحب السعادة الدكتور عبد الرازق السنهورى بك

وكيل وزارة المعارف العمومية

لقد حان الوقت لرسم سياسة رشيدة لتوجيه التعليم فى مصر ، و بخاصة بعد أن تضخم عدد المتعلمين العاطلين ، و بعد أن اكتظت المدارس والمعاهد بمن يقصدها من الطلاب حتى ضاقت بهم ، وأصبحت أزمة التعليم والمتعلمين أزمة ذات وجهين ، نراها عند دخول المتعلمين فى معاهد التعليم ، ونراها عند خروجهم من هذه المعاهد ، فما السبب فى كل هذا الاضطراب ؟

إن هذه المسألة الخطيرة لها تاريخ قديم ، فقد كانت سياسة التعليم ، منذ زمن بعيد ، قائمة على تخريج الموظفين الذين يتولون إدارة شؤون البلاد ، وقد كانت الحاجة اليهم شديدة ، فان الغالبية العظمى من المصريين ، منذ نصف قرن ، كانوا من الأميين ، ولا يزل بعض المعاصرين يذكرون كيف كانت المعاهد العالية فى ذلك الزمن تخرج فى العام ما لا يزيد على عشرة من المتعلمين تتخاطفهم الادارات والمصالح المختلفة أما اليوم فهذه المعاهد ذاتها تقذف بالمئات من المتخرجين كل عام ، ولا يكاد يحظى بالوظيفة منهم إلا اثنان أو ثلاثة ، بعد أن يستنفدوا وسائل الزلفى والتقرب من أولى النفوذ والأمر . فسياسة التعليم للتوظيف كانت إذن سياسة مفهومة معقولة فى ذلك الزمن ، حيث الحاجة شديدة الى الموظف المتعلم ، وحيث المرافق الاقتصادية للبلاد محدودة تكاد تنحصر فى الزراعة الصغيرة والتجارة المحلية الضئيلة الشأن ، وكانت هذه المرافق المحدودة فى أيدى الأميين من الأهالى ، يتسعون لها ولا تضيق بهم .

على أن الحالة فى البلاد لم تلبث أن تطورت من الناحيتين : ناحية الوظائف وناحية المرافق الاقتصادية ، فالوظائف اكتظت بالموظفين حتى أمكن أن يقال إن الحكومة المصرية هى حكومة الموظفين ولم تعد الأداة الحكومية تحتمل مزيدا من الوظائف ، ولا ميزانية الدولة تتسع لهذا الفيض الزاخر من المستوظفين . أما المرافق الاقتصادية فقد تطورت هى الأخرى ، وأصبح الاقتصاد القومى أوسع أفقا من هذا الاقتصاد المحلى الذى كان سائدا من قبل . فهل تطورت سياسة التعليم تبعا لهذا التطور ؟

إذا كانت هـذه السياسة لم تتطور ، فإنه ينبغى لها أن تتطور . ينبغى ألا تقف جامدة وأن تساير حاجة البلاد ، وأن يكون التعليم وثيق الاتصال بالمرافق الاقتصادية . وانى أسمح لنفسى أن أؤكد هذا المبدأ الجوهرى ، وهو أن تكون سياسة التعليم قائمة على مسايرة الحاجات الاقتصادية ، وأن يكون توجيه التعليم بحيث يتمشى مع نمو مرافق البـلاد .

فالمسألة الأولى فى نظرى ليست مسألة التعليم ذاته ، بل مسألة المرافق الاقتصادية . فان البلاد فى أشد الحاجة الى تنمية مواردها . ونحن نعلم ضآلة دخل الفرد فى الأمة المصرية ، فهو لا يتجاوز ستة من الجنيهات فى العام ، بينما يبلغ دخل الفرد فى الأمة الانجليزية مائة جنيه ، أى ما يزيد على خمسة عشر ضعفا من دخل الفرد فى الأمة المصرية . وهذه الأرقام وحدها تبين قدر الفاقة والعوز الذى انحدر اليه الجمهور من الشعب المصرى ، وتستحث أولى الأمر فى هذا الشعب أن ينقذوا أفراده من وهدة البؤس والفاقة ، ولا يكون ذلك إلا بتنمية الموارد الاقتصادية للبـلاد فى جميع ميادين النشاط الاقتصادى : فى ميـدان الزراعة حيث يجب استصلاح ملايين الأفـدنة من الأراضى البور واستحداث الوسائل الميكانيكية فى زراعة الأرض ، وفى ميدان التجارة حيث يجب انتقال دفة التجارة المصرية من صادر ووارد الى الأيدى المصرية ، وفى ميدان الصناعة ، وهذا هو الميدان الرئيسى الذى يجب أن تتركز فيه الجهود ، فان مصر تبقى فقيرة مادامت تقتصر على الزراعة ، والواجب أن تقوم فيها الصناعة ، لا الصناعة الزراعية وحدها ، بل هى والصناعة الميكانيكية بعد أن ثبت أن الأراضى المصرية قد حوت من المعادن والقوى الطبيعية ما يصلح أساسا لقيام صناعة قوية فى البلاد .

وفى الوقت الذى تقوم فيه هـذه النهضة الاقتصادية الشاملة ، يجب أن يوجه التعليم توجيها يكون من شأنه أن يخرج المتعلمين مجندين فى هذه الميادين الاقتصادية الجديدة ، فتجد هذه الجيوش المتعطلة من المتعلمين الميادين الاقتصادية التى تعمل فيها ، كل متعلم يعمل لنفسه فيكسب قوته ، ويعمل لوطنه فيعلى شأن البـلاد بالزيادة فى قواها المـادية والاقتصادية . وهنا ندرك أن مسألة التعليم ليست مسألة وزارة المعارف وحدها بل هى أيضا مسألة جميع الوزارات الاقتصادية والاجتماعية فى الحكومة المصرية ، بل هى مسألة الحكومة المصرية فى مجموعها ، ترسم لها سياسة عليا بحيث تتمشى النهضة التعليمية مع النهضة الاقتصادية .

على أن وزارة المعارف عليها واجب خاص فى توجيه التعليم على هذه الأسس الاقتصادية الجديدة . فان ميادين النشاط الاقتصادى فى حاجة الى القادة والجنود وإذا وجب أن يظل القادة قليل العـدد الى جانب الجيوش الزاخرة من الجنود ، فان القائد يجب أن يكون أعلى إدراكا وأوسع تثقيفا من الجندى . لذلك يحسن أن يوجه التعليم بحيث تتحول الكثرة الغالبة من المتعلمين لا الى التعليم الجامعى ، بل الى التعليم الفنى المتوسط ، من مدارس تجارية وزراعية وصناعية ، موجود الآن بعضها و ينبغى استحداث البعض الآخر . ومن هذه المدارس

التى يجب أن تنشر فى جميع البلاد يخرج الجنود فى الميادين الاقتصادية المتنوعة. أما القلة المنتخبة من المتعلمين فهذه هى التى توجه الى التعليم العالى . ويشترط فيمن يوجه الى هذا التعليم أن يكون ذا استعداد كاف لشغل مكان ذى مسئولية فى الحياة الاقتصادية ، فيجب اذن أن يعلو مستواه عن مستوى الأوساط من المتعلمين . وينبغى أن تزداد العناية بالتعليم العالى الفنى ، فكليات الهندسة والزراعة والتجارة والعلوم ينبغى أن تتسع آفاقها ، وتتنوع اتجاهاتها ، وأن يتدفق لها الطلبة الصالحون . فلا نلق بالا الى كثرة العدد وحشد الآلاف من الطلبة فى هذه الكليات ، بل نعنى بوجه خاص بصلاحية الطالب لتلقى التعليم الفنى العالى ، حتى تجد البلاد حاجتها من الفنيين الذين يستطيعون استغلال الثروة المصرية استغلالا كاملا ، وهى ثروة كبيرة متنوعة ، لا ينقصها الا رؤوس الأموال وإلا رؤوس مدبرة تحسن القيام على استغلالها .

وأعلم أننى إذ أنادى بوجوب قصر التعليم العالى على النخبة الصالحة ، أثير بذلك شكوكا واعتراضات من جانب صديقى الأستاذ الكبير الدكتور طه حسين بك ، فقد نددت فى إحدى المجلات الأسبوعية بالذين " يخدعون أنفسهم أو تخدعهم ظواهر الأمور عن شعورهم الخفى الدقيق بأن الشعب كله لا ينبغى أن يتعلم لأن الشعب كله لا ينبغى أن يمتاز ، ولأن الله قد خلق الناس ورتبهم طبقات وميز بعض هذه الطبقات من بعض ، فلا ينبغى أن نخالف سنة الله ولا أن نخرج عن هذا النظام الطبيعى المألوف " . وذكر الأستاذ الكبير أن " هذا هو الشعور الدقيق الخفى لهذه الطائفة من المفكرين ، ولكنهم يخدعون عنه بألوان أخرى من الشعور ، فهم يحرصون على أن يظل مستوى التعليم مرتفعا ، وهم يحرصون على ألا يضطر المتعلمون إلى البطالة " . وإنى أعوذ بالله أن أكون ممن يرون وجوب خلق طبقات فى المجتمع المصرى لا تقوم على الكفاية الشخصية ، بل تقوم على المال أو الجاه أو الأسرة . فإنى أكره الارستقراطيات جميعا وأومن إيمانا عميقا بالديمقراطية . ولكنى أريدها ديمقراطية منظمة ، تقوم على الكفاية الشخصية أكثر من قيامها على المساواة النظرية . ولا أعنى بقصر التعليم العالى على النخبة الصالحة من المتعلمين أن أنقص من عدد هؤلاء المتعلمين ، أو أن تكون سياسة النقص مقصودة لذاتها . بل ينبغى أن يكون النقص فى العدد وسيلة لا غاية ، ينبغى أن يكون النقص نتيجة لتحرى الدقة فى انتخاب الصالح من المتعلمين ، حتى يكون التعليم العالى مثمرا منتجا . وإلا فإن مصر فى أشد الحاجة إلى رجال فنيين صالحين ، بالغا عددهم من الكثرة ما بلغ . وهى فى حاجة ، لا إلى جامعة واحدة ، بل إلى جامعات متعددة . ولا أظن الأستاذ الكبير يختلف معى فى أنه إذا كان الشعور الديمقراطى الحر يجعل التعليم على اختلاف ألوانه حقا ما لأبناء الشعب جميعا ، ويفرض على الدولة أن تمكّن أبناء الشعب جميعا من حقهم هذا ، فإن الواجب يقضى بتنظيم هذا الحق العام ، فلا يمكّن منه إلا القادر عليه ، ولا تفتح

أبواب التعليم العالى للعاجزين عن الاستفادة من هذا التعليم . وما دامت العبرة فى اختيار النخبة الصالحة التى تتلقى التعليم العالى ليست بالثروة ولا بالجاه ولا بالأسرة ، بل بالاجتهاد والكفاية والقدرة ، فلا خوف إذن على الديمقراطية المصرية من أن يقضى عليها قيام ارستقراطية علمية ، فإن هذه الارستقراطية ، أكثر ما تكون ، عصامية قامت على دعامة قوية من الجد والطموح والنشاط العقلى وسمو الهمة وهى هى التى تشرف الديمقراطية إذ تكون خير ثمراتها . وهى هى التى تقوى الديمقراطية وتغرس مبادئها وتدعم أسسها وتقوم دليلا على صلاحية الحكم الديمقراطى .

هذا هو التوجيه الصحيح فى نظرى للتعليم فى مصر حتى يكفى حاجات البلاد الاقتصادية . ولكنى لا أستطيع وأنا فى صدد التحدث عن حاجات البلاد أن أقتصر على الحاجات الاقتصادية ، فإن لمصر حاجات أخرى ثقافية وفكرية . والدولة المصرية فى عنقها واجبات لجمهور الشعب فى أن تثقفه تثقيفا عاما ، وللخاصة من المتعلمين فى أن تثقفهم تثقيفا إنسانيا عاليا . أما التثقيف العالى فهذه هى مهمة الجامعة . بل هى مهمة الجامعات المتعددة التى يجب أن تنشأ فى مصر . وأعتقد أن جامعة فؤاد الأول تؤدى الآن هذه الرسالة على خير وجه . بفضل الجهود الموفقة التى يبذلها أساتذتها فى كلية الآداب والكليات الأخرى .

بقى التثقيف العام لجمهور الشعب ، وهذه هى مهمة وزارة المعارف ، وهى تقوم بنشر التعليم الإلزامى بين طبقات الشعب . وهى مهمة من أكبر المهمات خطرا وأشدها دقة . فهى تتصل اتصالا وثيقا بالديمقراطية المصرية وبالحالة الاجتماعية فى البلاد . إن وزارة المعارف تكون مقصرة أشد التقصير إذا هى لم تول التعليم الإلزامى عنايتها الكاملة فتحدد أغراضه ، وتنظم وسائله وتتوسع فى نشره . ان الديموقراطية المصرية لا تكون ديموقراطية صحيحة إلا إذا انتشر التعليم بين الجماهير والدهماء ، وإلا فإن الشعب الجاهل الأمى لا يستطيع أن يحكم نفسه على النحو الذى تريده المبادئ الديموقراطية ، كما أن كل إصلاح اجتماعى لا يجد نفعا فى بيئة عشش فيها الجهل واستعصى عليها فهم المعانى السامية التى يرمى إليها الإصلاح الاجتماعى . ومن هنا نرى كيف تتحدد أغراض التعليم الالزامى . فليس الغرض من هذا التعليم هو محو الأمية وحدها بل محو الأمية والجهل معا . وليس الجهل بأقل ضررا من الأمية . بل أن من الأميين من قد يكون مثقفا واسع الفكر فلا تضيره الأمية ، ولكن الجاهل يبقى محدود الأفق مغلق الفهم ولا يجديه نفعا أنه ألم بمبادئ القراءة والكتابة . فالتعليم الإلزامى يجب أن يكون للتثقيف العام . وكل فرد من أفراد الأمة من حقه على الدولة أن تثقفه . وعلى الدولة أن تسترخص فى تحقيق ذلك كل ثمن . وإذا كانت مواردها محدودة وكانت لا تستطيع بهذه الموارد أن تنهض بأعباء التعليم الإلزامى وما يقتضيه من نفقات كثيرة ، فأولى أن ينظر إذن الى المسألة من ناحية أوسع وأن تعالج علاجا قوميا كما عولجت وتعالج المسائل القومية

الحيوية. فإن الدولة لا تستطيع أن تعتذر بقلة الموارد المالية إذا هي توانت في تحقيق وسائل الدفاع الوطني أو هي قصرت في تثبيت دعائم الأمن في البلاد. كذلك لا يجوز أن تعتذر بقلة المال سببا في تحديد التوسع في التعليم الإلزامي. بل إن في عنق الأغنياء من هذه الأمة لفقرائها دينا مفروضا وفي ذمتهم لهؤلاء الفقراء ضريبة استطيع أن أسميها بضريبة التعليم. ولا يجوز أن تبقى الأمة المصرية على هذه الحال من التأخر، ثلاثة أرباعها أميون وأربعة أخماسها جهلة وتسعة أعشارها فقراء معدمون.

وليست وزارة المعارف مطالبة بالتوسع في التعليم الإلزامي فحسب بل هي مطالبة أيضا بترقية هذا النوع من التعليم. ويجب أن نصل في مستقبل غير بعيد إلى اليوم الذي يكون فيه هذا التعليم مقاربا للتعليم الابتدائي والى اليوم الذي يختلط فيه هذان النوعان من التعليم أحدهما بالآخر ويتلقى جميع أبناء الأمة في المرحلة الأولى من التعليم مناهج واحدة وتثقيفا واحدا لا فرق في ذلك بين غني وفقير.

هذه هي الرسالة السامية التي أخذت وزارة المعارف على نفسها أن تؤديها بتوجيه التعليم توجيها صحيحا حتى يكفي جميع حاجات البلاد سواء كانت هذه الحاجات اقتصادية مادية أو كانت ثقافية معنوية. وهي تتعاون في ذلك مع جميع الهيئات الحكومية ومع جميع أفراد الشعب. وترجو أن تتعاون بوجه خاص مع وزارة الشؤون الاجتماعية فانها هي الوزارة التي يعنيها أكثر من غيرها تثقيف الجمهور المصري ورفع مستواه العلمي وتحسين حالته الاجتماعية، كما أرجو أن توفق وزارة الشؤون الاجتماعية الى تنفيذ مشروعها الجليل الخاص بإنشاء المراكز الاجتماعية ونشر هذه المراكز في قرى البلاد. فستتلاقى فيها جهود المربين والمعلمين والأطباء وغيرهم من المصلحين الاجتماعيين ويتعاونون جميعا على تنقية المجتمع المصري من أدران الجهل والفاقة والمرض وعلى بعثه مرة أخرى في ثياب جديدة من العلم واليسار والصحة فيعود الى هذه الأمة العريقة مجدها القديم.

ووزارة المعارف تمد يدها إلى كل هيئة أو فرد يبغي التعاون معها تعاونا صادقا لتحقيق هذه الغايات السامية فتنتشر العلم النافع على أصول صحيحة وتدعم الاقتصاد القومي على أسس قوية وتقيم الديموقراطية المصرية على صروح ثابتة. فاذا اجتمع لمصر العلم والمال والحكم الصالح تبوأت مكانها بين الأمم العظيمة وقامت بنصيبها من خدمة الحضارة وساهمت بقسطها في النهوض بمدنية العالم.

عبد الرازق السنهوري

تعاون الحكومة والشعب

على الاصلاح الاجتماعى فى مصر

لحضرة صاحب السعادة محمد عبد الخالق حسونه بك

وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية

" ألقى حضرة صاحب السعادة محمد عبد الخالق حسونه بك وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية ، فى الثانى والعشرين من نوفمبر الماضى ، بقاعة بيريت بالجامعة الأمريكية ، محاضرة تناول موضوعها مسألة لعلها أهم ما ينبغى أن يتنبه له الحاكمون والمحكومون فى مصر ، وهى مسألة التعاون الدائم الذى يجب أن يقوم بين الحكومة والشعب لتحقيق الإصلاح الاجتماعى فى هذه البلاد . ويسرنا أن ننشرها نص هذه المحاضرة القيمة كاملة لما اشتملته من حقائق ومقررات يؤيدها التاريخ والواقع كما يؤيدها علم الاجتماع " .

"المحرر"

سيداتى ، سادتى :

قبل أن أتحدث الليلة إليكم ، يطيب لى كثيرا أن أتوجه بخالص الشكر إلى حضرات القائمين على الجامعة الأمريكية أن هيأوا لنا هذه الفرصة للبحث فى نواحى الشؤون الاجتماعية ، حتى يتعرف كل منا فى النهاية مركزه من الإصلاح الاجتماعى ويأخذ السبيل اليه . وهو عمل كريم جد مشكور من هذه المؤسسة الأجنبية ، يتفق وما طبع عليه الشعب الأمريكى من العمل المتواصل على رفع مستوى الإنسانية والذود عن تراثها المجيد .

وإنى ليطيب لى كذلك أن أشهد جمعكم هذا فى كثرته وأن آمل كثيرا من الروح الكريمة التى حدت بكم إلى هذه القاعة ، تستمعون إلى حديث فى الشؤون الاجتماعية ، أن كان يهم أبناء الوطن جميعا ، فانه لا يتصل مباشرة بصوالحكم الخاصة .

سيداتى ، سادتى :

موضوع حديثى الليلة هو تعاون الشعب مع الحكومة على الإصلاح الاجتماعى ، والكلام فى هذا الموضوع يقتضينا أن نحدد أولا المدى الذى نرمى اليه فى الإصلاح الاجتماعى ، ثم نتعرف الوسائل التى يمكن أن يتحقق بها ، ومن ذلك يتبين نصيب كل من الشعب والحكومة فى القيام به .

سيداتى ، سادتى :

الإصلاح بوجه عام هو تقويم المعوج من الأمور والنهوض به إلى درجة أعلى فى سلم التدرّج إلى الكمال يكون منه خيرأعم . ومقصودنا بالإصلاح الاجتماعى عادة هو مداواة العلل الاجتماعية التى تصيب طبقة من الجماعة فتحرمها رفاهية العيش وهناء الحياة وتقعد بها عن المساهمة بنصيب موفور فى إسعاد البيئة جميعا والرقى بها إلى مستوى أعلى ماديا ومعنويا .

فالفقر مثلا شر اجتماعى قالوا فيه إنه يكاد يكون كفرا . ذلك أنه ينزل بصاحبه عن الحد الأدنى للمستوى المادى والمعنوى فى حياة كريمة ، فيجعله قلقا غير مطمئن ، ونفسه مضطربة غير راضية ، وروح الحقد والحسد تملأ جوانحه ، وقد يأخذ كل هذا به فيضيع عليه رشده و يمد يده خلسة أو بطشا الى مال جاره يعبث به كما قد يعبث بما يصادفه فى سبيل ذلك من عقبات . ومن هنا كان الفقر السبب الأول فى الإجرام فى أغلب صوره .

ثم إنه قد يتصدّع منه بناء الأسرة فيتشرد أفرادها و يسلكون سبلا نابية قد تخدر بهم أيضا الى الإجرام .

والفقر فى بعض الصور نوع من ظلم الجماعة ، يحسه المحرومون ، فيتألفون على دفعه والعمل على تحطيم الأسس التى تقوم عليها سعادة غيرهم والتى هى علة حرمانهم ، وقد يجىء هذا فى عنف لا يبقى ولا يذر .

فالفقر علة اجتماعية خطيرة بل هو مصدر الشقاء وأس البلايا . وهو علة اجتماعية من ناحية أخرى . ذلك أن الفقير فى هزاله ، فى مرضه ، فى جهله ، عبء على الجماعة لا سبيل الى انسجامه معها ، يحرمها من نشاطه ونشاط ذويه وانتاجهم ، فيقعد بها عن المضى الى استكمال أسباب التقدّم والرقى .

الفقر شر اجتماعى فكيف نعالجه ؟ أيكون ذلك عن طريق البر والإحسان ؟ أم يكون عن طريق توفير أسباب الكسب للعاطل عن العمل و إصلاح القوانين الاجتماعية فى بيئته حتى يحس السعادة بين يديه من كسبه وعرق جبينه لا فضل لأحد فيها ؟

والمرض فى مختلف مظاهره شر اجتماعى آخر . ذلك أن ما يصاحبه ويتخلف عنه من آلام وعلل يحرم الجماعة نشاط بعض أعضائها ، وقد يجعل منهم فى بعض الصور عجزة غير قادرين على العمل ، ويلقى بهم عبئا ثقيلا عليها . والرجل العليل باجماع الاقتصاديين هو دائما خسارة على بلاده ، فانه لا ينتج الانتاج المثمر لنفسه ولوطنه بقدر ما أنفق عليه فى مختلف شؤونه .

فكيف نتوقى المرض وكيف نعالجه ؟ نترك المحروم وشأنه يتدبر أمر نفسه ، يتلمس الدواء ما استطاع اليه سبيلا ، وهو لا يجده فالب الأحايين؟ أم يدفعنا الحرص على سلامته وتقديرنا أثر هذه السلامة فى رفاهيتنا جميعا بل فى ذات وجودنا الى أن نأخذ بيده ، ندفع عنه غوائل المرض ونستأصله ان أصابه على الرغم منا .

والجهل ثالث الشرور الاجتماعية ، يحرم صاحبه نعمة النور و ينزل به الى الظلمات الأولى ، ينأى به عن التطور مع تقدم التفكير الإنسانى ، ويلقى به حجرا فى سبيل تقدم الجماعة .

فكيف نبدد الظلام وكيف يشع النور ؟

أنترك كلا وشأنه يتلمس العلم والمعرفة عن طريق ذوى القدرة والكرم ، أم يجب على الدولة أن تقوم بنصيب معلوم فى التثقيف العام ؟

والأسرة نواة الجماعة، إن استقام أمرها وكانت وحدة متماسكة متجانسة تؤلف المودة، وتبعث الرحمة بين أفرادها ، استقام أمر الجماعة ، وان تراخت روابطها واشتط كل من أفرادها سبيله تفككت وشع من ذلك الكثير من الرذائل الاجتماعية .

فهل على الدولة أن تمكن من دعائم الأسرة وأن تسهر على بنائها ترعاه بالترميم بين آونة وآونة ، أم أن هذه مور ، على شدة تفاعلها فى أمر الجماعة ، من الروابط الخاصة التى لا يرجى نفع كبير من دوام تدخل الدولة فيها ، وأن الأوفق تركها لسلطان الرأى العام ينزل العابثين بنواميسها منازل التحقير والازدراء ويسد طيهم مراتب الكرامة والتقدير ؟

وانحطاط مستوى الآداب العامة، وتفشى العادات السيئة، وانتشار الخرافات، من العلل الاجتماعية التى يقاسى منها أصحاب الذوق السليم الكثير من الآلام والمضايقات ، فكيف السبيل الى علاج هذا ؟

أنتركه لأولى الرأى وقادة التفكير يعملون بأقلامهم، وبالمثل العليا التى يضربونها، أم يجب على الدولة أن تتدخل فى هذه الناحية : ترشد وتهدى وتوقع الجزاء بالمخالف المتمادى ؟

واذا نظرنا من ناحية أخرى أرفع وأعم ، نجد الحرية والمساواة نعمة النعم ، والظلم والاضطهاد من أخبث الشرور الاجتماعية .

فكيف ننشر نعمة الحرية ونحقق بين مواطنينا العدل والمساواة ؟ كيف نستأصل الظلم من جذوره ونقتلعه من النفوس الصغيرة لنغرس مكانه حب المساواة والإخاء ؟

سيداتى ، سادتى :

ليس من قصدى الليلة أن أحصى لكم العلل الاجتماعية . إنما حرصت على أن أستعرض

أمامكم بعضا منها، يستأهل فى نظرى أن يكون دوما محل الدرس والعناية حتى نتوصل إلى علاجها والقضاء عليها فى النهاية .

وهذه العلل ليست خاصة بأمة دون أخرى ، ولا ببـلد دون بلد . بل تكاد تكون من مستلزمات الحياة فى الجماعة ، نشأت معها وتجرى فى كل بيئة ، غير أنها تخف وطأتها كلما اطرد النمو الاجتماعى والتقدم السياسى .

فكيف عالجها غيرنا من الأمم ؟

إذا تقصينا تاريخ الإصلاح الاجتماعى فى مختلف البلاد وجدنا له اتجاهين أو مذهبين .

ففى الأمم التى تقدمت تربيتها السياسية وحسنت أحوالهـا الاقتصادية ، أدرك الأفراد بسهولة أهمية التعاون الاجتماعى وتطهير الطبقة المحرومة من علتها ، فعملوا طواعية ، وعملوا فى سخاء وكرم ، أفرادا وجماعات ، على التغلب على تلك العلل وتركوا للحكومة سد ما تقصر جهودهم أو مواردهم عن القيام به .

ففى مصر الفرعونية كان يتولى توزيع الصدقات موظف خاص نيـابة عن الملك . كما أصدرت الحكومة قانونا بإعدام من اعتد البطالة ، ومعاقبة من اتخذ وسيلة غير مشروعة للتعيش ، وقد يفسر هذا عراقة التشرد والبلطجة فى مصر .

وفى أثينا شيدت ملاجئ للمحتاجين وكانوا أيضا يطعمون ويعالجون من أموال ذوى اليسار وقد نظمت الدولة معاشا للأرامل والعجزة وضحايا الحروب .

وتولت الدولة فى اسبرطه تربية الأولاد الذكور إلا من كان منهم ضعيف البنية فكانوا يقتلونه .

وفاقت روما أثينا فى البر بالمعوزين ، فأجزلت الدولة لهم العطاءات الشهرية ، وتولت تعليم أبنائهم ، وشجعت الزواج ، وأدخلت وسـائل الترفيه الشعبية ، وأنشأت لهم حمامات عامة .

هذا البر القديم وإن كان محمود الأثر إلا أنه كان فى الغالب مشوبا بأغراض سياسية أو عسكرية ، أما البر الذى جاءت به الأديان الثلاثة بعـد ذلك فكان خالصا لوجه الله ، قوامه المساواة والأخوة بين الجميع . فترى اليهود يعتبرون الأرض جميعا ملكا لله ، ولذلك يرتبون للفقير حقا فيها وفى غلتها . كما نرى المسيحيين لايجارون الرومان فى إطلاق الصدقات ، بل يتحرون حاجة كل فرد فيسدونها .

ومن الإنصاف أن نذكر للكنيسة ما قامت به فى هذا السبيل وخاصة إنشاء الملاجئ والمآوى والمستشفيات ومكاتب المساعدة .

وجاء الإسلام بأسمى ما وصل اليـه عقل البشر من مبادئ اجتماعية ، فكانت الزكاة والصيام ركنين من أركانه الخمسة وجاءت آيات الكتاب الحكيم بما فيه علاج العلل الاجتماعية على ما سنذكره .

واليوم نجد التعليم فى انجلترا تقوم به هيئات خاصة فى كافة مراتبه . فالمدارس الابتدائية والثانوية والجامعات أنشئت ونمت واستكملت وجودها بعيدا عن التدخل الحكومى . ذلك أن أفراد الشعب أحسوا منذ القدم وجوب محاربة الجهل و إدخال النور إلى اخوانهم وجيرانهم فعملوا ولم ينتظروا أن تنتبه الحكومة وأن تعمل .

وفى أمريكا كذلك نصيب الحكومة فى محاربة الجهل ونشر العلم محدود ، فالجامعات فى أغلبها والمؤسسات العلمية ومعاهد الدرس والبحث أنشأها الشعب ورعاها الشعب .

والجامعة الأمريكية التى تضيفنا الليلة مثال بارز أمامكم للجهود الخاص الذى لا تتوجه الحكومة .

وفى تلك البلاد أيضا أنشأ الأفراد والجماعات من أموالهم المستشفيات ودور العلاج ، ومدوا للعوزين فى أسباب دفع الأمراض والوقاية منها ، فخففوا بذلك عن المحرومين الكثير من ويلات الفقر ويسروا لهم السبيل إلى حياة إن لم تكن كلها هنيئة فهى محتملة غير كريهة .

وفى تلك البلاد أيضا تدخلت الحكومات بدورها ، تقوم بنصيبها من الإصلاح الاجتماعى ، فأمنت العامل ضد البطالة ، وأمنته ضد اصابات العمل ، وأمنته فى شيخوخته ، وأمنت المحرومات من أزواجهن ، وأمنت أولادهن . فملت المستقبل أمامهن باسما غير مظلم .

من هذا كله قرت نفس العامل ، وانصرف الى استكمال أسباب الثقافة والتقدم الاجتماعى ، وانصرف عن أعمال الاضطراب والعنف .

و إذا كان العامل قد خص بذلك القسط الوافر من العناية ، فلأن تلك الأمم بلاد صناعية تعيش فى الغالب من الصناعة والتجارة إلا أنها لم تهمل أمر الفلاح ، بل أخذت بيده فى كثير من النواحى ، وازداد حرصها على رعايته كلما ألمت الأزمات . ذلك أن الأرض على كل حال هى مصدر الخير والبركة ومنها نعيش . وإلى جانب هذا كله يعمل أولو الرأى على نشر روح التعاون الصحيحة بين الأفراد .

هذا ما كان فى تلك البلاد . فظلت أوضاعها السياسية سليمة تتكيف فى هوادة وفقا لتطور الظروف الاجتماعية ، وظلت أداة الحكم تسير لينة لا يعتورها اضطراب مزعج .

أما فى الناحية الأخرى ، فنرى أممـا لم تبلغ من التربية السياسية شيئا كبيرا وجرت ملابساتهـا الاقتصادية ضعيفة غير مرنة ، ولم تتجه الأفكار إلى التوسع فيها وبقيت الغرائز الأولى تحجب عن الطبقة الممتازة أهمية التعاون الاجتماعى وأهمية الترفيه عن الطبقة المحرومة على النحو الذى أسلفنا ، بل امتدت بها الأثرة تدفعها إلى أن تحبس الخير عن الطبقة المحرومة ، وتضيقها من الاضطهاد المـادى والمعنوى ألوانا مختلفة ، فكانت النتيجة فى النهاية أن نادى بعض ذوى الرأى بالمبدئ الاشتراكية فدعت الناس أفواجا وحققوا قسرا نوعا من المساواة ، من ناحية توزيع الثروة ومن ناحية الأهمية السياسية للتمتع بالحقوق العامة .

إلا أن هذه المساواة لم تتحقق تدريجيا ، بل جاءت طفرة . فلم تتعودها الطبقة المحرومة ، وكان من أثر ذلك أن أبطرها رغد العيش ، وتجاوزت بدورها الحدود الطبيعية ، فاستمرت تستزيد من المزايا ، فتخلف عن ذلك كله فى كثير من الأحوال نوع من الانحـلال الاجتماعى تلاشت فيـه مقومات الشعب ، ففقدت الطبقتان الممتـازة والمحرومة كل استقرار واطراد فى التقدم الاجتماعى ، وذلك فضلا عما صاحب هذه الحركات من اضطرابات عنيفة جرفت فى بعض الأحوال سعادة الجيل الذى قام بها .

سيداتى ، سادتى :

من هذه الصورة المصغرة السريعة ترون أن التعاون الاجتماعى ، أن البذل فى سبيل الطبقة المحرومة ، أن النزول لها طواعية عن جزء من الثروة المكنوزة ، أن مد يد المعـونة اليها عن طريق التشريع والدراسات العلمية المنظمة والإرشاد والهداية ، إن هو إلا نوع من التأمين الاجتماعى يحفظ على الطبقة الممتازة ما فى يدها ويقيها شر الاضطراب والعنف ، ثم هو يعود اليها ثانية خيرا مشكورا عن طريق نمو الطبقة المحرومة وتعاونها معها فى تقدم الجماعة عامة .

سيداتى ، سادتى :

أظن أنكم قد تبينتم مما تقدم وجهة نظرى فى الإصلاح الاجتماعى وأنه لا يتحقق الا بالتعاون بين الشعب والحكومة .

يجب أولا على الشعب أن يتآزر على الإصلاح الاجتماعى ، وعلى الطبقة الخاصة الممتـازة أن تبذل من مالها ، أن تقدم من جهود أفرادها خدمات اجتماعية صحيحة ، أن يعمل ذوو الرأى وقادة الفكر على الإرشاد والتوجيه .

وعلى الطبقة المحرومة — وهى الأغلبية — أن تدرك الروح التى يصدر عنها هذا البذل وتلك المساعدة ، أن تفهم حقيقة التعاون الاجتماعى وتهيىء له ، أن تقبل عليه تسترشد وتستصلح مؤمنة أن نتائجه عائدة عليها .

ثم يأتى دور الحكومة تنفق فى هـذا السبيل كل ماتستطيع ، وتتولى التنظيم والتوجيه وتحقيق الانسجام بين المجهودات الخاصة ، وتوفير أسباب النجاح لهـا ، بحيث لا تسرف فى التدخل ولا تتهاون بل تكون بين ذلك وسطا .

والاحظ أخيرا أنه كلما تحقق الإصلاح الاجتماعى بالقـدر الكافى تدريجا ، استقرت جذوره ، ونمت فروعه . وأتت بأطيب الثمرات . والطفرة هنا ، شأنها فى مختلف النواحى ، لا تحقق الإصلاح طويلا ولا تجئ فى سلام تؤمن معه العواقب .

سيداتى ، سادتى :

إن هذا الذى ندعو إليه الطبقة الممتازة ليس نوعا من التأمين الاجتماعى يكفل مصلحتها على ما قدمنا فحسب ، بل إنه أيضا أداء فريضة يوجبها الدين الإسلامى ، دين السواد الأعظم من أهل هذه البلاد .

فالإسلام يأمر بالبر والإحسان ، ويدعو إلى المحبـة والتعاون الاجتماعى ويتوعد الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونهما فى سبيل الله بعذاب أليم ، قال تعـالى :

"لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ، وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" .

وقد بين سبحانه وتعالى فى هذه الآية أن البذل لا يكون برا إلا حيث يكون فى موضع البذل ، وهو أساس الخدمة الاجتماعية الصحيحة ولذلك ذكر من يبذل إليهم المـال ، وأنهم أهل القرابة ، واليتامى والمساكين ، من سأل منهم ومن لم يسأل ، والغرباء المحتاجون المنقطعون عن بلادهم وأموالهم .

وقال تعالى فى آية أخرى "وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ" فأوجب بذلك الزكاة فى مال كل مسلم مكلف وهو سبحانه وتعالى لم يجعلها عبادة فحسب ، ولم يرق بها ركنا من أركان الإسلام الخمسة فحسب ، بل إنه جعل للسائل والمحروم حقا فيها .

سيداتى ، سادتى :

إن الدعوة التى أتوجه بها اليوم إلى أغنيائنا وذوى اليسار منا ، دعوة قام بها منذ القدم آباؤنا الأولون ، وإياها دائما القادرون من أهل هذه البلاد فى سخاء وكرم ، نزولا منهم على أحكام الدين الحنيف فأنشأوا الكتاتيب ودور العلم وحبسوا عليها الأموال الكثيرة الغزيرة الغلة .

فالأزهر الشريف أقدم جامعة إسلامية فى العالم أنشأه ذوو الفضل والكرم ، وتعهده من جاء بعدهم ممن جرى مجراهم ونسج على منوالهم ، حتى ازدهر بالعلماء والطلاب وأصبح منارة العلم والعرفان فى الشرق الإسلامى ومنبع النور والهدى .

والمساجد أكثر المسلمون فى إقامتها تقربا إلى الله تعالى ، حتى تعم بها التقوى ويكثر من ورائها البر والإحسان .

والجامعة المصرية أنشأها بعض رجالات مصر من ذوى الرأى والعزيمة حتى يفسحوا للامة فى تعليم حر غير مقيد ولا محدود . فاتت بأطيب الثمرات واستمرت تؤدى رسالتها حتى اندمجت سنة ١٩٢٥ فى جامعة فؤاد الأول .

ومدارس الجمعية الخيرية الإسلامية ، وجمعية العروة الوثقى ، وجمعية المساعى المشكورة ، والجمعيات الخيرية القبطية والاسرائيلية والأجنبية ، قامت كلها بنصيب موفور مشكور فى تعليم أبناء الشعب ونشر الثقافة والعرفان .

وقد اتجه أخيرا أهل البر والإحسان إلى إقامة الملاجئ تؤوى اليتامى وأبناء السبيل وتبر بالعجزة وذوى العاهات الذين لا يجدون سبيلا إلى الكسب الحر ، كما اتجهوا إلى إقامة المستشفيات ودور العلاج ورصدوا عليها مما رزقهم ربهم حتى تستمر فى أداء مهمتها . وهو لون جديد من الإحسان فى مصر نغتبط له كل الاغتباط لأنه يتفق وحاجات الطبقة المحرومة فى عصرنا هذا .

ففى مصر الآن ٦٥ ملجأ أهليا ، و٥٠٠ جمعية خيرية ، و١٦٦ ملعبا رياضيا أهليا ، و١٧٧ ناديا رياضيا . ويرجع الفضل للجهود الفردى فى وجود الحمامات العامة فى القاهرة وباقى المدن .

ونحن ندعو فى حرارة الى المزيد من هذا البر والاتجاه وجهته ورصد الأموال فى هذا السبيل ، كما نأمل أن يكون للمنشآت الخاصة بالبحث العلمى فى المسائل الاجتماعية نصيب من بر ذوى اليسار فينا .

سيدتى ، سادتى :

دعونا إلى البر والإحسان حتى نخفف عن الطبقة المحرومة ، نأخذ بيدها ، ونحقق التعاون الاجتماعى .

وهذا التعاون واجب أيضا بين ذوى البر والفضل حتى نصل إلى غايتنا ، ذلك أن الإحسان الفردى مهما كان غزيرا قليل الفائدة محدود الأثر فى الإصلاح ، أولا لأنه لا يلاقى حاجات الجماعة فى مختلف نواحيها ، وثانيا لأنه موقوت لا يخفف الألم إلا لوقت معلوم . لهذا كان بيت المال فى العهود الإسلامية الأولى . يجمع الصدقات ويودعها ديوانا خاصا ، له أفرع

فى الأمصار والولايات تتولى الإنفاق منها على المحرومين. وكم نحب أن نستعيد هذه السنة الطيبة فتتألف الجمعيات الخيرية تحت رقابة الحكومة، وتؤدى رسالتها تحت اشرافها، واليها يكون البذل والعطاء ، والقليل الذى نتصدق به يتجمع عندها مالا وفيرا تستطيع به أن تحقق عملا منتجا مفيدا .

سيداتى ، سادتى :

إن التعاون فى البر ودفع الشرور الاجتماعية بين الأفراد يكاد يكون أسلم سبيل للتخفيف عن الطبقة المحرومة فى الظروف التى تجتازها البلاد، ذلك أن لاستقلال ألقى على كاهل الحكومة تكاليف باهظة من حيث الدفاع الوطنى ، فما يتبقى بعد ذلك لإنفاقه فى الإصلاح الاجتماعى قليل، ولذلك كان عبؤه فى الغالب على القادرين منا ، بل وعلينا جميعا ، بقروض معدودات نتقدم بها إلى الجمعيات الخيرية المنظمة .

ومع هذا فان حصة الحكومة فى الإصلاح الاجتماعى فى الوقت الحاضر لا يستهان بها :

١ — للبر :

للحكومة — ومعها الأوقاف والهيئات المحلية — ٤١ ملجأ تؤى ٥٣٨٨ لاجئا ، ينفق عليها ١٦٢,٣٢٦ جنيها .

وفى القاهرة ستة مطاعم للشعب وفى المديريات مطاعم مماثلة .

وبوزارة الزراعة ما يزيد على ٧٨٠ موظفا فنيا مهمتهم الإرشاد الزراعى للفلاح وتقوم وزارة الشؤون الاجتماعية بواسطة مصلحة العمل بما يلزم العامل من مساعدات ودراسات وتشريع ، وبها ٢٥ مفتشا يسهرون على صحة العمال وحماية الأحداث والنساء فى المصانع وتنفيذ قوانين العمل ، كما تقوم بواسطة مصلحة التعاون و إدارة الفلاح برسالتها لرفع مستوى الفلاح ماديا ومعنويا .

وتعين الوزارة الجمعيات الخيرية والهيئات الرياضية بمبلغ ٢٥,٧٢٠ جنيها .

وتصرف وزارة الأوقاف على الأعمال الخيرية مايزيد عن ١٠٠ ألف جنيه .

٢ — لمعالجة المرضى :

بالقطر المصرى ٤٨٠ مستشفى وعيادة خارجية لمعالجة الفقراء من الأمراض المختلفة ، تابعة للحكومة أو الأوقاف أو مجالس المديريات ، وبها ٨٤٥ طبيبا ، و١٥٣٢ حكيمة وممرضة ، و٨٧٨ ممرضا . وعولج فيها سنة ١٩٣٩ حوالى ٩,٥٦٥,٧٨٦ شخصا ، وبلغت تكاليفها فى سنة ١٩٣٩ حوالى ١,٢٩٧,٤٦٦ جنيها . هذا عدا مستشفيات الانكلستوما

والبلهارسيا وعددها ٩٤ يعمل بها ١٠٤ أطباء عولج فيها سنة ١٩٣٩ حوالى ١,٤١٢,٠٧٥ شخصا، فضلا عما تقوم به من وسائل الوقاية المتعددة، بخلاف مراكز رعاية الطفل وعددها ٩٣ ثابتة ومتنقلة ويعمل بها ٩١ طبيبا، و١٣٠ حكيمة، و٣٩٠ ممرضة، وعولج فيها نحو ١٢٠,٠٠٠ طفل وبالقطر ٢١٩ مكتب صحة لها ٢١٩ طبيبا ولوزارة الصحة أربع مجموعات صحية ملحق بها مغاسل وحمامات للشعب، عدا المجموعات الصحية والمغاسل بالأقاليم، وهى تابعة لمجالس المديريات .

وهذا علاوة على الخدمات الطبية التى تقوم بها وزارة المعارف ، فبها ٧٦ طبيبا يعملون فى الوحدات العلاجية والأبحاث والوقاية ، وبها ٩ طبيبات و٤٧ ممرضة . ويعالج بالقاهرة وحدها ما يزيد على ١٣٠ و ٣٢ تلميذا وتلميذة .

وللحكومة ١٥٥ صيدلية ملحقة بالمستشفيات الحكومية ويعمل بها ٧١ صيدليا .

وبذلك تكاد الحكومة تنفرد بخدمة الشعب فى الناحية الطبية اذا استثنينا القليل من المستشفيات والمستوصفات التابعة لبعض الجمعيات أو الأفراد .

٣ — لمحاربة الجهل :

ترى وزارة المعارف ومجالس المديريات تنفق فى هذا السبيل حوالى ٥,٠٠٠,٠٠٠ جنيه سنويا.

سيداتى ، سادتى :

جعلت وزارة الشؤون الاجتماعية المبادئ السالف ذكرها أساس عملها لتحسين حال الفلاح ، وقوام مشروع المراكز الاجتماعية الذى هو أول مشروعاتها لهذه الغاية. ويقوم هذا المشروع على اشتراك الحكومة والفلاحين فى النهوض بالفلاح وترقية القرية . وسبيله الى ذلك اقتناع الفلاحين بحاجتهم الى الإصلاح فى نواحيه المختلفة من صحية واجتماعية واقتصادية، واشتراكهم بناء على ذلك الاقتناع فى إنشاء مراكز اجتماعية فى قراهم تتولى أعمال الإصلاح فى تلك الوجوه المختلفة ، فتعمل على مكافحة الأمراض وعلاج المرضى وتوفير البيئة الصحية فى الأشخاص والمساكن والقرية ، وفض المنازعات وإيجاد روح الوئام بين الأهالى ، وترغيد المعيشة فى القرية ومكافحة السأم المخيم عليها ، ونشر الثقافة الريفية للفلاحين وزيادة مواردهم بتحسين طرق الزراعة واستغلال المحاصيل ونشر الصناعات المنزلية والزراعية وغير ذلك مما يطول شرحه ويتطلب محاضرة خاصة بل عدة محاضرات . ولعلكم قد وقفتم على كنه ذلك المشروع وعرفتم أغراضه ومزاياه مما نشر عنه فى مناسبات مختلفة .

على أنى أذكر هنا إجمالا أنه مثال واضح للتعاون بين الحكومة والأمة لتحقيق غرض من أجل الأغراض ، وهو رفع مستوى الفلاح . فقد بنى المشروع على اشتراك الفلاحين مع الحكومة ، سواء فى إقامة المراكز الاجتماعية بداءة ، أوفى إدارتها بعد ذلك .

ولا يفوتنى أن أشير بهذه المناسبة الى تجربة مماثلة فى نفس الناحية ، وإنما قوامها مجهودات شعبية قامت بها الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية ، لتحسين حال الفلاح واصلاح القرية على أساس اقناع الفلاحين بواسطة اخصائيين اجتماعيين فنيين بحاجتهم الى الاصلاح والتدرج بهم فى سبيله ، واختارت تلك الجمعية لهذا الغرض قريتى شط نوف والمنايل لإجراء تجربتها فى إصلاح القرية وقد سارعت الحكومة الى معاونة الجمعية على السير بهذه التجربة لتوفير الخدمة الصحية بالقريتين وتعيين الزائرات الصحيات مع منح إعانة مالية الى الجمعية لمواصلة التجربة .

ويبدو التعاون هنا جليا بين الحكومة من جانب ، وبين فريق من المصلحين الاجتماعيين ممثلين فى تلك الجمعية والفلاحين الذين ينتفعون بالإصلاح ويقبلون عليه فى القريتين من جانب آخر.

سيداتى ، سادتى :

لست أعرف ميدانا يتجلى فيه التعاون بين الحكومة والأمة كما يتضح فى ميدان الحركة التعاونية . ولقد مر التعاون فى مصر بأدوار ثلاثة :

(أولا) نشأ شعبيا كما ينبغى له وكما هو شعبى فى مختلف البلدان المتقدمة . وكان رائده فى مصر "المغفور له عمر لطفى" الذى دعا اليه وأسس عددا من جمعياته وبذل فى سبيل انشائها وادارتها كل ما يملك من جهد وهمة غير أن موقف الحكومة حيال الحركة التعاونية وقتئذ كان بعيدا عن فكرة المؤازرة والتأييد ، فما لبثت تلك الجمعيات التعاونية أن اضمحلت بعد وفاة منشئها.

(ثانيا) أدركت الحكومة مرامى التعاون فاطمأنت اليه وعزمت على مناصرته ومن ثم أصدرت قانون التعاون الزراعى سنة ١٩٢٣ الذى صبغ الحركة بصبغة حكومية . على أن هذا الدور الحكومى لم يستمر سوى أربع سنوات .

(ثالثا) صدر قانون التعاون العام سنة ١٩٢٧ متضمنا أحكاما جديدة تكفل التضامن بين الحكومة والشعب للسير بالحركة التعاونية ، وبهذا بدأ العهد الحكومى الشعبى للحركة التعاونية فى مصر ، ولا تزال فيه للآن سياجا للتعاون بين الحكومة والأمة فى هذه الناحية الهامة من نواحى الإصلاح .

وهذا العهد الحكومى الشعبى للتعاون يلقى على كاهل الحكومة واجبات وعلى كاهل الأمة واجبات أخرى. فعلى الحكومة مثلا أن تنظم الحركة التعاونية وأن تشرف عليها وتنظم حساباتها وتراقب سيرها ، كل ذلك بواسطة مصلحة التعاون وموظفيها المنبثين فى الريف ، المتغلغلين فى أقاصى القرى . وعلى الحكومة كذلك أن تساهم فى تمويل الجمعيات التعاونية ، وهى تؤدى هذه المهمة بواسطة بنك التسليف الزراعى منذ تأسيسه فى سنة ١٩٣٠

هذا هو أهم واجبات الحكومة حيال الحركة التعاونية ويتلخص فى مناصرتها بالتشريع والتمويل والتنظيم والإشراف . أما واجبات الأمة نحو تلك الحركة فكثيرة لأن التعاون من

الشعب وللشعب ، ومهمة الحكومة نحوه ليست سوى مهمة وقتية فلا تلبث أن ترى الشعب وقد أصبح بحيث يستطيع السير بالتعاون وحده حتى تنفض يديها وتسلم الحركة اليه سليمة قوية .

وعندئذ يحل الاتحاد التعاونى المؤلف من الجمعيات التعاونية محل مصلحة التعاون ، ويحل موظفو ذلك الاتحاد محل المفتشين والمراجعين والمنظمين بهذه المصلحة ، ويقوم بنك التعاون المركزى الذى سوف تساهم فيه الجمعيات التعاونية بنصيب وافر مكان بنك التسليف الزراعى .

على أنه فى المرحلة الحاليـة . وحتى يتم ذلك . تقع على كاهل الأمة كما قدمنا واجبات كثيرة حيال الحركة التعاونية .

فعلى الطبقة المثقفة أن تعرف كنه التعاون ، وأن توقن انه السبيل القويم إلى الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى معا . وعلى المهتمين بشؤون الشعب ، الحريصين على ترقيته ، أن يوقنوا أن نشر التعاون فى أنحاء الريف هو أضمن الوسائل للنهوض بالفلاحين من جميع الوجوه ، لأنه يجعلهم ينهضون بأنفسهم برغبة وعزيمة منهم .

وعلى العاملين فى الحركة التعاونية من أعضاء الجمعيات ومجالس إداراتها أن يذكروا دائما أنهم يعملون فى حركة عامة يتوقف تقدم الأمة على حسن سيرها ونجاحها . فيطرحوا الأنانية جانبا ، بل ليوفقوا دائما بين مصلحتهم الذاتية وبين مصلحة المجموع . لأن التعاون لا ينفى المصلحة الشخصية ولكن يطابق بينها وبين الصالح العام . وليراقبوا الله دائما فلا يعمدوا إلى استغلال الجمعيات لأنفسهم وفيها الفقراء والضعفاء ، المحتاجون إلى المعونة والمساعدة .

ولا يغفلوا لحظة عن أن هذه الحركة التى يساهمون فيها ترمى إلى ترقية البلاد من الوجهتين الاقتصادية والاجتماعية ، فاذا كان الاقتصاد سبيلها ، فان الاجتماع غايتها . ومن ثم يجب عليهم أن يقيموا المنشآت التى ترقى بالقرية وترفع مستوى أهلها ، وأن يبذلوا المال فى سبيل البر والإحسان حتى يشعر فقير القرية بأنه ليس منبوذا ولا منسيا من مواطنيه المحسنين .

و بعد ذلك أقول إن على الحكومة والأمة معا فى هذا المجال واجبا أساسيا ، وهو أن تقوى روابط التعاون بينهما فى هذا الدور الذى تجتازه الحركة التعاونيـة وأن تعملا متضامنتين لخير هذه الحركة التى يرجى منها أكبر النفع للبلاد .

" وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان " .

سيداتى ، سادتى :

عرضت أمامكم صورة مما يصح أن يجرى به التعاون بين الشعب والحكومة فى الإصلاح الاجتماعى ، وعرضتها سريعا من غير أن أثقل عليكم بتفاصيل هذه المعاونة إذ كل أملى هو أن تتركوا هـذه القاعة موقنين بوجوب هذا التعاون فى حدود معلومة . أما تفاصيله واتجاهاته الفنية فأتركها يعالجها غيرى فى فرص أخرى .

رقي الأسرة المسلمة

وعلاقته برقي الأمم الإسلامية

لحضرة صاحب السعادة صالح عنان باشا

أما أن لنا نحن المسلمين مجدا قديما وتاريخا عظيما فذلك أمر لا مرية فيه . وفي وسعنا ان نباهي بآبائنا ما وسعتنا المباهاة ، وأن نتحدث بفتوحاتهم وسعة سلطانهم وجلال مدنيتهم وفرط نبوغهم في مختلف العلوم والفنون ، من طب إلى فلسفة إلى تشريع إلى رياضة إلى عمارة إلى شعر إلى موسيقى ، ولن يكذبنا أحد إذا قلنا إننا كنا في تكوين دولتنا الواسعة الأطراف أسرع من المصريين القدماء ومن اليونان والرومان ، فكل أولئك تكونت عظمتهم في قرون ، أما الملك الكبير الذي أنشأه المسلمون في قارات ثلاث فقد أقامته أيدي الغطاريف الصناديد في ثمانين عاما .

وأما أن ديننا الذي اتخذه آباؤنا دستورا وهاديا ، دين مدنية وعلم وعدل وتعاون وتسامح وبر بالمجتمع الانساني كله فذلك حق لا ينكره علينا منصف ولا عاقل .

ولكن ماذا تجدي المباهاة بماضينا ؟ وما الغناء في ثنائنا على ديننا وتعدادنا لفضائله ، إذا كان واقع الحال أننا تأخرنا عن صفوف الأمم الناهضة ، وعجزنا عن صيانة ما ترك الأسلاف من تراث جليل ؟ وأي عزاء لنا بالتعزي بسنن التاريخ وما تكتب الأقدار على الأمم من ذل بعد عز ، وسقوط بعد ارتفاع ، وموت بعد حياة ؟ ؟

ليس في هذا كله ما يرأب الصدع أو يضمد الجرح أو يعيد المجد سيرته الأولى . وإنما للنهوض أسباب وللسقوط أسباب . فلنعرف كيف ارتفع السابقون ، وما هي الوسائل التي هيأت لهم الحياة المطمئنة والملك الكبير ، ولنحاول الأخذ بها مرة أخرى إذا كنا نواقين حقا إلى رد ما فات ووصل ما انقطع .

لست أعزو المجد الغابر والتأخر الحاضر إلا إلى حال الأسرة أمس واليوم ، فان الأسرة المطمئنة أساس المجتمع المطمئن ، وإذا كان الذين بنوا ذلك الماضي الجليل هم رجال أشداء ، أقوياء النفوس والأجسام ، فانما أنجبتهم نساء صالحات كن يعشن عيشة راضية قويمة شريفة عاملة مجدة .

فالمرأة إذن هي أساس الأسرة ، ولا يصلح الرجل إلا بصلاحها كما لا تصلح الثمرة لا بصلاح شجرتها .

كان المسلمون الأول يعرفون دينهم على حقيقته ، و يعرفون أنه دين تعمير وقربى و إحاء ، و يعرفون أن قوامة الرجال على النساء ليست مجرد استمتاع وتحكم وامتلاك كما تمتلك الضياع أو كما يتصرف المرء فى السلع والمشتروات ، بل كانت القوامة عندهم مسئولية فى عنق الرجل ترتب للمرأة حقوقها وتعين واجباتها . كان الرجل يعلم أن من واجبه تهيئة الحياة الرغدة لزوجته ، وخدمة صحتها وثقافتها بقدر ما فى وسعه ، لتكون قادرة على إعداد أبناء وبنات ينشؤون على مثال أبويهم بررة صالحين نافعين ، لا خاملين ولا متمردين ولا مدللين ، ولا منصرفين عن جد الحياة إلى لهوها ، وعن صالح العمل إلى سيئه .

كان الزواج فيما يفهمه الرجل والمرأة معا من أحكام دينهما ، تعاونا مثمرا وشركة دائمة لا يلغيها إلا الموت . فلم تكن الزوجة مهددة بطلاق مفاجئ يهدم سعادتها و يحرم أبناءها من حضانتها أو من حضانة أبيهم ، أو بزوجة جديدة تقاسمها قلب زوجها وماله ، وتنغص عليها وعلى أولادها حياتهم ، وتنتج لهؤلاء الأولاد أخوة جددا قلما يكونون معهم على صفاء أو وداد ، بل لابد من التنازع والتحاسد بينهم فى حياة أبيهم و بعد مماته ، ومنهم من يتمرد على أبيه و يكون نقمة عليه ، وهكذا يتقوض صرح الأسرة وتفشو فى المجتمع الضغائن والعداوات ، و يقل التراحم والتعاون على العمل النافع .

" الطمأنينة " هى التى أسعدت الزوجات فأسعدن الأزواج والأبناء ، فأسعدوا المجتمع بأسره . لأن الرجال مادامت حياتهم المنزلية مستقرة فهم ينصرفون إلى العمل غير منغصين ولا معوقين ، وما دام بالهم خلوا من هموم البيت ومن منازعات الأسرة فإن لذلك أثره الحسن فى صحة أجسامهم وصفاء أذهانهم ومضاء عزائمهم والمجتمع الناجح إنما هو ذلك المجتمع الذى يتكون من رجال أصحاء الأبدان والأذهان والعزائم ، أولئك هم الذين ينهضون بالعلم و يعنون بالفن و يستنبطون الوسائل لرفع شأن الوطن وإعلاء كلمة الدين .

ولكن كيف تطلب هؤلاء الرجال وأين تجدهم ، إذا كان المجتمع قد فسد بفساد الأسر ، والأسر قد تقوضت وتفرقت كلمتها بزوال الطمأنينة عنها ، وما أزال هذه الطمأنينة إلا شيوع الطلاق وتعدد الزوجات ؟

ما من شك فى أن الأسرة المسلمة اليوم ليست كالأسرة المسلمة بالأمس فى ترابطها وتعاونها ومتانة بنيانها . ذلك أننا سمعنا أن الإسلام يبيح الطلاق فحسبها الكثيرون منا إباحة مطلقة غير مقيدة بقيد ، وظنوا أن المرأة ثمرة يعتصرون حلوها ثم ينبذونها ، أو لباس يزينون به أجسامهم مادام جديدا فهفها ثم يلقون به بين المهملات إذا طال عليه العهد ، ونسوا أن أزواج النبى كن عنده شريكات ومشيرات وراويات عنه العلم والحكمة والبيان ومن ثم فقد أسرفوا فى الطلاق مهملين زوجاتهم غير عابئين بمصيرهن . وهل يجعن أم يشبعن ، و يستعصمن

أم يسقطن، ومهملين أولادهم إلا من نفقة سخية أو بخيلة، غير مهتمين بمصيرهم . أى أمان بعد ذلك على مستقبل أولئك الأولاد مادامت الرقابة عليهم منقوصة وما داموا قد رأوا من أبويهم هذا المثل السيئ فى التقاطع والاستخفاف بالأواصر . وأى عجب بعد ذلك أن يوجد منهم من يشق عصا الطاعة على أمه أو أبيه ؟

لقد غاب عن أولئك المسرفين فى الطلاق، المستهينين بعواقبه، أن الاسلام الذى يجعلونه حجتهم وإمامهم قد قال بلسان من بلغه إلى الناس " أبغض الحلال إلى الله الطلاق " .

وكذلك عمد أناس إلى قول الله تعالى " فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع " فأخذوا به دون قيد ولا شرط ، وتركوا قوله " فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة " ثم قوله بعد ذلك " ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل " وكذلك تركوا ماحتمته السنة وآراء علماء الدين من ضرورة وجود سبب قاهر يدعو إلى التعدد ، كعقم أو مرض أو غيرهما، فهم لايبحثون الأسباب ولا يستطيعون العدل ولا كبح الميل ، وكل ما يعنيهم هو إرضاء شهواتهم ومطاوعة غرائزهم ، ووراء ذلك ماوراءه من عسر فى العيش وتفرق وشقاق بين الإخوة غير الأشقاء وسوء مصير أكثرهم، وشقاء الأسرة والمجتمع بهم و بأمهاتهم .

بهذه العلل وأمثالها وهت عرى الأسرة الاسلامية ، ولم يكن الذنب بالطبع ذنب هذا الشرع الاسلامى الحكيم ، بل ذنب الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، والذين يؤمنون ببعض الكتاب و يكفرون ببعض ، والذين يكيفون شهواتهم وأهواءهم تكييفا دينيا ظالما ، وصدق المعرى إذ قال :

وكم من فقيه خابط فى ضلالة وحجته فيها الكتاب المنزل !

لقد نبتت الأمم الاسلامية ونمت وترعرعت فى ظل دستور حازم مصلح حكيم ، فلما تحايلت على نصوصه وأعملت فيها سوء التأويل والتفسير وتصرفت كما شاء لها الهوى بالتحليل والتحريم، اختلط الأمر على أصحابه وفسدت الأوضاع وانحلت الروابط وفترت الهمم وتأخرنا فى مضمار العلم والحضارة بل عجزنا حتى عن التفكير السديد .

" الأسرة " كما قلت ، هى أساس نمو المجتمع مادامت بخير ، وهى علة تأخره مادامت واهنة محرومة من الطمأنينة . وليس أسرع عصفا بالطمأنينة من أن تعيش الزوجة مهددة بالطلاق وتعدد الزوجات ، ولا أسوأ أثرا فى حياة الأسرة من أن يمضى الزوج فيهما دون القيود الثقيلة التى وضعها الاسلام لهما .

فنحن فى أشد الحاجة إلى إعادة الطمأنينة الى الزوجات لتعود إلى الأسر ، وذلك لا يكون إلا بوضع تشريعات ترد الطلاق والتعدد إلى حدود التعاليم الإسلامية الصحيحة .

صالح عنان

الخمور فى الولايات المتحدة

بين الإقرار والإلغاء

فى سنة ١٩١٧ منعت الخمور صناعة وتجارة وتناولا فى الولايات المتحدة الأمريكية ومر مشروع الإلغاء فى البرلمان بأكثرية عظيمة ، فان الموافقين على المشروع فى مجلس النواب كانوا ٢٨٢ صوتا ضد ١٢٨ ، وكان الموافقون فى مجلس الشيوخ ٤٧ ضد ٨

و بقى قانون الإلغاء نافذا إلى سنة ١٩٣٣ حين ألغى وأعيد شرب الخمور ، ويحسن بنا أن ننظر فى تاريخ هذه الحركة وأثرها فى الولايات المتحدة مع بحث الأسباب التى جعلت الأمريكيين يعودون إلى الترخيص بعد الإلغاء .

ترجع حركة إلغاء الخمور فى الولايات المتحدة إلى ما قبل مائة سنة ، والكنيسة هى صاحبة الفضل الأول فى هذه الدعوة لأن قسيسيها كانوا أكبر الدعاة الى المنع ، ففى سنة ١٨٣٧ ألفت لجنة فى برلمان ولاية ماين بحثت موضوع المشروبات الروحية وأوصت فى تقريرها بضرورة منع الخمر . وفى سنة ١٨٤٦ سن قانون فى هذه الولاية لمنع المشروبات التى يكثر فيها الكحول وأجيز تناول المشروبات الخفيفة ، وهذا هو أول قانون لإلغاء الخمور فى الولايات المتحدة . ولكن التمييز بين المشروبات الخفيفة والمشروبات الثقيلة جعل تنفيذ هذا القانون سيئا . ولذلك قدم مشروع جديد للمنع التام فى برلمان ولاية ماين فوافق عليه البرلمان فى يومين ومنعت الخمور كافة من هذه الولاية .

وأخذت الحركة من ذلك الوقت تتفشى فى الولايات الأخرى حتى أنه بين سنتى ١٨٥١ و ١٨٥٥ تم الإلغاء فى ١٣ ولاية من ٣١ هى مجموع الولايات المتحدة فى ذلك الوقت . وكل ولاية من هذه الجمهورية أو الاتحادية الكبرى مستقلة لها مجالسها التشريعية وتستطيع أن تسن قوانينها الداخلية . وتألف حزب سنة ١٨٦٩ لإلغاء الخمور كان له أعضاء فى جميع الولايات ، وكان الإلغاء والإبقاء من موضوعات الانتخابات للرياسة وللبرلمان من ذلك الوقت إلى إن كانت سنة ١٨٩٣ حين تألفت " عصبة مكافحة الحانة " والى هذه العصبة التى نمت وقويت وكثر أعضاؤها يعزى الإلغاء العام الذى تم فى سنة ١٩١٧

وكان دعاة الإلغاء يتألفون من قسيسى الكنائس البروتستانتية ومن أصحاب المصانع ومن أساتذة الجامعات ، أما دعاة الإبقاء فكانوا يتألفون من بعض قسيسى الكنائس الكاثوليكية ومن الجرائد التى أفسدتها رشوة شركات الخمور .

وفى السنة الأولى لقانون الإلغاء كان التنفيذ تاما تقريبا ، وساعد على إحكام التنفيذ أن الحرب الكبرى كانت قائمة فكان معظم الشباب محندين أو تحت التمرين أو فى المصانع الحربية ولم يكن ثم مجال للتسامح فى التنفيذ. وكتبت "آنسة جين أوامر وهى مصلحة اجتماعية عن الأثر الحسن الذى أحدثه هذا القانون فى السنة الأولى فى مدينة كاشيكاجو فقالت :

" كما نرى هنا حول هول هاوس العربات وهى تلقى شحناتها من زجاجات الوسكى والبيرة ، وكانت القاقة والشقاء يفجعان النفس ، ولكن كل هذا قد تغير وكأننا قد انتقلنا إلى عالم آخر ، فان فقراءنا يستبدلون الان بمنازلهم المهدمة منازل أخرى حسنة ، وقد ارتفع مستوى الحياة كله ، ونقصت المشروبات وكذلك نقص مجهودنا فى اصلاح العائلات التى حطمتها الخمر ، ولا نكاد نجد بيوتا قبيحة أو عائلات مهملة كتلك التى كنا نعالجها أيام بيع الخمور ، وانى لأكره أن أرى عودة الخمور مهما يكن الثمن " .

ولكن الأيدى التى كانت تشرف على تنفيذ القانون تراخت ، وكثرت الصالونات ومصانع الخمور الخفية كما كثر التهريب من مكسيكا وكندا بل ومن الأقطار النائية، واستطاع كل هؤلاء أن يصطنعوا بالرشوة عددا كبيرا من الشرطة التى كان رجالها يتغافلون عن التهريب، ومع كل ذلك نجد أن "افنجلين بوث" زعيمة أو قائدة جيش الخلاص تقول فى سنة ١٩٣١ أى بعد سن هذا القانون بنحو ١٤ سنة إن عدد السكارى الذين كان ينقطهم جنود "جيش الخلاص" قبل الالغاء كان يتراوح بين ١٢٠٠ و ١٣٠٠ كل يوم ، فى حين أن فى تلك السنة (١٩٣١) حتى مع التهريب والبيع الخفى قد نزل عدد السكارى الى ٤٠٠ كل يوم .

وكان من أثر الإلغاء أن زاد انتاج العمال فى المصانع لأن الخمول الذى كان ينشأ فى الصباح من السكر السابق قد زال ، كما أن التأخر عن العمل أو الانقطاع قد زال كلاهما أيضا ، وزاد المدخر فى صناديق الادخار بالبريد والبنوك .

ولكن سعى دعاة الخمور — وهم فى الأغلب من صانعيها والمتجرين بها — لم ينقطع منذ الإلغاء، وكانوا يعنون على الحكومة الفساد الذى تفشى فى الأمة بالإقبال على الحانات السرية وما فيها من غوايات مختلفة، وحدث فى سنة ١٩٣٠ أن رفعت الحكومة المركزية (حكومة واشنطون) دعوى ضد اثنين أحدهما باع خمرا والآخر اشتراها ، وطلبت الحكومة معاقبة الاثنين باعتبارهما شركاء فى جريمة واحدة ، وأخذت هذه القضية تتنقل حتى وصلت الى المحكمة العليا التى حكمت بأن المشترى غير مسئول وأن العقوبة يجب أن تنحصر فى البائع ، وكان هذا الحكم صدمة كبيرة لدعاة الإلغاء لأنه جرأ الجمهور على شراء الخمور المهربة .

وفى سنة ١٩٣٢ دعا الديمقراطيون الى إعادة الخمور وكسبوا الانتخابات على هذا الأساس. وفى ٥ ديسمبر سنة ١٩٣٣ وافق ثلاثة أرباع الولايات على إعادة الخمور أى إلغاء قانون الإلغاء فأصبح بيع الخمور مباحا .

ولكن الحركة الداعية الى منع الخمور لم تمت ، بل هى الآن فى ازدياد ونمو ، وأعظم دعاتها الان كما كانوا قبل عشرين أو خمسين سنة من القسيسين والصناعيين ، كما يدل على ذلك كتاب أخرج سنة ١٩٣٣ بعنوان "نحو ضبط الخمور" ألفه القسيس فوزديك والصناعى روكفيلر (ابن الثرى المليونى روكفيلر) والصحفى سكوت .

وهؤلاء الثلاثة يدعون إلى تحديد الخمور ومنع بيع المشروبات الثقيلة مثل الوسكى أو الكونياك والترخيص ببيع الخمور الخفيفة مثل النبيذ أو البيرة .

ومن المزاعم التى كان يزعمها دعاة الخمور أيام الإلغاء أن العربدة كثرت بالإلغاء ، ولكن هذه المزاعم تنقضها الإحصاءات الجديدة بعد العودة الى الخمور ، فقد زادت حوادث السكر التى أدت سنة ١٩٣٦ الى "مخالفات" مسجلة تزيد ١٠٢,٦ فى المئة على ما كانت عليه سنة ١٩٣٢ وتبلغ الوفيات من التسمم الكحولى نحو ١٠٠,٠٠٠ كل عام ، وكانت حوادث القتل بالاتومبيل التى ثبت فيها سكر السواقين سنة ١٩٣٣ تبلغ ٢٣٩٤٣ حادثة فزادت إلى ٣٥٥٦٢ حادثة سنة ١٩٣٤ أى بزيادة ٥٥ فى المئة فى سنة واحدة .

والحركة القائمة الآن فى الولايات للعودة الى المنع قوية وهى تتجه نحو الغاء الخمور الثقيلة وزياد الرقابة الحكومية على نحو الأسلوب المتبع فى أسوج حيث لا تباع للجمهور غير الخمور المخففة التى تحتوى مقدارا صغيرا من الكحول ، والبائع فى الحانة هو موظف من موظفى الحكومة وهو لا يعطى الخمر لمن يبدو عليه السكر كما أنه لا يبيع الزجاجات إلا ببطاقات شهرية حتى لا يمكن أحدا أن يشترى ما يشاء ويشرب فى البيت . وفى فنلندا نظام أكثر تقييدا من هذا النظام وأقرب الى المنع التام .

واعتقادنا أن حركة الالغاء فى الولايات المتحدة تنمو نموا متواصلا . وأعظم ما يقويها كثرة الحوادث من الأتومبيلات التى يسوقها أصحابها وهم منتشون أو سكارى .

جموح المادية

بقلم الدكتور منصور فهمى بك

مدير دار الكتب المصرية والعضو بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

تشيع عبارة المادية على ألسن الكثيرين دون أن يتصوروا معناها على نحو ما يتصوره العلماء والفلاسفة ، ففى حين يقصد هؤلاء بتلك العبارة مجموعة من النظريات ترمى الى رد حقائق الأشياء لجسم يحس ومادة ذات أبعاد ، فقد يفهم الكثيرون من عبارة المادية نزعة تتغلب بها الشهوات الجثمانية فى مسلك الإنسان وتصرفاته . وقد يقصد الناس كذلك من تلك العبارة نزعة التشريف لمركز المال فى نفوسهم فيعنون بتكديسه واستكثاره . وقد يتصورون من المادية أنها تلك الحياة الاجتماعية التى تتغلغل فيها سلسلة الآلات فى الإنتاج الاقتصادى والتواصل بين الناس وما الى ذلك مما تتشخص به الحضارات الصناعية . فإبهام معنى المادية اذن يصح استخدامه اجمالا على إطلاقة فى خضوع الإنسان لشهواته الوضيعة على حساب شهواته الرفيعة ولتغليب أنانيته وأثرته على حساب الإيثار والتراحم . وفى شدة حرصه على تلاد الدنيا على حساب زهادته فيها . وعلى اندفاعه فى النضال الحيوى واسرافه فى الكفاح على حساب الهوادة والقصد .

وليس من شك فى أن المادية نزعة من نزعات البشر وأصل من أصول هذا الوجود ، وأن مختلف مظاهرها يتصل بصور هذه الحياة الإجتماعية اتصالا وثيقا . فحواس الإنسان لها حاجات واقعية ملحة من هذا الكون المادى وأنانية المرء وتقديره لنفسه غريزة من الغرائز الثابتة . وحرص الإنسان على الأموال ومتع الحياة من الخصال التى اتصف بها البشر من غابر الزمان ودفع الناس بعضهم بعضا فى ميدان الكفاح من الأمور التى تزج بهم فى التراحم والقصد فى الأعمال .

كل أولئك من المسلمات التى يؤيدها الواقع وما كان لأحد من المفكرين والفلاسفة أن يحاول نكران المادية أو يطمع فى إزالتها من طبائع الوجود . بل قد أدرك المصلحون أن للحياة المادية قيمها وأقدارها وقدرت الديانات لها شأنها . فكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول (نعم المال الصالح للرجل الصالح ، ونعم العون على تقوى الله المال) وجاء فى القرآن يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق وفى كتب الأخلاقيين من علماء المسلمين أنه قيل لبعض الحكماء : ما النعيم ؟ فقال : الغنى فإنى رأيت الفقير لا عيش له فقيل لهذا

الحكيم زدنا . فقال : الأمن . فانى رأيت الخائف لا عيش له . فقيل زدنا . فقال : الشباب . فانى رأيت الهرم لا عيش له .

وقد اعترف الإسلام وأئمته بقيمة الجمال المادى فقال صلى الله عليه وسلم : (اطلبوا الخير عند صباح الوجوه). وروى عن عمر أنه قال : (اذا بعثتم رسولا فابعثوا حسن الوجه حسن الاسم) وذهب الفقهاء إلى أنه اذا تساوت درجة المسلمين فأحسنهم وجها أولاهم بالإمامة ، وفى هذه الشواهد دليل على أن نعم المال والعافية والشباب والجمال من النعم المشروعة التى اعتبرها الدين وأقرها العقل والتفكير . وليست هذه النعم وحدها هى التى تتشخص بها الحياة المادية فهناك نعم أخرى كنعم الجاه والاعتزاز بالحسب والعصبات والأعوان والطموح الى الزعم والتسلط ونعمة طول العمر والسلامة وبعض ضروب الأنانية .

وقد روج الكثيرون من أئمة الفكر عند الشرقيين وعند الغربيين لقيمة هذه النعم ، وفى الآثار الإسلامية ما يؤيد الحرص على الذرية والتكاثر فيها . قال صلى الله عليه وسلم : (النكاح سنتى فمن أحب فطرتى فليستن بسنتى). وقال عليه الصلاة والسلام : (من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا). وقال صلى الله عليه وسلم ، (اذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) .

وفى السنة حث على تجويد النسل والاعتزاز بالعصبات . قال عليه الصلاة والسلام : (استجيدوا الخال فان العرق دساس) . وقال صلى الله عليه وسلم : (تخيروا لنطفكم فانكحوا الاكفاء وانكحوا إليهم) .

بل ان أمثال هذه النعم المادية قد لا يحتاج الى التدليل على قيمته بما أثر عن المصلحين والأنبياء . ففى ذوق الناس وسلامة فطرهم وتجارب حياتهم الاجتماعية ما يؤكد لهم قيمتها . وحسب المرء أن يتأمل قليلا ليجد فى الحياة المادية على اختلاف صورها سحرا جاذبا قد لا يقاوم . وقيما خلابة مغرية لا يستهان بسلطانها على النفوس .

على أن فى بعض الدواء سما وفى بعض السم دواء ورب ضارة نافعة ورب نافعة من وجه ضارة من وجه آخر . فكما تدفع شهوة الطعام الى صحة الأعضاء فقد تدفع الى ما فيه هلاكها . كما تدفع الرغبة فى جمع المال الى بلوغ الحاجات ، فقد يدفع الحرص عليه الى الحرمان من هذه الحاجات ، وكما يكون السعى فى سبيل المال بالغا بصاحبه الى الخير ، كذلك قد ينتهى به الى الشر والعدوان .

وليس من شك فى أن المدنية الحاضرة تقوم قواعدها على أمس من المظاهر المادية . ولهذا تتجه فيها الأفئدة الى لذات المال والجاه وسائر الشهوات البدنية من متع المأكل والملبس والمنظر وما الى ذلك مما يدخل فى حظيرة العيش المادى . وليس من شك كذلك

فى أن المثل العليا فى هـذا العصر تنقلب الى مطالب مادية بخلاف ما كانت عليه فى بعض العصور الغابرة . فان أكثرها كان أدنى الى المعنويات من الماديات وبخاصة فى أعصر الأنبياء والقديسين .

إن النعم التى تجود بها الحضارة الراهنة كثيرة ومتنوعة فمنها ما تهيأ عن الاكتشافات العلمية ومنها ما استقر من تطور لشرائع والعادات ومنها ما تخلف عن التطورات الكونية الطبيعية . على أن هذه النعم التى تجل عن أن تحصى يستخدمها الانسان استخداما باطلا ، ومن ثم تجمح جموحا ينأى به عن مقاصد الصواب والخير ، فمثلها كمثل الفرس التى لا يحسن فارسها ركوبها ورياضتها فيضطرها سوء القيادة للتخبط والزلل .

فقد يؤدى حب المال للرجل الى التورط فى الحرمان من متع خلقت للإنسان والمال سبيله اليها ، فكم من شحيح لم ينله من ماله إلا هم الجمع ومشقة الاكتناز . وكم من شخص أهدر الكرامة فى سبيل الاستكثار من متاع الدنيا حين اشتراه بذلة النفس وهوان القدر .

وكم من شخص هوى الى ارتكاب الجرائم وتردى فى ظلمة السجون بجشعه وطمعه . بل وكم من أمة وجماعة يذكرها التاريخ أهلكها طلب الثراء والاستغراق فى المتع . وكم من الناس والطوائف قد أساء اليهم سوء توزيع المال بينهم ، وأطاع نفوسهم . وظلم بعضهم بعضا ففوت هذا التوزيع السيء والطمع المزرى والظلم المبين على العديدين منهم كثيرا من نعم الله المعدة لهم ومتع الحياة الممهدة اليهم .

ولعل أكثر الحروب الحديثة قامت بسبب الاستزادة من الثراء والتوسع فى الاستعمار استزادة دفع اليها الإسراف فى الجشع أو الافتتان بالعزة والسلطان .

وكذلك قد يجر الإغراق فى الشهوات وأمور أخرى الى أسوأ العواقب ، فالذين أسرفوا فى شهوات بطونهم والذين بالغوا فى أناقتهم وشهوات لباسهم والذين تمادوا فى ترفهم ، كل أولئك قد أصابهم حرمان من الصحة والرجولة وفضيلة الاحتمال . وكذلك قد يسرف الناس فى أنانيتهم وتوفير أسباب اهناء لأنفسهم باتقاء ما تدعو اليه العناية بالبنين من قيود وتكاليف وتبعات ، فكم من أزواج قاوموا سنة الله فى بقاء النسل ولا دافع لهم الا إيثار الراحة والأنانية . لكن هؤلاء الأفراد قد عوقبوا بأقسى العقوبات فى أنفسهم وأوطانهم جزاء غلوهم فى الأنانية وإيثار الدعة . وكذلك قد يسرف الناس فى طلب الجاه والاعتزاز بالعصبات فيؤدى بهم ذلك الى التصلف ويورثهم كراهة الناس بل قد يسرف بعض الشعوب فى التزيد من أدوات الكفاح والقتال فينتهى بهم ذلك الى الاندفاع فى الحروب والانزلاق فى مهاوى الدمار والخراب بل قد تغرق الشعوب فى الاستزادة من آلات التعمير وأدوات الصناعة والفن والترفيه فينقلب

عمرانها الى خراب حين تشل الأيدى عن الأعمال و يطغى جيش المتعطلين فتتزعزع أسس الأوضاع العمرانية القائمة على طبيعة الفروق الفطرية العادلة بين الناس والمستندة على وجود الطبقات الاجتماعية والمستمدة من ترابطها وتقررها على اختلاف المراتب والأحوال .

وعلى الجملة فما قدمنا على سبيل الاستشهاد والمثال ترى أن المدنية الحاضرة مريضة بالإغراق فى المادية مصابة بجموح هذه الحياة المادية وما يترتب على هذا الجموح من الشر والفوضى والانحلال .

ويلوح لى أن المفكرين قد يتبينون مساوئ هذا الجموح المادى فى مدنية العالم فعلهم عاملون على درء أخطاره . ولعل خير علاج لذلك هو مبدأ الاعتدال الذى طالما نبه الى شرفه علماء الأخلاق فى الغابر والحاضر وأوصت باتباعه الديانات ، ففى القرآن حث على هذا الاعتدال حيث أمر الله عباده ألا يطغوا فى الميزان وأن يقيموا الوزن بالقسط ولا يخسروا الميزان ، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط وأن يأكلوا ويشربوا ولا يسرفوا ، الى غير ذلك من الإرشادات الحكيمة التى ترمى الى وجوب مسلك الاعتدال فى الحياة . والمقصود بالاعتدال هو ألا تطغى الأنانية على الإنسان طغيانا ينسى معه حاجات غيره وواجبه حيالهم ومعاونتهم ليصيبهم قسط من الخيرات والحظوظ التى يصيب منها . فمع أن الناس لا بد أن تتفاوت حظوظهم إلا أن هناك ما يوجب الارتباط النسبى والتقارب والتناسق بين هذه الحظوظ لمصلحة الحياة الاجتماعية الصحيحة .

ولعله يكون من أقوى الأسباب التى تحصر مساوئ الحياة المادية التى تسن التشريعات المحلية والدولية التى تحد من الإسراف فى هذه الحياة أن تيسر الأسباب المتعددة المختلفة النواحى لجريان الحياة المعنوية فى الشعوب وتيسير سريانها بين الناس بشتى الوسائل التى تخدم بها الحياة المعنوية وتتشرب فيها الأنانية روح الغيرية وعلى هذا الأساس يجب أن يروج المروجون للأخلاق التى تحض على فضائل التراحم والتعاون والرجولة وكبح الشهوات الحسية وتدفع للسعى المنتج وتخصيص بعض الأوقات وتهيأتها للتوجهات الروحية ، كل أولئك جدير بالشرقيين أن ينهجوا سبله فإن نفوسهم بحكم طبائعهم وتاريخهم لم تزل مستعدة لمقاومة طغيان الحياة المادية وجموحها .

منصور فهمى

العلم والشؤون الاجتماعية

بقلم الدكتور على مصطفى مشرفه بك

عميد كلية العلوم

فى مصر اليوم حركة ونشاط يرميان الى إصلاح شؤوننا الاجتماعية وتنظيمها . هذه الحركة وهذا النشاط صادران عن شعور بأن حياة الأمة الاجتماعية تتطلب الدرس وتتطلب العناية وتتطلب العمل . فالمجتمع المصرى فى مدننا ، وعلى وجه الخصوص فى قرانا ليس على الحال الذى ترتضيه له عزتنا القومية . والأمور فيه لا تسير على المنهاج الذى تتوخاه أمة تحرص على أن يكون لها مقام معلوم بين الأمم المتحضرة . من هذا نشأ الشعور بالحاجة الى الاصلاح ، ولأجل هذا تحركت النفوس ولأقلام ونشطت العقول والأيدى بغية العمل والتنظيم . هذه الحركة وهذا النشاط فى حاجة إلى توجيه . هما منبعثان عن حيوية الأمة أو عن قلبها . ولكن عقل الأمة وضميرها يجب أن يرسما الخطط ويهديا السبيل . يجب أن يتبينا البواعث والغايات وأن يدركاها على حقيقتها كما يجب أن يتفهما المجتمع وأن يدركاه هو أيضا على حقيقته ، ثم عليهما بعد ذلك أن يوجها هذا النشاط وتلك الحركة نحو تحقيق الغايات المنشودة .

كانت العناية بشؤون المجتمع فى الأزمنة السالفة تكاد تنحصر فيما يقوم به بعض الأفراد أو بعض الجماعات من أعمال البر والاحسان ، وكانت الدعوة فى ذلك توجه الى القلوب أكثر منها الى العقول . فالغنى اذا نظر الى الفقير تأثر لحاله وأطعمه أو أعطاه شيئا من ماله ، والصحيح القادر اذا رأى المريض الضعيف آواه وساعده على الشفاء من سقمه . وقد نظمت بعض هذه الأعمال فنشأت الجمعيات الخيرية والملاجئ والمستشفيات . والباعث فى كل هذا انما هو الرغبة فى خير البشر أو حب الانسان لأخيه ما يحبه لنفسه . هذا الباعث كان ولا يزال من أهم البواعث على العناية بشؤون المجتمع ، وهو باعث يجب على كل مشتغل بتنظيم الشؤون الاجتماعية أن يعطيه قيمته ووزنه . ثم حدث أن تنبه بعض المحسنين الى أن الفقر والمرض ليسا وحدهما هما اللذان يفتكان بالمجتمع بل أن الجهل أدهى وأمر ، فاتجهت الجمعيات الخيرية الى إنشاء المدارس ، وتألفت بعض الهيئات للعمل على رفع المستوى الفكرى والخلقى بين الطبقات الفقيرة فى المدن والقرى . وتنبه البعض الى فائدة الألعاب الرياضية فى المحافظة على سلامة

الجسم والنفس فتألفت اللجان والأندية الرياضية وأخذت تعمل على نشر الرياضة البدنية بين طبقات الأمة . ثم أدركت الدولة أن تنظيم الشؤون الاجتماعية أمر من الأمور التى تعنيها فأنشأت وزارة تختص به وتتفرغ له . كل هذه الأمور قد حدثت وشاع خبرها بيننا فهى لا تحتاج منى إلى تعريف . وقد كنا فى معظم هذه الأمور مسوقين الى حد ما بقوة خفية تحركنا نحو هدف مبهم فى نفوسنا نحسه ولا نكاد نتبينه . هذه القوة ناشئة عن حيوية الأمة التى هى مبعث هذه الحركة وذلك النشاط اللذين أشرت اليهما فى أول كلامى واللذين يقترنان بالرغبة فى إصلاح شؤوننا الاجتماعية .

أمامنا اليوم احتمالان . أولهما أن نستمر مسوقين الى حيث لا نكاد نتبين ، تاركين أمر تطورنا الاجتماعى إلى الصدف تلعب بنا كيف تشاء وتزج بنا فى غياهب لا نبراس لنا فيها ولا هدى ، فاذا سئلنا عن هدفنا أو عن سياستنا الاجتماعية تحاشينا الإجابة واحتمينا وراء العبارات المأثورة ننقلها عن غيرنا من الأمم المعاصرة لنا أو عن الأجيال السالفة منا ، وهذه هى العقلية السقيمة أو العقلية غير العلمية . والاحتمال الثانى هو أن نحكم العقل والمنطق السليم فندرس المجتمع المصرى دراسة علمية صحيحة ونقف على عيوبه وأدوائه ثم نرسم لنا سياسة رشيدة تصل بمجتمعنا المصرى الى ما نرجوه له من سعادة ورفاهية ، وهذه هى العقلية العلمية .

فالعلم هو قبل كل شىء وفوق كل شىء عقلية خاصة ، عقلية واقعية تنظر الى الحقيقة المجردة فى غير ما وجم أو تعام مهما تكن هذه الحقيقة مؤلمة أو ممضة ، ثم اذا هى استوعبتها وأدركتها حق ادراكها راحت تبنى عليها أقوالها وأفعالها مستندة الى التفكير السليم والمنطق الصحيح .

هذا إذن أول أثر للعلم فى شؤوننا الاجتماعية ، وهو أثر كما نرى عميق يرتبط بالطريقة ذاتها التى نعالج بها هذه الشؤون وبالكيفية التى نبنى بها سياستنا الاجتماعية .

وسينجم عن استخدام الطريقة العلمية فى شؤوننا الاجتماعية أن نتعرف حقيقة تكوين المجتمع المصرى من نواحيه المختلفة : من الناحية الاقتصادية وسوء توزيع الثروة بين أفراده ، ومن ناحية الصحة والمرض وكيف أن الأمراض المستوطنة وغير المستوطنة تفتك به فتكا ذريعا ، ومن ناحية التعليم ومقدار انتشار الجهل بين طبقاته . كذلك فى دراسة عادات المجتمع نستطيع أن نتعرف العادات الاجتماعية التى تعمل على ازدياد الثروة والصحة والتعليم والعادات التى تؤدى الى زيادة الفقر والمرض والجهل .

وكما أن العلم يهب لنا طريقة فى البحث ومنهاجا فى الاستقصاء ، فانه فى الوقت ذاته يساعدنا على حل المشكلات الاجتماعية التى نجد أنفسنا أمامها . لنأخذ مثلا مشكلة القرية المصرية

تلك المشكلة التى تستلفت نظر كل ذى عينين وتعتبر وصمة فى جبين الأمة بأسرها . اننا اذا رجعنا الى الاحصاءات وجدنا أن أكثر من ٨٠ ٪ من الأموال العامة فى مصر تصرف فى المدن مع أن مجموع سكان المدن لا يصل الى ٢٠ ٪ من مجموع السكان . هنا يساعدنا علم الاحصاء على تفهم المشكلة من الناحية الاقتصادية وهو فى الوقت ذاته يبين لنا الاتجاه الصحيح لحلها . أما عن الصحة والمرض، فان العلم الحديث عدا ما يضعه فى أيدينا من وسائل لعلاج الأمراض ، يدلنا فى الوقت نفسه على أن مجرد الاكثار من المستشفيات وأطباء العلاج لا يكفى ، فالمرض له أسباب وكثير من هذه الأسباب معروف، واذن فبدلا من أن نترك الناس يتعرضون للأمراض لجهلهم بأسبابها وجب على القائمين على شؤون المجتمع أن ينبهوهم الى هذه الأسباب وأن يرشدوهم الى كيفية تحاشى التعرض لها ، وهذا يكون بتعويدهم النظافة وبث الدعوة الصحية بينهم . وأما عن الجهل فمن نافلة القول ان العلم ضد الجهل فهنا يكون العلم ذاته هو الدواء ولا حاجة به الى أن يدلنا على دواء آخر لمشكلتنا الاجتماعية .

وكما أن الوقاية من الأمراض خير من علاجها بعد الوقوع فيها، فإن الوقاية من الفقر خير من الإحسان الى الفقراء . وقد ظل الناس سنين متعاقبة يحسنون الى الفقير باعطائه شيئا من مالهم ومع ذلك بقى الفقر منتشرا بين الناس . ولا شك فى أن التصدق ينشأ عنه اغتباط روحى عند المتصدق كما ينشأ عنه سد وقتى لحاجة المتصدق عليه ، ولكن العلم لا يكتفى بمثل هذه الحلول الوقتية، فالفقر مرض اجتماعى يجب استئصاله على قدر الاستطاعة بتوفير عمل مناسب لكل قادر على العمل ودفع أجر كاف لكل عامل . هنا نجد العلوم الاقتصادية والعلوم الاجتماعية تهب لنصرتنا وتساعدنا على وضع سياسة اجتماعية رشيدة تعطى فيها لكل قادر فرصة العمل والكسب .

عند ما قرأت هذه العبارة الأخيرة على أحد أصدقائى قال لى فى شىء من الدعابة : "لقد صدقناك عند ما كنت تتكلم عن مداواة الأمراض والوقاية منها ومحاربة الجهل فكل هذه أمور يستطيع العلم أن يعالجها وله فضل مشهود به فيها، أما عن الفقر فكيف يستطيع العلم أن يزيله ؟ كيف يستطيع العلم مثلا أن يرفع مستوى معيشة الفلاح المصرى والثروة المصرية محدودة ونحن لا نعتمد على غير ثروتنا الزراعية ، فهل يستطيع العلم أن يخلق لنا الذهب أم ماذا ؟" قال لى ذلك كما ذكرت مداعبا ظانا منه أن العلم مهما ادعى لنفسه من مزايا فهو لن يدعى القدرة على خلق المال خلقا . ومع ذلك فان إنماء الثروة بل وخلقها إنما هو أثر من آثار العلم . وفى مصر على وجه الخصوص لا تزال ثروتنا المعدنية وغير المعدنية معطلة

لا نستفيد منها ، فالحديد كما نعلم قد كشف عنه بفضل العلم فى منطقة أسوان ، واستنباط القدرة الكهربائية من حركة المياه كسد أسوان وغيره وانشاء الصناعات الكثيرة التى نستطيع بفضل العلم أن ننشئها ، كل أولئك وغيرها طرق لخلق الثروة أو بعبارة أضبط لإبراز الثروة الكامنة وتحويلها الى مال يدفع عنا الفقر ويدر علينا الخيرات العديدة . فالثروة الحقيقية للأمم منشؤها عقول أبنائها وما يبذلون من المجهود المنتج للاستفادة مما حولهم من قوى الطبيعة ومواردها. وقد عاش الهنود الحمر فى أمريكا أجيالا لم ينعموا فيها بثراء ، فلما دخلها أهل أوربا حولوا أراضيها الى جنات وجعلوا منها أغنى بلاد فى العالم .

وبعد فمن أظهر العيوب فى شؤوننا الاجتماعية البعد عن الترتيب أو انعدام النظام. فالقرية المصرية لا نظام لها فى مظهرها الخارجى ، والمدينة المصرية ينقصها التنسيق ، وحياة الأسرة يعوزها التوقيت وحسن التدبير .

هذا العيب قد ظهر بوضوح لكل من سافر منا إلى بلاد الحضارة الغربية وقارن بين قراهم وقرانا ، بين مدنهم ومدننا ، بين حياتهم وحياتنا . والفرق بيننا وبينهم فى ذلك كبير وشاسع إلى حد يكاد يزعزع فينا إيماننا بأنفسنا ويحملنا على الاعتقاد بأننا ننقص عنهم فى عنصر من عناصر تكويننا الرئيسية . غير أن شيئا من التفكير يدلنا على أن الأمر أهون من ذلك بكثير ، فانتفاء النظام من قرانا وعن مدننا وعن حياتنا إنما هو أثر من آثار انتفاء النظام من تفكيرنا وصورة من صوره . فالعقلية المنظمة توجد الحياة المنظمة ، والعقلية المختلطة المبعثرة تنتج الاختلاط والبعثرة . وهنا يظهر أثر العلم واضحا فى الشؤون الاجتماعية ، إذ أن العقلية العلمية إن امتازت بشىء فإنما تمتاز بحب النظام و بالعمل على التنظيم : فالعقول التى تدرك قوانين الطبيعة وتقف على السنن المنظمة للكون ، بما يتجلى فيها من بديع التنسيق و جميل التآلف ، هذه العقول لا يمكن أن ترضى بالفوضى فى شىء مما حولها ، بل تعمل على إيجاد النظام فى حياة الفرد وفى حياة الأسرة كما تعمل على تنسيق المظهر الخارجى للقرية إن كانت تعيش فى القرية أو تعنى بأمرها ، وفى المدينة إذا سكنتها أو ارتبطت بها. فلننشر العلم إذن فى قرانا وفى مدننا ولنكسب الجيل الناشئ عقلية علمية منظمة فنكون بذلك قد قضينا على مرض من أفتك أمراضنا بالمجتمع وداوينا عيبا من أظهر عيوبنا القومية . ومن العيوب الاجتماعية الظاهرة فى مصر عدم الاتقان فى العمل فالصانع لا يتقن صنعته والعامل لا يتقن عمله والمحترف لا يتقن حرفته ، بل إن كثيرا من المتعلمين بيننا لا يتقنون إدارة الأعمال التى يديرونها. والاتقان صفة من صفات العقل المدقق ، العقل الذى يطلب الكمال فيما يصنع والذى يفكر فى الصغيرة والكبيرة فلا تفوته التفاصيل ولا يتهاون أو يهمل فى أمر من الأمور صغر

هذا الأمر كبير . ومن الأمثلة الشائعة بين الانجليز أنه إذا كان عمل يستحق أن يعمل فإنه يستحق أن يعمل بإتقان . والإتقان مبنى على دقة الملاحظة وسلامة التفكير. ولا شك فى أن الدراسات العلمية تنمى فى المرء دقة الملاحظة. فالطبيعة أروع مثال من أمثلة "الإتقان" فى الصنع . والذى يدرس الطبيعة بما فيها من موجودات منها ما صغر ودق حتى لا تراه العين إلا بمنظار مكبر ومنها ما هو دون ذلك من الذرات وأشباهها ، وبما فيها من نجوم وعوالم تصل أبعادها إلى ملايين الملايين من الكيلومترات ، إن الذى يدرس كل هذا ويتعلم أن الخلية الصغيرة تكون الكائنات الكبيرة وأن العوالم العظيمة مؤلفة من ذرات ضئيلة بطريقة متقنة محكمة الصنع ، هذا الذى يدرس هذه الأمور ويتفهم كنهها لا يستطيع إلا أن يعنى بكل صغيرة وكبيرة فيما يصنع وإلا أن يكون موفقا فى كل ما يفعل .

ليس أدل على فضل العلم وأثره فى تنظيم الشؤون الاجتماعية من أن الأمم التى أخذت به واهتدت بهديه قد أفلحت فى تنظيم هذه الشؤون والارتفاع بها من المستوى المنخفض الذى نجده فى الأمم المتأخرة الى درجة من السمو تظهر واضحة لكل مطلع على أحوال الشعوب ملم بشؤونها .

ونحن فى مصر أحوج ما نكون الى الأخذ بنتائج العلم فى ميادينه المختلفة والتشبع بالعقلية العلمية كيما نصل الى ما وصل اليه غيرنا من رفع حال العامل والفلاح وزيادة الثروة القومية ووقاية الشعب من المرض والفقر والقضاء على الجهالات التى تعبث بكيان الأمة وتحول بينها وبين القوة والعزة والفلاح .

ولقد ذكرت فى بداية هذا الموضوع أن من أهم البواعث على العناية بشؤون المجتمع ، الرغبة فى خير البشر أى ذلك الحب فى الخير الذى تمتاز به النفوس المطمئنة والذى هو أساس إيماننا بمصير البشرية . وإنى اذ أنوه هنا بفضل العلم فى تنظيم الشؤون الاجتماعية وتوجيه الجهود فى هذا السبيل ، أريد أن أنوه فى الوقت ذاته بان العقلية العلمية التى أشرت اليها يجب أن تقترن بتلك الرغبة فى الخير ، فهذه الرغبة يجب أن تحدو العلم عند ما يخرج الى ميدان العمل ويهيمن على شؤون البشر ومن اقتران هذين العنصرين تتولد الحضارة ويزدهر المجتمع ونصل بمصرنا إن شاء الله الى ما نرجوه لها من سعادة ورفاهية .

على مصطفى مشرفة

كيف نحبب العمل الى الصبيان

وقيمة العمل فى المجتمع

من أقوال برنارد شو إن الرجل الصالح هو الذى يترك العالم عند وفاته وقد أنتج له أكثر مما استهلك منه . وقد نجد أقيسة أخرى للرجل الصالح ، ولكن لا شك فى أن هذا القياس كاف ، لأن الشخص الذى يستهلك فى حياته أكثر مما ينتج إنما يعيش بعض حياته عالة على كد غيره ، وليس هذا مستساغا إلا فى ظروف خارجة عن إرادته كأن يموت الأبوان قبل أن يبلغ سن العمل أو كأن يصاب بمرض يعوقه عن الانتاج .

ومن هنا كانت الضرورة المحتومة على كل مجتمع أن يعلم أفراده قيمة العمل و يعودهم عادات العمل المنظم و يوجههم وجهة الانتاج منذ أيام الطفولة ، حتى ينشأ الفرد وهو يحس إحساسا يكاد يكون إيمانا بأن العمل فرض يقتضيه الصلاح الإنسانى وأنه لا يجوز للرجل البار أن يعيش دون أن ينتج .

إن للجرائم أسبابا كثيرة ليس جهل هذه الحقيقة أقلها . فان كثيرا من الناس ينشأون فى بيوت قد سادها التدليل فقضوا صباهم وهم يجدون ما يطلبون بلا عناء كأن الأشياء تأتى اليهم بمجرد طلبها ، ينادون فيستجاب لهم و يأمرون فيطاعون . وهذا الأسلوب الذى تعلموه فى الصبا يلازمهم فى الشباب والكهولة ، فكأنهم يريدون أن يعيشوا دون أن ينتجوا وما ذلك إلا لأنهم لم يتعودوا العمل منذ صباهم . وأمثال هؤلاء قد يستطيعون العيش هانئين وادعين اذا كانوا قد ورثوا عقارا يغل ريعا يؤمنهم و يكفيهم عند الحاجة ، ولكنهم حين لا يجدون مثل هذا الرزق الموروث يتجهون نحو الإجرام ، لأن المجرم يرى أيسر عليه أن يختطف أو يسرق أو يغش أو يزور من أن يقهر نفسه كل يوم على العمل لكى يكسب آخر الشهر أو آخر الأسبوع ما يعيش به إذ هو لم يتعود هذه المرانة التى تعد نفسية كما هى يدوية أو ذهنية ، لأن المتمرن على العمل لا يستطيع أن يرتاح الى البطالة ، بل إنه ليجد السعادة فى مداومة هذا العمل ، وهى واجب مطلوب كما هى حق منشود له لذته بل له سحره .

ولذلك يتجه الإصلاح فى السجون على الدوام الى تعليم المسجون عملا يمكنه أن يعيش منه حين يفرج عنه . ولكن يجب ألا نخدع أنفسنا . فان العمل لا ينقص المسجونين . و إنما المرانة النفسية والرغبة الاجتماعية هما ما ينقصانهم . وصحيح أن كثيرا من المسجونين لا يحذق عملا معينا . ولكن لو كان كل من لا يحذق عملا يجنح إلى ارتكاب جريمة لكى يعيش لامتلأت

سجوننا بمئات الألوف . والواقع أن هناك كثيرين من الناس يعملون وينتجون فى غير حذق لصناعة معينة . ومع ذلك فالمجتمع محتاج إلى عملهم هذا مهما بعد عن حدود الكمال والاتقان . وهذا هو الشأن مثلا فى " الفاعل " الذى يعمل بلا حذق فيخدم يوما فى تمهيد الطريق ، ويوما فى بناء المنزل أو فى غير ذلك . وإنما هو يمتاز بشىء واحد هو أنه يحس فى نفسه ميلا الى العمل وإقبالا عليه . وكرها للبطالة وعدم ارتياح اليها ، وهذا ما نسميه المرانة النفسية للعمل التى نشأت من أنه اتجه منذ صباه الى أنه لكى يعيش يجب أن يعمل وينتج وصار له هذا الاتجاه أسلوبا للحياة فوقاه من الإجرام والسجن .

ولهذا السبب يجب أن نعوّد الصبى العمل . ويجب أن نبدأ به وهو طفل فى الخامسة أو السادسة من العمر بأن نكلفه بعض الواجبات الخفيفة التى لا يقصد منها غير المرانة والاتجاه وغرس الأسلوب السلوكى . ونحن فى مصر نحتقر عمل البيت ونستكثر من الخدم لأن أجور الخدم — وخاصة عندما نجلبهم من الريف — رخيصة جدا . ولذلك لا نطلب من أولادنا تنظيف إحدى الغرف أو ترتيب الكراسى أو وضع المائدة . وقد تشب الفتاة إلى أن تبلغ الخامسة عشرة وهى مع ذلك تجهل أصول الطبخ . وقد تعارض أمها فى تعليمها الطبخ لأنها — كما تقول — سوف تكون لها خادمة تهيىء لها الطعام . ولكن ليست قيمة الطبخ هنا اقتصادية وإنما هى أخلاقية إذ هى اشعار الفتاة بضرورة العمل وقيمته وأن الإنسان فى هذه الدنيا يجب — لكى يعيش — أن ينتج وينفع .

وبدهى أن المغزى هنا أوقع فعلا وأبلغ أثرا فى الفتى أكثر منه فى الفتاة . لأن مجتمعنا يطالبه بالإنتاج أكثر مما يطالبها . فيجب لهذا السبب أن نبدأ معه وهو فى سن الطفولة ، وأن نعين له مكافآت مالية — غير مصروفه اليومى — لأعمال مختلفة يؤديها حتى ينغرس فى ذهنه مبدأ الكسب من العمل .

وهنا نجد شيئا لا يجوز أن نغفله . فان القاضى لندسى الذى قضى نحو عشرين سنة وهو ينظر فى قضايا الصبيان المجرمين يرى أن الإجازة المدرسية السنوية تطول أكثر مما يجب وهى بطولها تعوّد الصبيان عادات التشرد واللعب وقضاء الأيام المتوالية بلا واجبات يكلفونها . ولذلك ينصح بألا تزيد الإجازات المدرسية السنوية على أسبوعين . ويجب أن نذكر هنا أن الإجازات السنوية فى كل من أمريكا وأوربا لا تزيد على شهرين . وهى عندنا تبلغ أحيانا أربعة أشهر . ولا بد أن لهذه المدة الطويلة أثرا سيئا فى الأخلاق من حيث الإهمال للمرانة النفسية على العمل ، وفى التقدم الدراسى من حيث الإهمال للمذاكرة . ونظن أن هذا الموضوع يستحق الدرس وإعادة النظر عند رجال وزارة المعارف .

والصبي في الريف يختلف من هذه الناحية عن الصبي في المدينة . لأن الأول يجد في الأعمال الزراعية الكثيرة ومصاحبة أبيه أو أمه إلى الحقل ومساعدتهما في واجباتهما ما يجعله يحس كرامة العمل وضرورته ويتخذ من العمل والانتاج شاغلا لحياته . أما صبي المدينة فلا يجد هذا الحافز وقت تعطله من المدرسة سواء أكان هذا التعطل جزءا من اليوم أم أياما متوالية في إجازة طويلة . وهذا هو السبب في أن الصبيان المحرمين ينبتون وينمون في بيئة المدينة لا في بيئة الريف . ومستفرخ جرائمهم هو الشارع والزقاق والترام وأماكن اللهو . ومثل هذا التعطل واستنباط الحيل لاستغلاله بالاجرام لا يوجدان في الريف .

وخلاصة القول إننا يجب أن نغرس حب العمل في الصبيان وأن نجعل العمل عندهم حاجة نفسية وكرامة انسانية وعقيدة راسخة بحيث يحسون حين يشبون أنه ليس من حق أحد أن يعيش ما دام لا ينتج . ويجب لذلك أن نجعل تعطلهم قصيرا مملوءا بالألعاب المفيدة المرفهة . لا طويلا ينسيهم عادة العمل . كما يجب بالطبع أن نعلمهم صناعة يعيشون منها تشعرهم بفائدتهم وتنجيهم من التعطل . وتشعرهم قبل كل شيء بأنهم يتعاونون مع المجتمع بعملهم وكدهم حتى يحسوا أن هذا المجتمع هو صديقهم يتبادلون وإياه المنفعة وأنهم ليسوا عيالا عليه يقتنصون منه الفائدة دون أن يردوا عليه مثلها من كدهم .

ويجب ألا نرمي من قيمة العمل وتحبيبه الى الصبيان الى غاية اقتصادية لأن الغاية الأخلاقية هنا أهم وأخطر . فان الأخلاق إنما تعلم بالمزاولة . فنحن نحس البر حين نتصدق ونسعف الفقير ونجبر المهيض . ونحس الوطنية حين نكتتب لمشروع عام . وهكذا الشأن في الخدمة . فإن الصبي وهو يخدم عائلته أو أصدقاءه يحس التعاون والكرامة . وهذا التعاون هو حب عام للمجتمع يحول دون الجريمة . وهذه الكرامة هي كبرياء وشخصية تمنع من ارتكاب الدنايا .

من روائع الأدب العربي

قال نصير الدين الحامي المصري يصف داره :

ودارٍ خرابٍ بها قد نزلت ... ولكن نزلت الى السابعة
فلا فرق بين أنّي أكون ... بها أو أكون على القارعة
تساورها هفوات النسيم ... فتصفى بلا أذن سامعة
وأخشى بها أن أقيم الصلاة ... فتسجد حيطانها الراكعة
إذا ما قرأت : اذا زُلزلت ، ... خشيت بأن تقرأ الواقعة

الشؤون الاجتماعية والشؤون الاقتصادية

لحضرة صاحب العزة محمد صلاح الدين بك

مراقب مصلحة المشروعات والأبحاث بوزارة التجارة والصناعة

ارتباط الشؤون الاجتماعية بالشؤون الاقتصادية فى أى بلد من البلاد ، موضوع بحث يستفيض حتى لا تتسع له صفحات مجلة فيحتاج إلى مصنف كبير . بيد أنى إذ أجيب رغبة " مجلة الشؤون الاجتماعية " وأعرض لهذا الموضوع فى الحيز الذى تمنحنيه ، لا أستطيع إلا أن أتناوله بالإجمال تاركا للكتب استيعاب ما يتصل به من دقائق وتفاصيل .

ولعل خير ما أوجز به هذا البحث وأقربه الى أذهان القراء هو أن أوضح الصلة القوية التى تصل وزارة الشؤون الاجتماعية بوزارة التجارة والصناعة فى مصر ، إذ أن فى هذه الصلة الدائمة رغم استتارها ، وفى التعاون المتواصل بين هاتين الوزارتين ، ما يلقى ضوءا ساطعا ينير الارتباط الوثيق بين شؤوننا الاقتصادية وشؤوننا الاجتماعية .

إن النهضة الوطنية التى اشتعلت بها قلوب هذه الأمة بعد الحرب العظمى الماضية لم تقتصر على الناحية السياسية بل شملت كل مرافق الحياة ومطالبها ، فجاءت فى الواقع نهضة عامة متشعبة النواحى متعددة المظاهر والأشكال ، لها جانبها السياسى وهو الأهم ، ولها معه جوانب أخرى أدبية وفنية واقتصادية واجتماعية وثقافية وغيرها . وقد كانت نهضتنا الاقتصادية أهم هذه الجوانب وأظهرها بعد النهضة السياسية ، فبدأ المصريون يولون وجوههم جديا نحو المشروعات المالية والصناعية والتجارية ويوظفون أموالهم بها ويصيبون كثيرا من النجاح فى ميادينها ، وتوجه اهتمام الحكومة اليها فأنشأت مصلحة التجارة والصناعة فى سنة ١٩٢٠ واستحالت هذه المصلحة وزارة فى سنة ١٩٣٥ ، أما النهضة الاجتماعية فلم تكن معالمها ظاهرة بهذا الوضوح لأنها كانت تختلط فى أغلب الأحيان بغيرها أو تشترك معه أو تندمج فيه فتخفى بعض سماتها ولا تميز شخصيتها تماما ، ولكنها على تواضعها واستحيائها لم تكن أقل أهمية من سواها . ولعل فى مرونتها مصدر الكثير من أهميتها ، فهى بهذه المرونة تدخل بنصيب على وجه التقريب فى كل نهضة أخرى فتشاركها بعض فضلها .

ولقد أنشئت وزارة الشؤون الاجتماعية فى العام الماضى فاختلف الناس فى أمرها . فصار بعضهم يحبذ إنشاءها وبعضهم يستنكره . أما الذى لم يختلفوا فيه فهو أهمية الشؤون الاجتماعية نفسها وواجب الحكومة فى الاهتمام بها وتوجيه العناية اليها . بل إن الذين ينتقدون

أن تكون لها وزارة قائمة بذاتها يقيمون فى الغالب حجتهم على أن الاهتمام بها فرض عين على كل وزارة من وزارات الحكومة بل كل إدارة من إداراتها .

وأهمية الشؤون الاجتماعية تستمد فى الواقع من طبيعة الحياة نفسها. فالانسان كما تعلمنا منذ الصغر مدنى بطبعه لايستغنى عن غيره، وهو يجتمع بأخيه الانسان فيتعاون معه أو يتنازع، ومن هذا الاجتماع تنشأ كل مسائل الحياة ومشاكلها. وواجب المصلحين وأولى الأمر توجيه الناس فى اجتماعهم إلى التعاون والتعاطف وروح الإخاء وصرفهم عن التنازع والتنافر وروح البغضاء ليسود الأمان ويعم الخير ويعمر العالم بالرخاء والهناء .

وتلك مهمة شاقة . لأن النفس البشرية مجبولة على الأنانية ، نزاعة إلى الطمع ، مهيأة للجماح، وللشر عليها سلطان وللشيطان وسواس .

وتلك المهمة الشاقة هى مهمة وزارة الشؤون الاجتماعية فى جملتها. وبمقدار صعوبة هذه المهمة وسمو غايتها نستطيع أن نتبين مبلغ أهميتها .

فاذا تركت الاجمال إلى بعض التفصيل وجب أن ألخص هذه المهمة فى ثلاثة أمور : تهذيب البدن، وتهذيب العقل، وتهذيب النفس والروح .

تهذيب البدن لينمو ويقوى ويصبح قادرا على العمل والسعى والجهاد فى هذه الحياة الدنيا.

وتهذيب العقل ليعرف الانسان كيف يستغل قواه ويستخدم نشاطه ويسخر فى خدمته ما جعل الله له فى الأرض والسماء من موارد وقوى .

وتهذيب النفس والروح ليتوجه سعى الأبدان وتدبير العقول إلى ما فيه الخير والسعادة لبنى الانسان جميعا .

وإلى جانب هذه الواجبات العامة التى هى أساس العمل الاجتماعى فى سائر البلاد تقوم مسائل معينة أخرى تتشكل فى كل بلد طبقا لظروف الأحوال فيه ، كمناخه وطبيعة أرضه وتطورات تاريخه ، وهى ما تسمى بالمسائل أو بالمشاكل الاجتماعية التى لا بأس من إيراد بعض الأمثلة على ما يقوم فى مصر منها :

مسألة الفقر الذى ينوء بكلكله على الأغلبية الساحقة من أبناء هذه الأمة فينغص حياتهم ويضنى صحتهم ويذل نفوسهم . وتتصل بهذه المسألة أو تتفرع عنها مسائل كثيرة غيرها كرفع مستوى الفلاحين وتحسين أحوال العمال وتنظيم الاحسان وتقريب مسافة التباين بين مستوى الحياة لدى مختلف الطبقات .

مسألة المتعلمين المتعطلين التى استفحل أمرها فى السنوات الأخيرة ولن يزال يستفحل حتى توجه المساعى الجدية لعلاجها .

مسألة الأسرة أو على الأصح مشاكل الأسرة. والأسرة كما لا يخفى أساس الأمة وعمادها إذا سعدت وقويت ورقيت كان فى ذلك سعادة الأمة وقوتها ورقيها .

التعاون فى شتى صوره وأشكاله وبين جميع الهيئات والطبقات وبخاصة بين الزراع لما للتعاون الزراعى من الأهمية الكبرى فى بلاد زراعية مثل بلادنا .

تنظيم الشباب وتقويم أموره وتوجيه نشاطه شطر المصلحة العامة قبل غيرها .

قد يقال : ولكن هذه المسائل كلها كانت تدخل فى اختصاصات وزارات غير وزارة الشؤون الاجتماعية كوزارة المعارف ووزارة الصحة العمومية ووزارة الزراعة ووزارة الداخلية ووزارة المالية .

فنقول : نعم ، وهذه كما أسلفت هى حجة الذين ينكرون أن تكون للشؤون الاجتماعية وزارة قائمة بنفسها . ولكننا وقد اخترنا أن تكون لنا وزارة مستقلة تختص بهذه الشؤون لا يتعذر علينا أن نرسم لهذه الوزارة حدودها الواضحة واختصاصاتها بجلية فى أداء مهمتها بالتعاون مع الوزارات الأخرى ، لأن كثيرا من الشؤون المذكورة تغلب فيه الصبغة الاجتماعية على ما عداها ، ولأنها جميعا تستلزم إعداد الرأى العام وتوجيهه ومعالجة الجماهير وبث الدعوة فيها ، وهو جانب من الأمور إذا استقلت به وزارة خاصة وتفرغت له أفنت فيه فأحسنت القيام عليه .

وينبغى أن لا يفوتنا أن الشؤون الاجتماعية التى كانت موزعة على مصالح الحكومة المختلفة إنما كانت أشتاتا تحتاج إلى من ينسقها ويتخصص لخدمتها والربط بينها وتوجيه الجهود إلى الأهم فالمهم منها . ولأجل هذا التخصص أوجدت وزارة للشؤون الاجتماعية .

تبين مما تقدم أن وزارة الشؤون الاجتماعية أنشئت للعناية بمسائل كثيرة كلها أقرب إلى الناحية المعنوية من نواحى الحياة ، ولكن الحياة لها ناحية أخرى لا تقل أهمية عن الناحية المعنوية ، وهى الناحية المادية ، ناحية المال . وما أدراك ما المال ! فهو مصدر القوة وعصب الكفاح وسبيل الانسانية إلى ما تصبو اليه من تقدم ورقى ورخاء .

وهنا أسمح لنفسى بأن أستطرد إلى الكلام عن وزارة التجارة والصناعة ، إذ أن هذا هو اختصاصها . أنشئت مصلحة التجارة والصناعة كما سلف القول فى سنة ١٩٢٠ وما زالت تنمو وتقوى وتتشعب أعمالها وتتضاعف الخدمات التى تؤديها حتى جعلت وزارة فى سنة ١٩٣٥ ، فهى بذلك أحدث الوزارات بعد وزارة الشؤون الاجتماعية ، ولكنها رغم حداثة إنشائها قد استطاعت فى هذه السنوات القلائل أن تثبت وجودها وتأخذ مكانها كوزارة من أهم وزارات الدولة وأنشطها ، ولم يقتصر وجوه نشاطها على المسائل التجارية والصناعية وحدها كما يفهم من اسمها ، ولكن شملت مختلف نواحى الحياة الاقتصادية حتى لترى لها فى كل منها جهدا مذكورا وسعيا مشكورا . فهى فى الواقع تتجه وتتطور بطبيعة سير الأمور الى الإشراف الفعلى على سائر

الشؤون الاقتصادية ، وهذا هو ما يدعو بعض ذوى الرأى وأولى الأمر إلى التفكير فى استكمال اختصاصاتها واستيفاء وسائلها وتعزيز الأيدى العاملة فيها و فى أن تضم اليها جميع المصالح والإدارات التى تعنى بالانتاج أو البحث الاقتصادى . ويقينى أنه لن يمضى وقت طويل حتى يتحقق ما يفكرون فيه فتصبح وزارة التجارة والصناعة بحق وزارة الاقتصاد القومى .

وكما بينت فيما تقدم ببعض الإسهاب رسالة وزارة الشؤون الاجتماعية ، أحب أن أفصل الآن رسالة وزارة التجارة والصناعة التى أميل إلى تسميتها " وزارة الشؤون الاقتصادية " .

تتلخص هذه الرسالة فى العناية بكل ما يفيد الثروة القومية وينميها . فمصر بحمد الله بلاد غنية الموارد ، سخية الاستعداد ، لها تربتها الخصبة ومعادنها الكثيرة القيمة ، ولها فى مورد الماء الذى يسقيها قوة محركة إذا استخدمت أغنتها عن الفحم وغيره من مواد الوقود ، وفى المصريين ذكاء فطرى ، ولهم صبر وجلد وإيمان ، غير أنهم أخلدوا إلى القناعة أول الأمر فكانوا يقنعون بزرع الأرض وجنى ثمارها . ولكنهم انتبهوا بعد ذلك فأخذوا يزدادون عناية بالمشروعات الصناعية والتجارية واتجاها إلى تنمية الثروة القومية ، وقطعوا فى ذلك شوطا قصيرا وبقى عليهم بقية الشوط وهو طويل .

فالثروة الزراعية نفسها لا تزال تحتاج إلى عناية كبيرة بمشروعات الرى والصرف وبإصلاح الأرض والاقتصاد فى تكاليف الإنتاج وتحسين النوع وتنويع الحاصلات .

والثروة المعدنية لا تزال على وجه التقريب بكرا لم يكتشف كثير منها وبعضها اكتشف ولم يستخرج كالحديد الذى كنا نحسد غيرنا من الأمم على وجوده عندها فلما اكتشفت كميات هائلة منه تركناها راقدة فى مناجمها تنتظر من يستخرجها .

والقوة المائية عرفنا مبلغ أهميتها ومقدار الفائدة التى يمكن أن تفيدها البلاد منها ولكننا أهملنا حتى الآن الانتفاع بها .

والصناعات الزراعية لا تزال قاصرة عن أن تسد حاجاتنا على وفرة خاماتها عندنا .

والصناعات الصغرى متعطشة إلى مضاعفة الإرشاد والاهتمام .

والصناعات الكبرى لا تزال فى خطواتها الأولى .

والثروة الحيوانية لا تتناسب مع أحوال بلاد زراعية كبلادنا .

ولدينا ثروة مائية مهمة تتطلب العناية بتربيتها وتنميتها واستخراجها وتصريفها .

ومصايفنا ومشاتينا فى حاجة ملحة إلى الإصلاح والرعاية لتقف ذلك السيل الدافق من المصريين الذين يقصدون كل عام إلى الممالك الأجنبية لترويح النفس فيها ولنجتذب آلاف السائحين يهرعون إلى مصر متزاحمين يتمتعون باعتدال جوها ومشاهدة مفاخر ماضيها .

والتجارة الداخلية تقتضى المزيد من التنظيم والتوجيه والإشراف وإنشاء الأسواق والمساحل وتأليف الغرف التجارية وتقوية نفوذها .

والتجارة الخارجية تستلزم جهدا موصولا فى بحث الميزان التجارى ودرس الأحوال الاقتصادية وفتح الأسواق الخارجية وعقد المعاهدات التجارية والدعاية للحصلات المصرية وتدبير أمور النقل البحرى وهكذا .

كل أولئك عبء ملقى على عاتق وزارة التجارة والصناعة وحدها أو بالاشتراك والتعاون مع غيرها كوزارة الزراعة ووزارة المالية ووزارة الخارجية ووزارة المواصلات ووزارة الشؤون الاجتماعية .

ويهمنى هنا أن أضرب بعض الأمثلة على وجوه التعاون المثمر بين وزارة التجارة ووزارة الشؤون الاجتماعية استيفاء للبحث وإتماما للبيان .

تعنى وزارة الشؤون الاجتماعية كما قدمت بتهذيب الأبدان والعقول وإصلاح أحوال العمال ورفع مستوى الفلاحين ، وفى ذلك كله زيادة قدرة العاملين فى مختلف نواحى النشاط فيزداد الانتاج وتنمو الثروة وتقوى البلاد .

وتهتم وزارة الشؤون الاجتماعية فيما تهتم به من أمور الفلاح باصلاح القرية المصرية ، وفى إصلاح القرية ما يعين على رجوع الملاك إلى مقربة من أرضهم فيزيد اهتمامهم بها ورعايتهم لها وإفادتهم منها .

وتختص وزارة الشؤون الاجتماعية بالتعاون ، وللتعاون أهميته الكبرى فى أمور الاقتصاد وتدبير المال .

وتعنى وزارة الشؤون الاجتماعية بتوجيه الشباب ، ويهم وزارة التجارة التوجيه إلى الاعتماد على النفس والجرأة فى الكفاح واحترام الأعمال الشريفة الحرة مهما صغر أمرها ، إذ هى فى البلاد الأخرى مطمع العاملين ومدرسة لعصاميين ونواة قوة الأمة فى مجموعها .

على أننا نستطيع أن نقول مطمئنين إن وجوه التعاون بين وزارة التجارة ووزارة الشؤون الاجتماعية لا تعد ولا تحصى إذ تعنى أولاهما كما أسلفنا بالناحية المادية من نواحى الحياة وتعنى الأخرى بالناحية المعنوية . ولا يخفى ما بين الناحيتين من ارتباط وثيق . فكل تقدم مادى يعين على التقدم المعنوى ، وكل تقدم معنوى يساعد على التقدم المادى . ومن ذلك تتبين مقدار الخدمات الجليلة التى تستطيع هاتان الوزارتان أن تؤديا دا منفردتين ومجتمعتين للوطن المصرى العزيز .

محمد صلاح الدين

مشكلة الفقر فى مصر

بقلم الأستاذ عبد المجيد نافع
المحامى وعضو مجلس النواب

شهدت الانسانية ، والأسى يملأ فؤادها ، فى كل عصر من عصور التاريخ ، وفى كل بلد من بلاد العالم ، تلك الظاهرة الاجتماعية التى يسمونها الفقر ، فأسلمتها العاطفة الدينية إلى الإيمان بأن السعادة ليست من نصيب هذه الحياة الدنيا ، وأن الآخرة خير وأبقى .

وبرز الاشتراكيون يحملون الحملات الشعواء على الأديان كافة ، ويكيلون لها التهم بغير حساب ، ويصورونها بأنها العقبة التى وقفت فى وجه تقدم المجتمع الإنسانى ، وأنها هى التى حملت تلك الانسانية البائسة على الاطمئنان للبؤس ، والاستسلام للظلم ، دون أن تتحرك فى سبيل الإصلاح ، أو تثور فى وجه الظلم .

وأمعن بعض أولئك الاشتراكيين فى التهجم على الدين فوصفوه بأنه "أفيون الشعوب" الذى يحملها على الرضا والاستسلام .

والأديان مما يتفكون براء . فهى قد نزلت لتكون الوسيلة الصالحة لإصلاح المجتمع ، لا لتصبح عقبة فى سبيل الاصلاح .

وهى تدعو إلى مبدأ التضامن الاجتماعى ، فتنادى بأن فى أموال الأغنياء حقا للسائل والمحروم . وهى تأمر بالجد والكفاح ، وتنهى عن الإخلاد للراحة ، والسكون إلى الدعة ، فتدعو إلى السعى فى مناكب الأرض ، وتنبه الغافلين والواهمين إلى أن الله سبحانه لا ينزل على الناس مائدة من السماء ، وأن السماء لا تمطرهم ذهبا ولا فضة .

فإذ كنا نعالج البحث فى أسباب الفقر فى مصر ، ونعمل على إيجاد الدواء لذلك الداء الاجتماعى ، فليس معنى ذلك أنا نتهجم على الأديان أو نتجهم لها . ولا معناه أنا نجنح إلى اعتناق المذاهب الاشتراكية المتطرفة . وإنما معناه أنا نبغى أن نرسل الصيحة عالية مدوية فى سبيل الاصلاح ، ونحمى مصر من أن تطغى عليها موجة الإلحاد ، أو يجرفها تيار الآراء المتطرفة والمذاهب الهدامة .

وكيف لا يعنى الباحثون بمكافحة الفقر فى بلادنا وهو مبعث الجم من مشكلاتنا الاجتماعية ويكفى أن يعلم بنو قومنا أن حوالى ثمانين فى المائة من الجرائم التى ترتكب ضد النفس

والمال ، والتى ترقع الآمنين والمطمئنين ، وتهز كيان المجتمع المصرى فى كل حين ، انما الباعث عليها الفقر . نقول يكفى أن يعلموا تلك الحقيقة المفزعة ، ليتبينوا أن البيئة الفقيرة هى عش الجريمة التى فيها تبيض وتفرخ .

وكم مزقت الفاقة ثوب العفة ، وكم من فتاة بريئة أسرف الناس فى لومها على السقوط ولم يقتصدوا وهى إنما ناءت بأحمال الحياة وسقطت تحت أعباء الحاجة .

ولا أرانا مسرفين إذا قلنا إن الفقر حليف المرض . وعندئذ أن سوء التغذية ، أو قلة التغذية ، تقضى على المناعة ضد المرض وتجعل الفقير فريسة له . ولعلنا لا نتهم بالثورة على القدر إذا نادينا بأن الضريبة التى يتقاضاها الموت والمرض من طبقات الفقراء أفدح من تلك التى يتطلبها من طبقة الأغنياء . و بلاغة الأرقام فوق كل بلاغة إذ هى لا تكذب ولا تحابى . فاستقرئها إن شئت تنبئك أن الأمراض تنتاب الفقير أكثر مما تنتاب الغنى ، والموت يتخطف من صنوف الأولين أضعاف أضعاف ما ينال من صنوف الآخرين . وما ينبئك مثل الأرقام !

وليست التغذية الصالحة وحدها هى قوام الصحة . بل هناك عناصر الماء ، والهواء ، والضياء . وانك إذا جست خلال بعض الأحياء الوطية ، لواجد أن الجم الغفير من بنى آدم يكادون أن يكونوا محرومين من الهواء والضياء ، وقد جعلهما الله مشاعا بين عباده أجمعين !

وهل ترى ضحايا ظلمات الجهل إلا فى البيئات الفقيرة ؟

إن السياسة الاجتماعية تقوم على أساس المبدأ القائل : الفرد فى خدمة الجميع والجميع فى خدمة الفرد .

ومحاربة الفقر ليست فى مصلحة الفرد بقدر ما هى فى مصلحة الدولة . فالفقر يورث العجز عن العمل . والعاجزون عبء على كاهل الدولة وخطر يتهدد نظامها الاجتماعى وكيانها السياسى . وليس من مصلحة المجموع فى شىء أن تبقى الأيدى مغلولة ، والجهود مشلولة ، بل أن الدولة التى لا تستغل جهود أبنائها جميعا ، هى التى تترك الثروة معطلة دون استغلالها ، والقوى ضائعة بغير استخدامها فى النهوض بالأمة .

ونحب أن نقول — بادئ ذى بدء — إن الفقير ليس فقط هو الذى يستدى أكف المحسنين ، و إنما يعتبر فقيرا كل من تقصر موارده عن ستر مطالب الحياة الضرورية .

و إذا كان هناك حد أدنى للعيش ، فمن حق الفرد على الدولة أن تضمن له هذا الحد الأدنى .

بل إن الدولة ، فى حدود معنى الحكم العصرى ، هى التى تكفل لكل فرد من أفرادها قسطا من الرخاء .

ولئن صح أن الفقر رذيلة اجتماعية — كما يقول الانجليز — فمن أقدس واجبات الدولة أن تعمل جاهدة فى سبيل القضاء على تلك الرذيلة .

والآن نسأل : من المسئول عن الفقر ، الفرد أم الدولة ؟ ونسارع إلى الجهر بأن المسئولية موزعة بين الاثنين معا .

فالفرد الذى يقامر أو يتعاطى الخمر ، أو يستسلم للشهوات ، وفى كلمة ، الفرد الذى يسىء التصرف ، يقع فريسة بين مخالب الفقر لا محالة .

والدولة التى لا تنتهج سياسة اجتماعية صالحة تسلم شعبها إلى الفقر .

ألا فليعلم من يريد أن يعلم أن متوسط دخل الفرد فى مصر لا يزيد عن تسعة جنيهات فى العام . وهذا الرقم الزرى النشائن لا يتسامى إلى المقارنة مع دخل الفرد فى الولايات المتحدة ، وكندا ، وبريطانيا العظمى ، وسويسرا ، ونيوزلندة ، وأستراليا . ولئن قيل تلك أمم تملك الثراء الطائل ، فماذا يقال عن اليونان ، وهى بلد زراعى كمصر ، ومواردها لا تزيد عن مواردها ، وعلى الرغم من كل هذا فان دخل الفرد فى اليونان يكاد يبلغ تسعة أضعاف دخل الفرد فى مصر .

لا أريد أن أرسم لبلادنا صورة سوداء قاتمة تبعث اليأس فى النفوس ، كلا ولا أبتغى أن أرسم لها صورة زاهية الألوان تدعو إلى الاطمئنان الكاذب . وإنما أريد أن تكون الصورة التى أرسمها بين ذلك قواما ، تحفز على تحقيق الإصلاح المنشود .

والآن أسأل كرة أخرى ؟ هل الشعب المصرى فقير لأن ربك قضى أن يكون فقيرا ؟ أم أنه فقير لأنه إلى اليوم أعوزته السياسة الاجتماعية المرسومة الحدود ، الواضحة المعالم ؟ أما أنا فأميل إلى الفرض الثانى والواقع يؤيدنى .

إن منشأ الفقر فى مصر هو أن عدد السكان يزداد زيادة مطردة على حين أن موارد الثروة لا تكاد تنمو إلا قليلا .

فى مصر توجد ٤٠٠ نسمة فى كل كيلو متر مربع . فهى بهذه المثابة أكثر بلاد الدنيا ازدحاما بالسكان ، بل صور لنفسك أنها أكثر ازدحاما من بلجيكا والصين .

فإذا ظلت موارد الثروة فيها على جمودها الحالى ، وبفضل تحسن الوسائل الصحية زادت نسبة المواليد على الوفيات ، فليس من شك فى أن المستقبل سيكون مظلما متحجر الظلام .

ومن دواعى الأسى أن مرافق البلاد كلها تكاد تكون بأيدى الأجانب ، وأن المصرى يعيش على هامش الحياة ، أو يعمل أجيرا للأجنبى ، أو يعيش دون الكفاف ، أو يحرم من خيرات بلاده .

ومما يضاعف من إلقاء الظلال السوداء على تلك الصورة القاتمة هو أن الثروة موزعة توزيعا سيئا، فبينما نرى أن ٩٨ فى المائة من مجموع الملاك الزراعيين يملكون نصف الثروة العقارية إذا بالنصف الباقى بين أيدى اثنين فى المائة لا يزيدون ولا ينقصون. أى أن الثراء الطائل فى جانب، والفقر المدقع فى جانب آخر.

ويا ليت أن ثروتنا العقارية لم تكن مثقلة بالديون الأجنبية، مما يجعلنا أجراء أو فى بلادنا غرباء!

على انى ألمح بارقة أمل وسط ذلك الظلام المتحجر. فقد نشط المصرى إلى مغالبة الأجنبى فى الميدان الاقتصادى والتغلب عليه، واستخلاص مرافق البلاد من بين يديه. ومصر بحمد الله بلد بكر، وفير الثروة، جم الخيرات، عامر بالثمرات، وفلاحه مضرب الأمثال فى العمل والكدح، وما يعوز تلك البلاد لكى تؤتى أبرك الثمرات إلا أن توضع لها سياسة اجتماعية ثابتة تنتشلها من وهدة البؤس والفاقة إلى ذروة الرخاء والسعادة.

إن قوى الدولة جميعا ينبغى لها أن توجه إلى تنمية موارد الثروة. فحرام أن يكون لدينا حوالى أربعة ملايين من الأفدنة يمكن استصلاحها ثم تدعها بورا ولا يعوزنا الماء، ولا تنقصنا الأيدى العاملة، ولا يعز علينا المال إن أردناه وإنما تعوزنا الهمم العالية. فتأليف الشركات الوطنية، وإصدار القروض الأهلية يوفر لنا الأداة الضرورية لاستنبات خيرات بلادنا.

أفلا تدر كهربة خزان أسوان، واستخراج السماد، واستنباط الحديد، الخيرات التى تخفف الضائقة التى يختنق بها المصريون؟

ثم كيف نغفل عن مسألة توزيع السكان توزيعا سيئا؟ فبينما ترى بعض الجهات مكتظا إذا بك ترى البعض الآخر تعوزه الأيدى العاملة مما يجعل الكثيرين يتخبطون فى ظلمات البؤس، ويتردون فى هوة الشقاء. وتدفق المهاجرين من الريف على المدن يزيد الحالة ظلاما ولو أننا نظمنا الهجرة مع تزويد الأسر المهاجرة برءوس الأموال لكان ذلك خيرا لمصر.

واستخدام جرعة من الإكراه كتلك التى يستعملها الطبيب لإبراء مريضه لا تتنافى مع الحرية الشخصية، اللهم إلا أن تكون الحرية المزعومة هى حرية الجوع أو حرية الموت وتلك التى يزهد فيها الأحرار جميعا.

إن السياسة الاجتماعية الرشيدة تقوم على أساس الأخذ من الأغنياء فى غير عنت ولا إرهاق، وإعطاء الفقراء. فضريبة الدخل التصاعدية، وإعفاء أصحاب الإيرادات المحدودة من الضرائب، وتقديم الإعانات فى مختلف الصور كإعانة الزواج، وإعانة الأسر كثيرة الأولاد، وإيجاد الأعمال للعاطلين، وتنظيم الإحسان، كل أولئك من الوسائل التى تخفف ويلات الفقر.

على أنى أحب أن أسارع إلى تبديد وهم عالق بالأذهان . فكثير من الناس يغ ون باللائمة على الموظفين ، قولا منهم بأنهم وأر باب المعاشات يستنفدون الجزء الأعظم من ميزانية الدولة ولا يتركون إلا القليل لتحقيق وجوه الإصلاح وإنجاز المشروعات الحيوية . وعندنا أن حل مشكلة الموظفين لا يكون من طريق المساس بمرتباتهم ، وإنما يكون بوضع سياسة ثابتة للتوظيف ، ومنع التضخم فى الوظائف ، وضغط المصروفات العامة إلى أقصى حد ، وإيجاد أعمال للمتعلمين المتعطلين ، وحمل الشركات الأجنبية على استيعاب أكبر عدد من شباب مصر المتعلم . ومن الإنصاف ومواجهة الحقائق أن نجهر بأن عالبية الموظفين لا يعيشون إلا بالكفاف وأن على الدولة واجبا أن تعين بعض ذوى الأسر الكبيرة منهم وتعلم أولادهم على نفقتها . فالمبدأ العصرى ينادى بأن على الدولة أن تضمن لكل فرد حدا أدنى للمعيشة .

محال أن ننهض بهذه الأمة إلى مكانها اللائق بها إلا إذا جعلنا دعامة الإصلاح رفع مستوى معيشة الفلاح والعامل . والدولة التى تملك سلطة التشريع هى وحدها القادرة على تحقيق ذلك الإصلاح . والتشريع الاجتماعى هو سبيلها إلى ذلك . فاستصلاح الأراضى وتوزيعها على صغار الفلاحين ، وتحسين أجورهم ، وإصلاح حال القرية ، وإنشاء مساكن للعمال ، وإصدار التشريعات الخاصة بالتأمينات الاجتماعية ضد البطالة والمرض والعجز والشيخوخة والوفاة ، كل أولئك مما يحل مشكلة الفقر إلى حد كبير .

لست ممن يدينون بسياسة الكلوروفورم ولكنى ممن يؤمنون بالسياسة الاجتماعية الثابتة التى توجه فيها كل قوى الدولة إلى الإصلاح ، وتنهض وزارة الشؤون الاجتماعية من هذا الإصلاح بأكبر نصيب .

عبد المجيد نافع

قيل لأعرابى إن الخليفة المعتصم مات وأن ابنه ولى الخلافة . فقال :

الله أكبر لاحزن ولا جزع ولا عزاء إذا أهل البلا رقدوا
خليفة مات لم يحزن له أحد وآخر قام لم يفرح به أحد

ابنة العار

للشاعر الأديب الأستاذ فؤاد بليبل

يا ابنة العارِ والخنا والرّذيلهْ أنا لولاكِ ما عرفتُ الفضيلَة
أنتِ كاللّيلِ فيهِ قد كنَ النّو رُ ومنهُ مذَ الصّباحُ تليلَه[1]
ومن الشّر ما يحضّ على الخـــير ويهدى أخا الضّلال سبيلهْ
ومن السمّ ما يعلّ ومنه ما تداوى به الجسوم العليله

* * *

انّ فى لحظكِ الأثيم بريقاً طاهراً أخطأ الورى تأويلهْ
هُوَ صَحْوُ الضّميرِ من غفلة الإثـــم على مصرع الخلالِ النّبيله
هُوَ ومضُ الحياءِ فى غيهبِ البـــغى ، وفيضٌ من المعانى الجليله
هُوَ نورٌ مِنَ الشّعورِ رقيقٌ لاحَ كالفجرِ فى ظلامِ الرّذيله
هُوَ روحٌ ذابتْ أسىً فاستحالتْ عبراتٍ بين الجفُونِ الكحيله
لطّختْها الآثامُ فهىَ شرورٌ وجلتْها الآلامُ فهى صَقيلَه
كُلّما دانَتِ الحقيقةَ ألفتْ دُونَ إدراكِها سجوفاً سديله
ومن العارِ ما يبرّرُهُ الجَهْـــلُ وما يجهلُ الورى تعليـــله

* * *

يا ابنةَ العارِ أنتِ بالعُذْرِ أولى منكِ بالعَذْلِ جارحا والنّميله[2]
إنّما النّذْلُ من حداكِ على الرّجْـــسِ وأغراكِ بالوُعُودِ الجميـله
وأراكِ المنيعَ حلاً شهيّاً لا لشىء إلاّ ليروى غليـــله
زيّن الوِزْرَ والمخازى لعينيـــكِ ولم يدّخرْ لخَدْعِكِ حيله
فاذا بالنكيرِ غيرُ نكيرٍ ساغَ حتّى لَمْ تُنْكرى تحليله
وإذا بالقبيحِ من كلّ أمرٍ حَسَنٌ لَمْ تَرَ العُيونُ مثيله

(١) التليل العنق . (٢) النميلة لغة فى النميمة .

وإذا بالغرور يدعوك للاثـــم وتأبى أن ترى تضليله
فخلعت العذار ساعة طيش ونبذت الحياء إلا قليله

* * *

قضى الأمر ، واستفقت على نفـــسك تجلى فوق الهراش ذليله
هيكل للعفاف دنسه العهـــر وفجر للطهر جاز أصيله
وصمة غادرت حياتك جردا ء كما غادر الشتاء الخميله
فطويت الضلوع حزنا على قلـــب يقاسى من العذاب طويله
وعلى مهجة تذوب اكتئابا طهرتها الدموع فهى غسيله
وأبى الشرع والتقاليد إلا أن تظلى — وإن ندمت — ذليله
وتخلى عنك الجميع ولم تجـــدك نفعا تلك الدموع الطليله
سخروا منك إذ سقطت وفى الباً ساءكم أنكر الخليل خليله
وقضوا منك كل ما حرم اللـــه وقد كنت بالوصال بخيله
زمر حوم على جسد عا ر وثغر تبادلوا تقبيله
قتلوا فيك كل روح شريف وأحلوا روح الفساد بديله
هم أرادوك أن تكونى بغيا وهم أقلموك ثوب الفضيله
فتردّيت فى القمائص ولعا ر ولو أصحوك كنت كميله

* * *

هفوة بعد هفوة بعد أخرى هفوات كانت عليك وبيله
سممت نفسك الشرور فأضحت لم تؤثر للخير فيها وسيله
ليت شعرى ، ماذا جنيت من الطـــيش سوى الهم والأسى والهيله
وانهيار الآمال والندم المـــر (م ١) وندب الرغائب المستحيله
وذبول الشباب دارت عليه برحاها كف المجون الثقيله
وغضون تزداد يوما فيوما وعيون كادت تكون كليله
وشعور قد حجرته المعاصى وحياة بالموبقات حفيله

فؤاد بليبل

قوى معطلة

بقلم الأستاذ إبراهيم اللبان
B. A, M. A, T. D. London
المفتش بوزارة المعارف

هناك ظاهرة اجتماعية مألوفة مأنوسة ولكن فى دائرة خاصة . كلنا يشعر بحركة الارتفاع والانخفاض المستمرة فى قيم الحاصلات الزراعية والمنتجات الصناعية . وقليل منا من يشعر بحركة أخرى مماثلة لها . فالواقع أن ارتفاع القيم وانخفاضها لا يقتصر على حاجاتنا المادية بل يتعداها إلى أشياء أخرى كثيرة، فالصفات الخلقية والفنون والآداب والأعمال الاجتماعية تقوم كما تقوم المواد الغذائية وتختلف قيمها من عصر إلى عصر ومن شعب إلى شعب . ولكل عصر مذهب فى تقدير قيمها وتحديد منزلتها .

ولست أود أن أفيض فى شرح ذلك بل سأكتفى بالإيجاز المبين . فالفنون الجميلة مثلا قد تعاورتها ضروب التقدير فى العصور التاريخية المتعاقبة . فبينا تضعها الشعوب فى عصور جاهليتها فى مرتبة رفيعة إذا بها فى عصور التدين تنزل إلى مكان من الضعة سحيق ثم لا تلبث أن تشرق شمس المدنية فإذا بها تسترد المفقود من قيمتها وعالى منزلتها .

وأسلوب التقدير أو فلسفة الحياة من الدراسات الشائقة المثمرة. وقد كانت هذه الدراسة إلى عهد قريب نظرية بحتة ولكن لم يلبث الأسلوب العلمى المؤسس على التجارب أن دخل هذا المجال أيضا فألقى كثيرا من الضوء على الكثير من مسائله العويصة .

ومن أطرف التجاريب ما قام بها بعض علماء أمريكا إذ اختار عددا كبيرا من المثقفين وأجرى عليهم تجربة قصد بها تحقيق الفرق بين أبناء هذا العصر وبين ما سبقه من عصور فى التقدير الأخلاقى للوصايا العشر (لا تسرق ، لا تكذب ، لا تقتل ، لا تزن الخ) . فقد طلب إلى كل منهم أن يقدم له قائمة يرتب فيها هذه الوصايا حسب خطورتها وجسامتها فى رأيه وعقيدته . وما كان أشد دهشته إذ وجد أن أبناء هذا الجيل يضعون فى المنزلة الأخيرة من الخطورة ما كان آباؤهم يعدونه أقبح الآثام وأشنعها .

والتقدير عملية نفسية بطيئة النشوء والترقى تنشأ تحت تأثير عوامل كثيرة لا نحاول استقصاءها ولكنا مع ذلك لا نرى بأسا من الإشارة إلى أحدها .

أصبح المجتمع وما يمس سعادة المجتمع ورفاهيته بإجماع من الشيوعيين والاشتراكيين والديموقراطيين من أهم الأمور وأعظمها خطورة . فإذا ظهرت جهة نفع اجتماعية كبيرة

فى أحد المرافق علت قيمته وارتفعت مكانته بمقدار ما يستطيع أن يؤدى للمجتمع من فائدة ونفع اقتصادى أو عمرانى . ولعل القوة بضروبها المختلفة من أظهر الأمثلة التى تخطر بالبال فى هذا الصدد .

لم تظفر القوة فى عصر من العصور بمثل ما ظفرت به فى عصرنا هذا من تقدير عال، فقوة الشخصية والقوة العضلية والقوى المادية الكثيرة تتمتع اليوم بتقدير كبير جدا . وهاهى ذى عبادة الأبطال التى بكاها توماس كارليل وظن أنها قد ذهبت إلى غير رجعة قد عادت إلى الظهور ووصلت إلى درجة لم تعرفها الشعوب حتى فى عهود بداوتها وعصور جاهليتها . أما مصادر القوى المادية كمناجم الفحم ومنابع الزيت فقد صارت منذ سنين طويلة مطمح الشعوب وقبلة الأنظار وعاملا من أكبر عوامل السياسة الدولية .

وسبب ذلك واضح ، فقد استكشفت الشعوب فى طموحها الى القوة والمنعة واليسر والرخاء معنى القوة الروحية والمادية وأثرها القوى كوسائل لهذه الغايات القومية العالية وأقول استكشفت لأن هذا فى الواقع استكشاف كبير قد يستغرق بالنسبة لبعض الأمم عشرات السنين بل مئات الأعوام . فتجد المرافق متأخرة مهملة وبجوارها القوى الوفيرة ملغاة معطلة وتمضى على ذلك السنون بل القرون دون أن ينهض من زعماء تلك الشعوب من يرى الصلة الوثيقة بين تلك القوى والمرافق ويشعر بأن صلاح تلك المرافق لا يتطلب غير توجيه هذه القوى اليها وأعمالها فيها . ثم يظهر بغتة من يستكشف هذه الحقيقة ويقدرها قدرها . وإذ ذاك تبدأ تلك الشعوب عصر نهوض تنشط فيه القوى ويكثر الانتاج فيعم العمران وتزدهر الحضارة .

والحق أن ظهور هذا المستكشف من أكبر الأحداث التاريخية فى تاريخ الأمم والشعوب فإنه حادث يفصل عصرين متباينين عصر ركود وتعفن وفساد وعصر نهضة عامة سريعة . وفى التاريخ الحديث على الخصوص أمثلة قوية مقنعة لهذه الظاهرة الاجتماعية المهمة . وليس من الضرورى أن نتطلبها فى غير تاريخ الأمة المصرية الحديث ، فنهضة مصر الحديثة تقدم لنا أروع الأمثلة لذلك . بل إن فى النهضات المعاصرة الان ما يغنينا عن الرجوع الى التاريخ جملة فقد شهدت السنون العشر الأخيرة نهضات قوية استمدت روحها من هذا المبدأ الاجتماعى الخطير .

ومن ثم أصبح استكشاف القوى والإرشاد اليها والدلالة عليها من أكبر الخدمات القومية .

و إنى لأذكر الى اليوم الساعة التى وفقت فيها الى استكشاف منجم غنى مجهول من مناجم القوى فى مصر وأذكر الأسف الشديد الذى أحسست به إذ ذاك حين ذكرت ما تعبئ

هذه القوى لشعب كالشعب المصرى من رفعة ونهوض لو وجدت من ذوى النفوذ من يضن بها أن تذهب فى غير فائدة أو نفع .

حدث ذلك فى أول عام قضيته فى إحدى مناطق رى الحياض فى صعيد مصر . فقد رأيت إذ ذاك رأى العين عشرات الألوف من الشبان الأقوياء ذوى الجلد والبأس منتشرين فى طول البلاد وعرضها . رأيتهم يزرعون الأرض مرة واحدة لمدة أشهر قلائل حتى إذا حل وقت الحصاد وخلت الأرض من الزراعة أصبحوا لا عمل لهم على الإطلاق لمدة لا تقل عن سبعة أشهر أو أكثر . فيضطر بعضهم الى النزوح الى القاهرة أو مدن الوجه البحرى يطوفون فيها يبيعون الفواكه والخضر فى طرقها وأزقتها ويبقى أكثرهم يتحرقون أسى على عمل يقومون به بأقل الأجور وأضألها .

لا أعرف الأصول العلمية لحساب مقادير القوى البشرية ولو كان فى مقدورى لعددت أولئك الشبان وقست مقدار القوة المختزنة فى كل منهم ثم جئت برقم يمثل مقدار تلك القوى الضائعة المعطلة سبعة أشهر كاملة فى هذا العدد الكبير من الشبان الأصحاء الأقوياء لأصور بذلك لذوى السلطة مقدار الخسارة القومية التى منيت بها البلاد من ترك تلك القوى عاطلة .

أستطيع أن أقول بكل ثقة إن القوى البشرية المختزنة فى أقاليم رى الحياض لا تقل على الإطلاق عن القوى المختزنة فى منجم من أكبر مناجم الفحم أو الزيت . وإذا كان العثور على منجم من تلك المناجم يعد من أكبر الخدمات الاقتصادية القومية فلا يقل عن ذلك خطورة العثور على مواطن القوى البشرية الجبارة التواقة الى العمل .

وأعتبر أنى قد ظفرت بأكبر غرض من أغراض مقالتى هذه إذا كان القارئ قد فقد بعد هذا البيان كل تمييز بين منجم من مناجم الزيت وموطن من مواطن القوة البشرية الراكدة وأحس إحساسا قويا بأن القوة هى القوة فى أى شكل ظهرت وأنها مهما تباينت صورها تعنى الانتاج والتقدم والعمران .

ولقد كان محمد على باشا مؤسس مصر الحديثة من أوائل المستكشفين لهذه الحقيقة العمرانية الكبيرة ومن أكبر المنتفعين بها ، وكان من نتائج ذلك تلك الترع والقنوات التى تشق الأراضى الزراعية فى القطر المصرى شقا وتحمل الماء الى كل شبر من الأرض مهما تباعدت الشقة بينه وبين النيل ، وتلك المصانع المختلفة والقناطر المبنية والمرافق الكثيرة التى كانت أساس الحضارة المصرية الحالية .

ويعتقد كثير من أنصار النظام الدكتاتورى أن من أكبر فضائله تقدير القوى حق قدرها والانتفاع بكل قطرة من قطراتها ذلك الانتفاع الذى نشر العمران وبث الحضارة حيث مواطن الفساد والتعفن ويشيرون إلى استخدام قوة الشباب هناك وأثرها فى تلك النهضة الرائعة .

ويقدرون أن أكبر عمل قام به أولئك الرجال هو فهم معنى القوة وتقديرها واستكشافها في عضلات الرجال وأعصابهم كما استكشفها غيرهم في مناجم الفحم ومنابع الزيت ثم إصرارهم بعد ذلك على أن يحشدوها جميعا ، ومن غير تراخ في إصلاح ما اختل من حالة بلادهم وتعفن من مرافقها .

وإذا كانت الظروف الاجتماعية في عصر محمد علي قد اضطرته الى أساليب خاصة في تجنيد تلك القوى البشرية واستخدامها فإن من أسعد الظروف أن في الموقف الحالي ما يغنينا عن اللجوء إلى تلك الوسائل .

ظهر في طبقات الشعب المختلفة شعور بواجبات جديدة لم تكن معروفة لآبائهم من قبل . ظهر فيهم الشعور بواجب الفرد نحو المجتمع الذي ينتمي اليه و يعتز بنسبته اليه "الواجب الوطني" ، وعم فيهم الشعور بتأخر البلاد والقلق عليها من جراء ذلك فتولدت في نفوس الشبان والشيب رغبة جامحة في أداء واجبهم نحو وطنهم والاشتراك الفعلي في ترقيته ماديا وأدبيا والسخاء في سبيل ذلك بالجهود والأموال والأنفس .

وقد زاد هذه الرغبة اشتعالا ما قرءوه وسمعوه عن شبان الدول الديكتاتورية الذين يقدمون أنفسهم للدولة شهورا طويلة تنتفع بقواهم العضلية والعقلية في ترقية مرافقها واصلاح المختل من شؤونها دون أن يفكروا في أجر أو مغنم . وأصبح ما وصلت اليه تلك الدول من يسر ورخاء وعزة مبعث تحرق منهم على أن تتاح لهم الفرصة ليصلوا ببلادهم إلى مثل تلك المنزلة الرفيعة .

مثل هذه الحالة النفسية فرصة نادرة المثال لمن يشعر بقيمتها و يفكر في الانتفاع بها من الزعماء والقادة ، فالواقع أن الشبان في طول البلاد وعرضها يتأهبون للقيام بأي عمل إصلاحي وفي شوق شديد الى ظهور الزعيم الذي يهيب بهم ثم يحشدهم للعمل البدني والعقلي الضروري لسلوك سبيل الإصلاح العمراني والاجتماعي الذي سلكته بعض الممالك المعاصرة .

ولست أشك في أن أول زعيم مصري يتقدم لأداء هذه المهمة ستستولي عليه الدهشة والسرور والبهجة من سرعة تلبية الشبان تلبية مقرونة بالسرور والرغبة القوية . فاستعداد الشبان لسماع هذه الدعوة وتلبيتها وتشوقهم إلى سماع صوت الداعي قد بلغ الآن أشده . ولا أدري لمن من زعماء هذا البلد وعظمائه سيكتب فخر تحقيق هذه الأمنية القومية العامة . ولكني أعرف أن الجميع سيغبطونه إذ ذاك على ما حاز من نجاح وتوفيق .

ابراهيم اللبان

المرأة والأسرة

وأثر التعليم فى الفتاة العصرية

إذا تقهقر الاجتماع فى الأمة فأغلب الظن أن هذا التقهقر يصيب المرأة أكثر مما يصيب الرجل . واذا نهضت الأمة فان الرجل يجب أن يسبق المرأة ، وهذا هو الذى حدث فى مصر ، ولذلك فنحن محقون فى أن نطرب كلما سمعنا بتقدم المرأة .

لما أنشئت المدارس الابتدائية للبنات قبل نحو اربعين سنة فى الوجه القبلى تردد كثير من الآباء فى إرسال بناتهم اليها ، ولكن الحال الآن صارت عكس ذلك لأن ارغبة باتت عامة فى التعليم وعدد المتقدمات للامتحانات العمومية فى الشهادتين الابتدائية والثقافة العامة يزداد سنة بعد أخرى . كما أن الطالبات بكليات الجامعة وخاصة كلية الآداب يزداد عددهن وهن يتعلمن مع الطلبة دون الفصل بين الجنسين .

وكان أعظم ما بعث الفتيات من أبناء الفقراء المتوسطين على العناية بالمدارس تشجيع وزارة المعارف ومجالس المديريات لهن بالتعليم المجانى أو خفض المصروفات ثم فتح أبواب الارتزاق باحترافهن لمهنة التعليم التى كانت مقصورة قبل ذلك على الرجال . فان العامل الاقتصادى هنا قد فعل فعله .

وقد بلغ عدد الناجحات فى امتحان شهادة الثقافة العامة عام ١٩٣٨ : ٤٣٧ بنتا التحق فى الأغلب أكثر من نصفهن بكليات الجامعة ، كما نجح فى امتحان الشهادة الابتدائية ١٦٣٦ بنتا . ولهذا أثره العميق فى المجتمع المصرى . فان الزوجة المتعلمة التى عرفت الجامعة أو حصلت فقط على شهادة الثقافة العامة أو الشهادة الابتدائية لن تسمح لبناتها أن ينشأن فى الجهل التى عاشت فيه أمها أو جدتها . والأسرة التى تعرف أن ابنة جارتها قد حصلت على شهادة ما تبعث فى نفوس فتياتها غيرة شريفة للتحصيل والثقافة . وقل أن يرضى زوج فى هذه الأيام بزوجة غير متعلمة . والاعتقاد الشائع بين الأوربيين — كما يتضح هذا من مؤلفاتهم — هو أن تعدد الزوجات يتفشى فى مصر ، وان كل زوج مصرى يعيش فى حرم يؤدى عشرات الزوجات ولكن الحقائق الواقعة والأرقام تكذب هذا الوهم الشائع . ففى الإحصاء العام الذى أجرته الحكومة عام ١٩٣٨ يتضح أن المسلمين الذين تزوجوا أربع نساء بلغوا فى القطر كله ٨٩١ رجلا والذين تزوجوا ثلاث نساء بلغوا ٧٣١٨ رجلا والذين تزوجوا امرأتين

بلغوا ١١٤٢٧ رجلا . وعلى هذا سبق أن ٩٥١,٨ فى الألف من المتزوجين يتزوجون امرأة واحدة . فالزواج العام الذى يشيع بين الكثرة الساحقة هو بامرأة واحدة . وكلما ارتقت الأحوال الاقتصادية وانتشر التعليم وخاصة بين النساء قل تعدد الزوجات . والبيت المصرى فى المدن الكبرى لايختلف أقل اختلاف من البيت الأوربى وذلك أنه مشيد على النمط الأوربى بل ان الأثاث نفسه تؤخذ طرزه الجديدة عن لندن و باريس ، وألوان الطعام نفسها قد استحالت الى حد ما من الطهى الشرقى القديم الى الطهى الغربى الحديث . وتأثير القصص والمناظر السينمائية والاتصال الراديوفونى كلاهما يعمل للتوحيد لا فى زى المرأة فقط بل أيضا فى طراز الأثاث والذوق العام .

ونشاط المرأة الاجتماعى يبدو فى كثير من الجمعيات الجديدة التى أنشئ بعضها لترقية المرأة خاصة و بعضها للخدمة الاجتماعية عامة . وللسيدة هدى شعراوى الفضل الكبير فى حمل الحكومة على اصلاحات مختلفة تتعلق بحقوق الزوجة المطلقة إزاء الأطفال القصر . وقد عنيت وزارة المعارف أخيرا بإنشاء مدارس لتعليم الفتيات بعض الصناعات التى يستطعن الكسب منها .

و بجميع الأمارات تدل على أننا قد شرعنا فى السير فى طريق لن نرجع عنه هو العمل لتعليم المرأة والإيمان بانها ترقى بمقدار حصولها على الثقافة الحديثة. فمهمتنا فى الوقت الحاضر تنحصر فى التوجيه الحسن باختيار أفضل الأساليب للتعليم المثمر . وظروفنا ومجتمعنا كلاهما ينصب أمام أعيننا غايتين للتعليم ، هما التعليم التثقيفى والتعليم الحرفى . وواضح أن الفتاة الغنية أو حتى المتوسطة لا تنشد من التعليم حرفة تتكسب بها بعد خروجها من المدرسة أو الجامعة . لأن كل غايتها أن تتعلم لكى تكون زوجة متمدنة مثقفة تستطيع أن تزامل زوجها فى همومه العامة وتتفهم صعوبات عمله وتستطيع أن تدير بيتا عصريا وتربى أبناءها على الأساليب العصرية وتهيئ لهم المستقبل الحسن . وكل فتاة فى مصر يجب أن تجعل الزواج مهمتها الأولى والأمومة غايتها المثلى . والثقافة العامة هى خير ما يهيئ الفتاة لهذين الفرضين. ومعظم الطالبات فى كلية الآداب لا يقصدن من التعليم الجامعى سوى هذه الثقافة العامة التى تمتاز بها المرأة المتمدنة فى العصر الحاضر .

أما المرأة الفقيرة فتحتاج الى تعليم حرفى . وليس فى هذا القول ما ينافى تقاليدنا . لأن الزوجة الفقيرة كانت فى جميع عصورنا الماضية تساعد زوجها على الكسب . فقد كانت فى الحقل زارعة فالحة . وكانت فى البيت غازلة ناسجة . وهى كذلك الآن الى حد ما فى الأوساط الفقيرة، وعمل المرأة هذا وزيادة كسب زوجها منه، هما مايغريان الفلاح بتعدد الزوجات .

وقد تنبهت الحكومة الى ضرورة التعليم الحرفى فأوجدت مدارس التطريز للفقيرات كما أوجدت مدارس أخرى راقيـة لتخريج المعلمـات . والتعليم الروضى والابتدائى هو من مستلزمات المرأة الأوربية والأمريكية ويجب أن يكون كذلك فى مصر . ومهما يكن أحدنا جامدا كارها للتطورات العصرية فانه لا يسعه الا التسليم بضرورة تعليم المرأة الفقيرة تعليما حرفيا — ولو كان هـذا التعليم خدمة البيوت — يقيها الفساد والغواية بعد الترمل أو بعد الطلاق . بل لعل تعليم المرأة من أنجع الوسائل لتثبيت الأسرة بالإقلال من الطلاق .

ويبدو من وقت لآخر تأفف وتشاؤم بشأن حال المرأة المصرية ومستقبلها . وهؤلاء المتشائمون يكثرون من النقد وتعلو أصواتهم بحق أيام الاصطياف حين يجدون فى سلوك المرأة بعض ما ينافى الأخلاق العالية من الصون والاحتشام . وهم محقون فى هذا ولكنهم ينسون أنه لا يمكن للفتاة أن تهتك على الشواطئ إلا لأن هناك فتى أو فتيانا يشاركونها فى هذا التهتك ، فالتدهور الأخلاق هنا ليس مقصورا على جنس واحد ، وظننا أن الزمن وحده هو الذى سيعالج هذا التدهور ويعيد الينا وقارنا واحتشامنا السابقين وذلك عندما تألف الثقافة الحقة وتزول عنا هذه الجلبة التى أصبنا بها يوم انطلقنا من قيودنا القديمة إلى هذا التحرر الجرىء طفرة لم نكن مسلحين أزاءها بسلاح من التربية والأخلاق .

وإذا كانت هنـاك مسألة نسائية فهى ليست مسألة تعليم المرأة أو عدم تعليمها ولا هى الثقة بحريتها أو التوجس منها وإنما هى هذا الفرق العظيم بين المرأة الريفية التى لا تزال تنشأ فى الحجاب الصـارم وأحيانا يهمل تعليمها وبين المرأة المدنية التى أخذت بقسط عظيم من التعليم والحرية . فهما تختلفان اختلافا عظيما . وقد يحدث أن يتزوج ريفى بفتـاة تعلمت ونشأت فى المدينة فلا يثمر هـذا الزواج غير الشقاق . ومثل هـذا يحدث أيضا عندما يتزوج شاب من المدينة بفتاة ريفية . ونحن فى حاجة الى درس هذه المسألة الى جنب درسنا لتعدد الزوجات والاسراف فى الطلاق بين الأوساط الفقيرة .

شقاء الحكماء

إذا وَرَّثَ الجهال أبناءهم غنى وجاها ، فـأشقى بنى الحكماء

حفنى ناصف

الشؤون الاجتماعية في الأزمات

لحضرة صاحب العزة الأستاذ حسين رمزى بك
مدير إدارة الخدمة الاجتماعية بوزارة الشؤون الاجتماعية

للتضامن الإنسانى أثر كبير فى ترتيب الشؤون الاجتماعية، وقد تزايد مظهره بين الأفراد والجماعات والطبقات والأمم على مر الأجيال حتى بلغ فى العصر الحاضر مرتبة راقية ، إذ انتشرت طرق المواصلات وكثرت العلاقات المادية والأدبية والفكرية الروحية فى سبيل التقارب والتعارف الإنسانى .

يوجد التضامن بين الأفراد نوعا من حياة مشتركة تتوحد فيها ميول ومصالح ومجهودات الخير المتضامنين . والتضامن قوة جديدة تشق لنفسها الطريق فى الحياة ، وتذلل للجماعة كثيرا من العقبات التى قد يعجز الأفراد عن التغلب عليها ، فهى سلاح قوى فى الخير والشر يستعين به الأفراد على النضال فى الحياة .

ولقد أصبح اندماج الفرد فى جماعة أو جماعات صفة من صفات المدنية الحديثة . فالأمة الراقية إنما تتألف من وحدات اجتماعية أكثر مما تتألف من أفراد . وإن الفرد ليعجز عن الحركة المثمرة بوجه عام إن لم يكن مندمجا فى وحدة من هذه الوحدات . ومن أغفل هذه الحقيقة وجرد نفسه من سلاحها ، تحتم عليه مواجهة الحياة منفردا إزاء قوى منظمة تألف وتجانس بعضها مع بعض . سل المالى والتاجر والصانع والممول والعامل ، بل سل الكاتب والشاعر والفنى وغيرهم عن تأثير هذه الحقيقة فى أعمالهم لتعلم مبلغ قوتها فى ترتيب شؤوننا الخاصة والعامة . وإذا كان الرق الإنسانى بيّن وقرر حقوق الإنسان لا سيما فى ضوء المدنية الحديثة، فإن هذا الرق قضى على الأفراد بالاندماج فى وحدات اجتماعية تسهر على تأمين الحقوق وتمهيد الطريق للحصول عليها . إن هذه الوحدات تطالب فى الحياة بالحقوق فالسيارة، كما كانت تفعل الأسر والعصبيات فى القرون الوسطى عند طلب القوة والجاه. على أن هذه الوحدات تميزت بكثرة انتشارها ومرونتها وسهولة اندماج بعضها فى بعض وهو الأمر الذى أدى فى هذه المدنية الحديثة الى تألف الوحدات المتجانسة وانقسام الجميع الى فريقين أساسيين متنازعين : الفقراء والأغنياء والعمال والممولون ، واختل التوازن فى بعض الدول بين الطبقات واشتد النزاع بدرجات وأشكال مختلفة بين الفريقين فظهرت آثاره المؤلمة بمظهر الثورات والحروب. وبهذا تبين لنا أن كل مدنية تحمل معها قسطا من الخير تستقيم به أمورها، وقسطا من الشر فيها هلاكها .

إن أعظم أنواع التضامن للخير هو التضامن القومى ، حيث تتوحد جميع قوات الأمة لتسمو بالصالح العام فوق مصالح ومطامع الأفراد والجماعات بواسطة نظام حكم عادل قابل

للتطور والرقى ، يشعر الجميع باحترامه وهيبته وقوته وحبه ، ويرتب الصفوف ويوجد التوازن بين أجزاء الأمة ، ويفسح مجال العمل والنشاط لكل جزء ليقوم بعمله المفيد له وللصالح العام خير قيام . أما التضامن القومى الذى يؤدى الى شطر الأمة الى فريقين متنازعين على مبادئ الملكية والتوزيع والاستهلاك وما يرتبط بها من مشاكل العمل والبطالة وساعات العمل والأجور وغيرها من مسائل ينبت الشر حولها وتنتشر بسببها الكراهية بين الطبقات والهيئات وتنمو روح التجمهر والتحزب على حساب الصالح العام ، فانه تضامن يعمل على قتل نفسه بنفسه .

والتضامن يقوم فى الأصل على مصالح ، فهو مرتبط بالأنانية . على أن هذه الأنانية تنمو وتصبح فى كثير من الناس شعورا مهذبا ومظهرا وجدانيا راقيا ، إذ التهذيب يقيدها ويكبح جماحها ويقهرها ويسيرها فى طريق الاعتدال . ولهذا فان الناس مراتب ودرجات متفاوتة فى الشعور بالتضامن ، شرهم من ترقى عقله وتعلم ولكن أنانيته بقيت وغرائزه على حالتها الطبيعية أو الهمجية . والهيئات والجماعات والأمم كذلك مراتب فى الشعور بالتضامن .

ويذكرنى هذا بقصة همجى أسر فى مجاهل أفريقيا سائحا أجنبيا وربطه ليأكله ، فمرت فوقهما طائرة محلقة فى السماء فقال الأسير لصائده وهو يحسبه جاهلا متطيرا : انظر الى السماء تجد روحا هائلة حضرت لانقاذى . فأجابه الهمجى ساخرا انها طائرة تجارية ذات أربعة محركات وسرعتها مائة كيلو متر فى الساعة ، وانقض على الأسير وقتله ثم أكله . ولا عجب فى ذلك فهذا شأن كل من ترقى وجدانه وبقيت أنانيته همجية لم تهذب .

إن التضامن الدولى كان بطيئا فلم يخط فى سبيل الإنسانية خطوات مشهودة الى الآن ، وكان أساس حركته أنانية متحفزة عرفت كيف تستخدم المواهب الفردية وتستثمر المبادئ وصور العواطف لا سيما الدينية منها والخيرية ، وتسخر العقول والأقلام والأفواه فى تذليل العقبات للحصول على كل ما يقع تحت أيديها . وهذا ينطوى على خديعة كبيرة لمن جهل النفس الاجتماعية تحار الشعوب فى فهمها . فكم ندهش إن سمعنا سياسيا ينطق بلسان دولته فيقول مالا يعمل ويعمل ما لا يقول ، مع اننا واثقون من شرف حياته وسمو عقله ونبل وجدانه الشخصى . ولنرجع الى مقارنة أنواع الدعايات السياسية المختلفة والى تفسير متناقضاتها وهى فى متناول الجميع ، نجد الدليل على صحة ذلك واضحا . لقد تهذبت عقول الدول ولكن وجدانها بقى على حالته الطبيعية غرائز وأنانية .

فكل أمة إنما تقف إزاء هذا النوع من التضامن الدولى موقف الدفاع عن بقائها . وتوجد بين الدول حالة استعداد وهجوم تظهر من حين لآخر فى شكل دبلوماسى أو حربى . ولا وجود حتى الآن للشرطى أو القاضى لحماية العلاقات والفصل فى المنازعات ، كما أن الهيئات الدولية التى وجدت لتهذيب الأنانية الدولية لم تنجح فى عملها حتى اليوم .

كذلك يمكننا أن نتفهم حقيقة ما يشعر به فرد يواصل حبه الشخصى لأصدقاء من رعايا دولة معادية أو محاربة لبلاده ، وأن نتفهم كيف تزداد هذه المحبة تأكدا ومتانة بعوامل الشفقة

لوجود خطر محدق بالأشخاص . وهذا الوجدان وهو من أرقى مظاهر التربية الاجتماعية ، إنما يظهر الشخصيتين الفردية والعامة وجها لوجه كل يعمل فى حدود واجباته ، فكأنما الحرب من جهة الأفراد محصورة بين الجند من أبناء البلدين دون سواهم .

ولما كان التضامن الإنسانى بين الدول لا يزال فى أحط المراتب ، كانت الحرب الحالية أحد أعراضه ، وهذه الحرب بلغت الآماد قسوة وشدة بنسبة الرقى الفكرى والمادى ، فأصبحت كارثة عالمية يحثم كابوسها على جميع الدول والأفراد ، تلتهم نيرانها بعض الدول وتنذر البعض الآخر بالفناء . وعم الشعور بالدفاع عن البقاء وأصبح هذا الشعور محور التفكير والنشاط فظهر للجماعات والأمم صفات ومميزات كمينة ، وحدث تبديل وتغيير فى تقدير الأمور وقيم الأشياء ، وتنوعت المصادر والموارد ، وظهر حكم الإسعافات وانخفضت مرتبة الحاجات النسبية لتحل محلها حاجات قاهرة ، وهيهات لمادة أو فكر أن يعمل خارج هذا التعديل المباغت ، فكأنما وجدت حركة بناء بسبب الحرب لتشييد نظام اجتماعى مؤقت على أسس جديدة غير أن الناس لا يدركون درجة هذا التغيير لظهور انفعالهم المستتر واشتغالهم عنه .

هذه الحالة المباغتة أثرت فى الزارع والتاجر والصانع والمالى وغيرهم تأثيرا عميقا سيزداد قوة كلما طالت مدة الحرب أو اشتدت وطأتها . وهى محنة تؤثر فى الهيئات والطبقات ، فهذه الهيئات والطبقات تخضع لتيارات مختلفة يرد أكثرها منظما مرتبا من الروح العام ويدعو الى ضم الصفوف والدفاع عن الدولة ، كذلك ترد لها تيارات أخرى ضعيفة متخاذلة مستترة ، منها ما هو اقتصادى مثلا ينشأ عن جهل بحقوق الأمة أو جحود هذه الحقوق .

واذا كانت النفوس جنودا مجندة فى سبيل التضامن العام ، وكان هناك فريق أنانى ثائر عليه ، فان بعض النفوس تنسى أنانيتها وتكاد تخرج على مبادئ الطبيعة البشرية ، فيضحى كل فرد منها نفسه وماله طوعا فى سبيل التضامن . كما أن السواد الأعظم من النفوس فى الأمم الراقية يدرك أن المحنة عامة فيتنازل مختارا عن جزء من الحقوق التى كان يتمتع بها فى الحياة العادية ويهبط قليلا عن مستوى معيشته المألوفة بقدر ما تتطلبه ظروف الحالة المباغتة التى يزداد فيها عدد الفقراء والعاطلين والمعوزين بسبب اختلال ميزان الانتاج والتوزيع .

وفى المحن العامة يعمل بعض الهيئات والأفراد لأنانيته غير حاسب للمحنة وجودا بل إنه ليسعى للحصول منها على أكبر نصيب من الفائدة فيتفع من جميع ما يطرأ على الحياة العامة فى جميع نواحيها ، اقتصادية كانت أو مالية أو سياسية أو غيرها ، ومما يطرأ على حياة الهيئات والطبقات والأفراد من التغيير الاضطرارى فى الميول والمبادئ والغايات .

مَثَل هذا البعض كمثل لص يدخل ساحة القتال خلسة بعد انقضاء المعركة ليسرق متاع الجرحى والقتلى . وقد فطنت الحكومات لهذا النوع من الإجرام وسنت القوانين المختلفة لردع أولئك المجرمين ، وبينها القوانين التى تقيد وتحدد الأرباح الناشئة فى مثل هذه الظروف .

إن الحكومة هى المشرفة على الصالح العام وهى العليمة باستعداد الأمة النفسى والمادى، الملمة بحاجاته وموارده ومطامحه وشؤونه الداخلية وعلاقاته الخارجية . فلكل حكومة سياسة أعدتها للطوارئ والأزمات عند حدوثها و بعد مرورها، فضلا عن سياستها العادية المستقرة، بل إن الأولى ليست سوى جزء مكمل للثانية ومتفرع عنها . وأساسهما وغايتهما المحافظة على الصالح العام .

إن السياسة العامة تقضى عند وقوف الأمة موقف الدفاع عن بقائها لأسباب داخلية أو خارجية بوجود أنواع جديدة من النشاط والتفكير والشعور ، و باستثمار القوى الحيوية فى الأمة الظاهرة منها والكامنة والمعطلة الى أقصى حدود الانتاج فى أقصر مدة . وكأنما الأمة وسائر طبقاتها التى هى مصدر السياسة العامة تصبح خادمة أو أسيرة لها فتعطل قوانين وتظهر أخرى فتبدل وتغير فى النظم وتؤثر فى الحريات وتطالب الأفراد بالبحث عن التوافق بين مصالحهم الخاصة و بين هـذه الحالة الاجتماعية الطارئة . ويقف منفذ هـذه السياسة وقفة الجراح أثناء قيامه بعملية جراحيـة هادئا مطمئنا كأنما يعبث بجسم المريض ويستهين بعواطفه وعواطف أهله أو أقاربه، أو كأنه تجرد من الوجدان . وهيهات للجراح أن يحسن عمله إن نقصته هذه الصفات .

على أن الجراح بعـد فراغه من العملية الناجحة يقبل على المريض وأهله راضيا لقيامه بواجبه حاملا لهم الأمل والرجاء . وكثيرا ما يشرح لهم بعض ما اتخذه من إجراءات سابقة للعملية ولاحقة أو ملابسة لها . ولا شك أن منفذ السياسة العامة مقيد بالمحافظة على التوازن العام بين الأفراد والطبقات فضلا عن الكفاح فى سـبيل الدفاع عن البقاء محافظة الطبيب على الأنسجة والدورة الدموية والتنفس وغير ذلك .

شعور الأمة بأنها أصبحت فى الظروف الاستثنائية خادمة للقانون أكثر مما يكون القانون خادما لهـا ، وعناية السياسة حصرت فى دائرة واحدة ، وتغيير جوهرى غير مألوف للنفوس أصاب مصالح بعض الأفراد وأثر فى الحريات ، كل هـذه الأمور تجد من بعض النفوس نفورا ومعارضة ؛ ولكن السياسة عليمة بها سلفا وقد أعدت لتصريفها ودفع خطرها خطة باعتبارها عملا من عوامل الانحلال لا يستهان به فى مثل هذه الظروف. أما اذ كانت المعارضة غير خطرة فان السياسة العامة تتجاوز عنها ولو اشتمت على آلام . ولا غرابة فى هـذا الموقف لأن النـداء العام هو نداء بالتضحية الفردية فى سبيل الجماعة . وليس هناك تضحية أكبر من أن ترسل الأم أولادها الى ساحة القتال أو أن تهاجر أسر من جهات الى أخرى فى ظروف قاهرة أو أن يخضع الناس لتحديد كميات غذائهم أو ملابسهم أو لإيواء أجانب داخل منازلهم أو لأن تنزع بعض أملاكهم .

هيهات للسياسة العامة ان تحافظ للافراد والجماعات على توازن منظم متواصل الحلقات متفرع فى جميع وجوه النشاط متناول لجميع الطبقات والأقاليم . إنها أدوار انتقالات مباغتة لا تخلو من آلام يتحتم فيها على الأفراد والطبقات أن يتضامنوا على تخفيف شدتها .

هـذا النوع من التضامن الأهلى مقياس نهتـدى به الى معرفة الشخصية القومية ومبلغ إدراكها لحقائق الأمور . يجب أن يوجد هذا التضامن بين الغنى والفقير، و لخادم والمخدوم، وصاحب المصنع والعامل، والمدنى والقروى وغيرهم . يجب على كل واحد أن يشعر بقدر من التضحية الفردية فى سبيل التضحية العامة فلا يسرع صاحب المصنع الى إبعاد بعض عماله مثلا ليوازن بين النفقات والأرباح، ولا يجوز لغنى أن يكتفى بتقديم المعونة التى تعود تقديمها الى الفقراء ليحافظ على مظاهر حياته المـألوفة . ولا يجوز لتاجر أن يسرع الى رفع الأسعار لأن تاجرا آخر اضطر الى ذلك لظروف خاصة به . كما لا يجوز لقرية أن تستغل اللاجئين اليها . إن انعدام هذا التضامن دليل على ضعف الروح العام ، وشره يصيب الفقراء أكثر من غيرهم، والفقر آفة الآفات . وكل غافل عن هذه الحقيقة هو أداة الاحلال القومية .

واذا جاز لبعضهم أن يحمل الحكومات والأنظمة الخيرية القائمة مسئولية الفقر والفقراء وحل مسائلهم أسوة بما تفعله الأمم الراقية فى الظروف العادية ، فقد وجب عليه أن يذكر أن الشعوب التى تمسكت بهذا المبدأ فى ظل الأنظمة الحديثة هى خير الشعوب إدراكا لمتاعب الحكومات فى النوازل والأزمات الاجتماعية الشديدة ولحاجة الجمعيات الخيرية والأفراد الى المعونة . ولهذا كانت أسرع من هـذه الأنظمة الرسمية وشبه الرسمية الى ترتيب الأمور وتخفيف الآلام ومعالجتها علاجا شافيا. بل إن عواطف بعض هذه الشعوب تتجلى بحكم هذا الإدراك المنظم فى تقديم المعونة خارج حدود بلادها الى شعوب باغتتها المحن . وقد كان بعض الملوك والأمراء بصفاتهم الشخصية فى مقدمة القائمين ببث هـذه الروح الأهلية فى الحرب والسلم وتنشيطها وتوجيهها السريع نحو القيام بهذه الواجبات . وخير مثل تسمو اليه النفوس فى ذلك هو جلالة مليكنا المحبوب .

لقد اضطر بعض الحكومات فى الحرب العظمى الى اخلاء المستشفيات لإيواء الجرحى الوافدين من ساحات القتال . أو إلى غل يدها عن المعونة المقررة للمـأوى وملاجئ العجزة والأحداث، مكتفية بتضميد جروح من خرجوا الى القتال فى سبيل الجماعة . فمن الذى يسد هذا العجز الاضطرارى و يكمل هذا النقص الذى يصير ملموسا محسوسا فى كل بلد و إقليم كلما طالت مدة الأزمة ؟ لا شك أن هـذا واجب قومى مقدس ، فان قصر الشعب فى أدائه كان من حيث التضامن فى حكم القاصر ، وللسياسة أن تتدخل فى الأمر بما لديها من قوة وسلطان .

حسين رمزى

الطفولة المهملة

يمكن أن نجد تشابها بين وفيات الأطفال فى السنة الأولى من أعمارهم و بين إهمال الطفولة بعد ذلك أيام الصبا . فان وفيات الأطفال كثيرة جدا فى بلادنا ومرجعها الى الجهل والفاقة . لأن الأم المصرية على ما تتصف به من حنان ورعاية لطفلها تجهل المبادئ الأولية للصحة . وهى لذلك لا تعرف الخطر العظيم من الذبابة التى قد تقف على شفتى طفلها وتنقل إليه جراثيم نزلة معوية تقضى عليه . ثم أن الفاقة التى تشتد وطأتها فى بعض البيئات تحول بينها و بين ما تحب من نظافة . وفى مثل هذه البيئات نجد أن الطفل الذى نجا من الموت حين كانت أجنحته ترفرف عليه طيلة مدة الطفولة قد استحال بعد ذلك — للأسباب نفسها — الى صبى متشرد .

ذلك أن أبويه للجهل والفاقة يتركانه هملا يعاشر صبيانا أكبر منه سنا فيتعلم منهم أسوأ العادات و يأخذ عنهم شر النزعات . ثم هم بعجزان عن تعليمه أو تسليته بالسويات المفيدة التى لا تقوده الى مهاوى الأخلاق . وحين نذكر "التشرد" يجب أن يتجه ذهننا نحو المدينة . أما الريف فلا يزال سليما . لأن الصبى الذى ينشأ فيه يجد مشاغل كثيرة فى الأعمال التى يرسمها أبواه . وهو حين يبلغ العاشرة أو الخامسة عشر يحسن تبعات مختلفة تهيئ منه رجلا مفيدا للمجتمع . والقدوة السيئة قليلة فى الريف .

ولكن الحال ليست كذلك فى المدن . لأن الطفل الذى يهمله أبواه والذى تقضى الفاقة عليهما بتركه فى الزقاق أو الشارع لا يلبث أن يتعرف الى كثير من عشراء السوء فيشاركهم فى التعلق بالترام وفى السرقات الصغيرة وفى الأخذ بلغتهم وميزان أخلاقهم . وهو ميزان تشيل فيه كفة الفضيلة وترجح كفة الرذيلة . ومن مثل هذا الصبى يتكون المجرم فى المستقبل .

ويجب أن ننظر خلال جرائم الأطفال إلى أسرة سيئة . فإن الأبوين اللذين تضطرهما الفاقة إلى كسب العيش خارج البيت يهملان الطفل الذى يتخبط فى هذه الدنيا وهو لا يزال غضا فينشأ نشأة سيئة لأنه يحس منذ الطفولة أنه لا يجد من المجتمع المحيط به أى مساعدة أو بر أو تعاون . ثم قد تكون هذه الأسرة مفككة قد انفصلت الأم من الأب بطلاق أو بخصومة . فالطفل يرى شقاقا بين أبوين يثير فى نفسه أسوأ الاعتقادات عن معنى العدالة . ثم هو قد يعيش مع أبناء أبيه من أم أخرى أو مع أبناء أمه من أب آخر . وفى مثل هذه الظروف لا يجد الحب والرعاية اللذين يرشدان خطواته فى بحر الحياة الحافل بالأمواج . ولذلك كثيرا ما يهجر هذا الطفل بيته وينشد السعادة الموهومة فى فوضى الشارع .

وخير أنواع العلاج هو دائما وعلى الدوام الوقاية . فإذا شئنا أن نتقى التشرد فى الأطفال فان الوسيلة إلى ذلك يجب أن تقودنا إلى إصلاح البيئة المنزلية . وذلك بأن نعمد إلى المساكن فنجعلها لائقة للسكنى . ولا نعنى المساكن الصحية فقط مع قيمتها الكبرى بل نعنى المساكن المدنية . فان الطفل يجب أن يجد فى البيت مغريات وسلويات حتى لا يبعثه السأم على تركه والتجوال فى الشارع ولعل القارئ يستغرب عند ما نقول إن فى الولايات المتحدة الأمريكية جمعيات تختص بنوع عجيب من البرهو أن الأعضاء يعمدون إلى منازل الزنوج فيزخرفونها ويزينونها بالألوان الزاهية البراقة لكى يزيلوا عنها الكمد والقتامة حتى يجد فيها السكان ما يبهجهم . وما أحرانا بأن نفكر فى مثل هذا البرلمساكن فقرائنا فى المدن .

ولكن الجو المنزلى لا يتحسن ويغرى الطفل بالبقاء إلا إذا كان الجو العائلى حسنا أيضا . وهذا يعنى فى النهاية تعميم المحبة والرعاية بين أعضاء البيت وخاصة بين الزوجين . والطبقات الفقيرة عندنا تسرف فى الطلاق . وإحصاءات الطلاق تزيد فى المدن على ما هى عليه فى الريف . ولهذا أثره السيئ فى تنشئة الأطفال . إذ قل أن نجد صبيا فى الاصلاحية دون أن يكون خلفه تاريخ طويل من شقاق عائلى أو طلاق أو انفصال بين أبويه .

والعائلة هى المجتمع الصغير الذى يعيش فيه الطفل . وهو يقيس الأخلاق بعد ذلك ويعد موازين الفضيلة والرذيلة طبق لما رأى ومارس فى البيت . فان كان البيت قذرا حافلا بالشقاق تتناثر فيه ألفاظ السباب وأحيانا تتحرك فيه الأيدى بالبطش فان مما يتجاوز حدود المنطق أن ننتظر طفلا حسنا من مثل هذا المجتمع .

فأولى وسائل الوقاية من الطفولة المهملة المشردة هو المنزل الحسن أى العائلة الحسنة . ثم يلى ذلك العناية بتعليم الطفل فى مدرسة حسنة . وقد عمت المدارس الإلزامية فى المدن ومنعت بعض الشر الذى كان ينتج عن تجوال الصبيان فى الشوارع .

ولكن هناك حالات قد مضى فيها طور الوقاية . لأن الطفل للاسباب العديدة التى ذكرنا يكون قد استقر على التشرد . فما هى وسائل علاجه ؟

إن العلاج المأثور هو الاصلاحية . وفى مصر ثلاث اصلاحيات اثنتان منهما للصبيان وواحدة للبنات . والأوليان تسيران على نظام أقرب إلى السجن منه إلى المدرسة لأن الباب يغلق فى ساعة معينة وللصبيان شكة معينة لا تختلف كثيرا من الشكة التى يتخذها المساجين . أما إصلاحية البنات فأقرب إلى الملجأ أو المدرسة منها إلى السجن . ولكن الاصلاحيات الثلاث تتبع مصلحة السجون . وقد عمدت هذه الاصلاحيات إلى تتبع خريجيها بعد تركهم لها . وللأسف لم تجد أن النتيجة مشجعة . ومحكمة الأحداث هى التى تحكم بارسال الصبى إلى الإصلاحية ولكن الازدحام الحاصر وقلة الأماكن فيها يجعل هذه الأحكام أحيانا عقيمة

لا يمكن تنفيذها . ويجوز للأب أن يطلب إحالة ابنه إلى الاصلاحية . وقد أنشئ مصنع لاستخدام صبيان الإصلاحيات ولكنه أيضا لا يفى الحاجة .

وعندنا محاكم للأحداث . وقضاة هذه المحاكم لا يمتازون بتربية أو تعليم خاص فى كلية الحقوق . ولكن نظرهم لجرائم الصبيان يتغير ويتعدل بممارسة هؤلاء الصبيان . ونظن أن من الخير للصبيان وللقضاة ألا يتغير القاضى وينقل إلى محكمة أخرى . وذلك لكى يتوفر على درس أحوال الصبيان وتفهم بواعث الجريمة عندهم . فإن الحكم بإرسال الصبى إلى الإصلاحية لأنه ارتكب بعض الجرائم أو لأن أباه يطلب ذلك ليس على الدوام أفضل الأحكام. بل نظن أن القاضى الذى يقضى فى محاكم الأحداث يجب أن يعرف جميع المؤسسات التى تخدم الصبيان من إصلاحيات إلى أندية إلى ملاجئ إلى معسكرات . كما أنه يجب أن يكون على دراية كبيرة بأثر البيئة العائلية فى الصبى . ومن هنا يتضح لنا أن القاضى فى محاكم الأحداث هو مرب ومرشد اجتماعى أكثر مما هو قاض . كما نظن أن الاصلاحيات يجب أن تقطع صلتها بمصلحة السجون وتستتبع لوزارة المعارف حتى يشعر القائمون عليها أنهم يعلمون ويربون وأن خاطر العقوبة بعيد عن أذهانهم . وتحسن كلية الحقوق أيضا إذا هى أنشأت قسما خاصا لجرائم الصبيان .

وإذا تركنا الاصلاحيات فاننا نجد الملاجئ . وقد هبت الحكومة والأمة معا إلى إنشاء الملاجئ للصبيان عقب حركة نادت بها الصحف بشأن ملاجئ المبشرين . ولا تكاد تخلو مدينة كبيرة من ملجأ للصبيان يؤويهم ويعلمهم ويكسوهم . وهم فى الأغلب يتامى . ونظن أن الحكومة تحسن إذا هى أخرجت تقريرا سنويا عن هذه الملاجئ ومقدار الرقى الذى تحققه فى خدمة الصبيان مع نشر الصور الفتوغرافية التى توضح المبنى وسائر الأحوال الصحية التى يعيش فيها اللاجئون من الصبيان .

وليس شك فى أن المدارس الإلزامية والإصلاحيات والملاجئ قد عالجت إلى حد ما الطفولة المهملة فى المدن ووقت الصبيان من التشرد . وإن كان السائر فى شوارع القاهرة لا يزال يجد مئات من الصبيان المشردين الذين نحار فى تعليل حالتهم هذه ونتساءل عن التربية التى أبيتهم .

ومن الإصلاحات الجديدة التى أخذنا بها الأندية للصبيان المحرومين . وفى حى العباسية بالقاهرة نادوملجأ يسمى "مؤسسة الزقاف الملكى" يؤوى الصبيان فى ذلك الحى ويعلمهم ويسليهم . وبه الآن تسعون صبيا . وهو نظام جديد ربما تأخذ به الحكومة وتستبدله بالإصلاحيات . والصبيان فى هذه المؤسسة يجدون العناية فى معالجتهم من الأمراض الجسمية ويثقفون ثقافة ذهنية وجسمية ويعاملون المعاملة التى تشعرهم بالكرامة والعطف .

وهناك مجهودات شعبية لا علاقة للحكومة بها . منها محلة الرواد فى السيدة زينب . وقد أنشأها طلبة جامعة فؤاد الأول بمعاونة الأساتذة . وفى هذه المحلة يجد الصبيان والأمهات تعليما وتسلية .

وكذلك أنشأت جمعية الشبان المسيحية نادى كوبرى الليمون للصبيان المحرومين . وهو ناد فقط . يقصد اليه الصبيان حيث يجدون الألعاب الرياضية وأحيانا تعرض عليهم قصة سينمائية وتعاونهم الإدارة فى التثقيف وتساعدهم على التوجيه الحرفى . ويحسن الأبرار إذا أرصدوا أموالهم على إنشاء مثل هذه الأندية والملاجئ .

الأندية والمدارس والملاجىء كلها مفيدة لوقاية الصبيان ومعالجتهم ولكن أنفع منها هو العائلة الحسنة التى يجد فيها الصبى أبوين يسودهما الوفاق والرخاء . لأن الخصومة أو الطلاق تشتتان الأبوين ويفصلان بينهما أو يملآن البيت بالشجار والنفار . والصبى فى هذه الظروف يجد القدوة السيئة وقد يهرب من البيت ويبدأ تسكعه الذى قد يلازمه مدى حياته مع فترات الإصلاحية أو السجن .

وعند الألمان مثل يقول : " الزوجان لا يتشاجران ولكنه الفقر يتشاجر " والمعنى أن قلة الرخاء وتوالى الضيق يجعل الأبوين أو الزوجين يتشاجران . والصبى الذى يعيش فى هذه البيئة يخاف ويحاول الهرب وقد يؤدى به هذا الى التسكع .

فاصلاح العائلة بالوفاق بين الزوجين والإقلال من الطلاق هما أول الأسباب لصلاح الصبيان .

وصف الليل

وصف الصبى الليل بقوله :

رب ليل صهرته مفكرا فى امتداده
كلما زدت رعبه زادنى من سواده
فتبينت أنه تائه فى رقاده
أو تفانت نجومه فبدا فى حداده

الخدمات الاجتماعية

وما ترمى إليه

بقلم الدكتورة نعيمة الأيوبى المحامية

دعانى إلى بحث هذا الموضوع ، حداثة عهد مصر به ، وخفاء معانيه ومراميه على أكثر الأذهان فى بلادنا . وللجمهور المصرى عذره إذا هو لم يستوعب معنى "الخدمات الاجتماعية" ، إذ ما دام الإنسان يعيش فى مجتمع ، فقد يسبق إلى ذهنه أن كل عمل هو عمل اجتماعى ، أى أن أعمال السكك الحديدية ، والبريد ، والنقل ، والرى ، والتنظيم ، والزراعة ، والطب ، والمحاماة ، وغيرها . كلها أعمال اجتماعية .

لكن "الخدمات الاجتماعية" لا تشمل هذا المعنى الواسع ، وإنما هى تعبير حديث ، أطلق منذ نحو ستة وثلاثين عاما على ما عرف حتى القرن التاسع عشر بأعمال الإحسان ، أو الإعانة ، أو المساعدة . والفرق بين هذا التعبير العام ، المعروف بأعمال الإحسان ، وبين التعبير الجديد المعروف فى القرن العشرين "بالخدمات الاجتماعية" ، أن الإحسان كان قائما على مجرد الرغبة الطيبة فى عمل الخير ، وأهم مظاهره توزيع النقود والمآكل على الفقراء ، وإنشاء الملاجئ للعجزة والأيتام ، والقائمون بهذه المبرات فى أكثر الأحيان هم أشخاص خيرون متطوعون .

أما "الخدمات الاجتماعية" بوضعها الحديث ، فقائمة على الرغبة فى عمل الخير بطرق علمية منظمة حديثة ، وبعد بحث وإحصاء وتجارب . والإحسان كما عرف فيما مضى ، إنما كان يعنى بسد حاجات مؤقتة ، أو تقديم علاجات مسكنة ، فالفقير الذى يأكل اليوم لا يدرى من أين يجد طعامه غدا .

أما "الخدمات الاجتماعية" فهى الجهود التى لا تقف عند هذا النوع من المسكنات ، تقدمها الى الأفراد والأسر بعد القيام بأبحاث اجتماعية عن حالتهم ، بل ترمى — فوق ذلك — الى تمكين هؤلاء الأفراد وتلك الأسر من السير فى الحياة دون حاجة الى العون ، وذلك بأن تسدى اليهم مساعدة شافية لا موقوتة .

وعدا ما تقدم فالخدمات الاجتماعية ترمى الى وقاية الأفراد والأسر من الانحدار والانحطاط ، ومن المصائب والأخطار الاجتماعية ، كالأمراض ، والبطالة ، والفقر ، والفساد الخلقى ، ثم أنها تعمل ، بعد هذا وذاك ، على تحسين الحالة العامة ، والارتفاع بالمستوى الاجتماعى الى درجة أعلى وأكمل .

فاذا أصيب عامل بالشلل ، فعجز عن العمل ، أخذت أسرته تعانى الفقر والعوز ، فان عاطفة الإحسان الساذجة تكتفى فى هذه الحالة بإعطائها نقودا للطعام واللباس ودفع أجر

المسكن ، ولكن هذا لا يقيل عثرة تلك الأسرة ولا يضمن لها حياة آمنة مستقرة ، إنما الذى يضمن هذا هو "الخدمات الاجتماعية" فهى تبحث عن الأسباب فتعالجها ، وهى تنظم هذا الإحسان المبعثر ، وذلك بأن تعالج العامل المريض ليستعيد قوته وقدرته على العمل وعلى اكتساب الرزق . وتظل تعول أسرته الى أن يتم شفاؤه ، فاذا ما شفى علمته عملا بسيطا يتفق مع حالته الصحية الجديدة ، وهكذا تعود الأسرة شيئا فشيئا الى حالتها الطبيعية . وهكذا لا تكون المساعدة كما قلنا مجرد علاج مسكن ، بل تقويما لحياة الفرد والأسرة معا .

وتذهب " الخدمات الاجتماعية " الى حماية الأسرة ، فتراعى إسكانها فى مسكن نظيف تدخله الشمس ، وتعلم أفرادها طرق الوقاية ، والحياة فى الهواء الطلق ، وقد تذهب " الخدمات الاجتماعية " الى العمل على إنشاء جماعات تعاونية وصناديق تأمين وتوفير ، وملاعب رياضية وحمامات للسباحة ومراكز اجتماعية للثقافة ، ومن شأن هذا كله أن يحسن حال الأسرة ويسمو بمستوى الحياة .

ولقد تغيرت الفلسفة الاجتماعيـة فى العصر الحديث ، فبعد أن كان الإحسان تفضلا من الخيرين يعود الفقراء الكسل والخمول ويشجعهم على الاستجداء ، ويقتل فيهم الكبرياء والكرامة ، أصبحت "الخدمات الاجتماعية" قائمة على التضامن الاجتماعى ، باحياء الضمير الاجتماعى ، وأصبح غرضها انتشال الفرد ، ليكون قادرا على حمل الأعباء ، وليقوم بنصيبه من العمل فى الحياة مصون الكرامة .

وبعد أن كان موقف الحكومات فى هذا الميدان يكاد يكون سلبيا ، اذ كانت تكله الى نشاط الأفراد والجماعات ، أخذت تشعر بأنها ما دامت تطالب الفرد بالدفاع عن كيان الدولة فى أزمان الحروب ، وتجبى منه الضرائب ، وتعاقبه إذا أفسد الأمن أو اقترف الجرائم ، فعليها له حقوق يجب أن تؤديها كما تؤدى بقية واجباتها المتعلقة بالمواصلات والأشغال والتعليم وغيرها . وهذه الحقوق تمس الفرد فى صميم حياته ، فى صحته ، فى تعيمه ، فى حالته الاقتصادية ، وبالجملة فى تمكينه من أن يحيا حياة طيبة . ولقد شعرت الحكومات بأنها فى قيامها للأفراد بهذا الواجب الجديد الحيوى ، تحمى كيان الدولة من الفسـاد والانهيار ، لأن الأفراد هم الذين يتكون منهم جسم الأمة ، فاذا انحط مستواهم المعيشى والتعليمى والخلقى والاقتصادى ، انحطت الدولة نفسها واضمحلت .

لذلك ساهمت الحكومات بقسط وافر فى الخدمات الاجتماعية ، وأنشأت فى مختلف الجهات مكاتب حكومية " للخدمات الاجتماعية " ، ووضعت القوانين والتشريعات وأقامت الكثير من المنشآت ، وقامت وزارات الشؤون الاجتماعية للإشراف على هذا النشاط وتوجيهه وتحسينه . وبعد أن كنا لا نجد من مظاهر الإحسان إلا توزيع الطعام والنقود على الفقراء والمساكين ، وإنشـاء الملاجئ للعجزة والأيتام واللقطاء ، أصبحنا نرى آلاف المنشآت

والأعمال الاجتماعية ، سواء قام بها الأفراد أو الجماعات أو الحكومات ، فرأينا ملاجئ للعاجزين وللصم والبكم والعمى والكتع وسواهم ، يتعلمون فيها مهنا تكفل لهم الرزق .

ورأينا منازل لإيواء الأطفال الرضع ، يتمضون فيها النهار كله أثناء عمل أمهاتهم ، والليل أحيانا ، وأخرى لغير الرضع ، ومنازل لراحتهم والترفيه عليهم ، أو لاصطيافهم ، ومستعمرات لحماية الضعاف منهم من الأمراض ، ومصحات لمن كان أبواه مصابين بالسل ، وأخرى للأطفال الشواذ أو المتأخرين عقليا أو صحيا ، ومثلها للأطفال المحرومين من العطف الأبوى بسبب فساد جو الأسرة ، وإصلاحيات للجرمين الأحداث ، ومراكز لمراقبة رضاعة الأطفال وتوزيع الألبان الجافة والملابس عليهم .

ورأينا نشاط الحكومات فى الأساليب الواقية ، من تعليم إلزامى لإنارة عقول جميع أفراد الشعب ، الى توسع فى بث طرق الوقاية ، وفى إنشاء المستشفيات والمصحات للسل الرئوى وغيره ، والمصحات المجانية ، والعيادات البسكولوجية فى المدارس والسجون والأحياء ، ومنازل الولادة للعاملات والفقيرات ، والعيادات الخاصة لمكافحة الأمراض العامة أو الأمراض الاجتماعية المنتشرة ، وفى نشر نظام الزائرات الصحيات ، والمساعدات الاجتماعيات (وأولئك اختصاصيات درسن الخدمة الاجتماعية ثلاث سنوات) .

وعدا ذلك ما تقوم به الحكومات من الخدمات للأفراد ، من التعليم المهنى والتوجيه المهنى ، ومساعدة الأسر الفقيرة الكبيرة العدد ، وإعطائها بعض الامتيازات فى السكنى والسفر والنقل والمتاحف وغيرها ، وإنشاء الملاجئ الليلية لمبيت من ليس لهم محل إقامة ، وبناء المنازل الرخيصة ومساكن الراحة والاصطياف للعمال والفقراء ، والمستعمرات لإصلاح المشردين وتعليمهم حرفا تناسب حالتهم النفسية ، وتنظيم صناديق التوفير والتعاون والتأمين سواء أكان إجباريا شاملا لجميع أفراد الدولة ، أم اختياريا ، وسواء أكان للأفراد عموما أم للعمال .

وقامت الخدمات الاجتماعية فى المستشفيات والمصحات والسجون والمدارس والمصانع والمحلات التجارية ومساكن الطلبة والطالبات وأنديتهم ، والأندية العامة ، والمطاعم الشعبية ، ومستعمرات عصبيى المزاج ، والملاعب الرياضية ، ومراكز الاجتماعية فى المدن وفى الريف ، الى غير ذلك مما يضيق المجال عن حصره ووصفه .

ولا يفوتنى أن أذكر أن " الخدمات الاجتماعية " بوضعها الحديث ، قد استلزمت تعديل وإنشاء الكثير من القوانين الاجتماعية الخاصة بالفقراء والعمال والمرضى والعجزة والعجائز والأطفال والأحوال الشخصية من زواج وطلاق ونفقة وولاية ، ثم التأمين الاجتماعى ... الخ .

نعيمة الأيوبى

تعليم البنات في مصر

أطواره الماضية وحاله الحاضرة

لما أنشأ المغفور له محمد علي باشا مدرسة الطب حاول أن يغري بعض الآباء بارسال بناتهم إليها لكي يكن قابلات فلم يجد من يلبي طلبه لأن نفور الآباء كان شديدا من تعليم بناتهم فاضطر إلى اصدار أمره بشراء عشر جوار سودانيات لكي يدخلن مدرسة الولادة و يصرن قابلات .

و بقيت الأمة على جمودها نحو تعليم البنات إلى أن كان عهد المغفور له اسماعيل باشا حين شاع التوسع الاقتصادى والاجتماعى. فأنشأ مدرسة البنات بالسيوفية (هى الآن المدرسة السنية) سنة ١٨٧٣ فأقبل الآباء على تعليم بناتهم فيها حتى بلغ عدد تلميذاتها أيام اسماعيل ٣٣٤ تلميذة. وكان التعليم فيها مقصورا على المواد التى تدرس فى المدارس الابتدائية ثم أضيفت إليها الأعمال اليدوية . وعلى هذا الغرار أنشئت مدرسة أخرى للبنات فى القربية .

وكثرت المدارس عندئذ وانقشع ذلك الطلسم الذى كان مضروبا على العائلات يمنعهن من تعليم بناتهم حتى كان عدد التلميذات سنة ١٨٧٥ يبلغ ٤٠٨٠ تلميذة . ولكن هذه النهضة لم تلبث بعد سنوات أن صدت إلى الوراء حتى إذا كان ختام القرن التاسع عشر كان الظلام قد عاد يخيم على البلاد . ولم يكن لوزارة المعارف غير مدرسة واحدة ابتدائية للبنات هى المدرسة السنية إلى جنب المدارس الأجنبية للبعثات الدينية التى لم تكن يدخلها غير المسيحيات ولكى نقدر مدى هذا الظلام يجب أن نقرأ ترجمة قاسم أمين . فانه حين ألف كتابيه "تحرير المرأة" و"المرأة الجديدة" يدعو فيها إلى سفور المرأة وتعليمها وجد مقاومة عنيفة من الشعب كأنه كان يدعو إلى التهتك حتى قيل إن جماعة من الشبان والشيب قصدت إليه تطلب رؤية زوجته. وهذا يدل على أن الجيل الجديد الذى عاش بين سنتى ١٨٨٠ و ١٩٠٠ قد نسى تمام النسيان تلك النهضة الرائعة أيام اسماعيل وعاد يؤمن بضرورة الجهل للمرأة المصرية كما كانت الحال أيام محمد على .

ولكن الانبعاث الوطنى عقب سنة ١٩٠٠ كانت ترافقه نهضة أو على الأقل تنبه إلى قيمة تعليم المرأة . فأنشئت المدارس الأهلية وأخذ الاباء يرسلون إليها و إلى مدارس البعثات الأوربية والأمريكية بناتهم . وهذه البعثات كانت ولا تزل فى الأغلب دينية . ولكن الجمهور المصرى مع كراهته للنزعات الدينية الأجنبية اضطر وهو كاره الى تعليم الفتيات فى هذه

المدارس لأنه لم يجد لوزارة المعارف مدارس لتعليم البنات . و يمكن أن نعين التواريخ التالية لتأسيس أقدم مدارس البنات الأجنبية :

سنة

١٨٤٤ مدرسة ميزيريكورد بشارع الراهبات بالاسكندرية .

١٨٤٦ مدرسة البون باستور فى شبرا بالقاهرة .

١٨٥٦ المدرسة الأمريكية للبنات بالأزبكية بالقاهرة .

ثم أخذت البعثات الأجنبية تنشئ المدارس للبنات فى عواصم المديريات . كما أن الأقباط أخذوا أيضا فى إنشاء مدارس أهلية للبنات ولكن فى قلة وضعف بحيث كانت تنشأ المدرسة أحيانا فتبقى سنة أو سنتين ثم تموت لقلة الإقبال عليها وتراكم الديون .

على أن كل هذا التعليم كان ابتدائيا . ولم تنشئ وزارة المعارف مدرسة ثانوية للبنات إلا بعد سنة ١٩٢٤ ، وكان التعليم العالى لهذا السبب مما لا يمكن الفتاة المصرية أن تصل إليه .

ولكن لما أنشئت مجالس المديريات أحيل عليها إنشاء المدارس للبنات . فتوسعت فيه وأقبلت عليه على الرغم مما لقيت من العقبات. فقد كان بعضها ينشئ المدرسة — فى الصعيد مثلا — ثم يقفلها لكراهة الآباء لتعليم بناتهم . ولكن البنات والمثابرة فعلا فعلهما فى النهاية فأصبحت المدارس تنشأ فى المدن والريف و يقبل عليها الآباء ببناتهم لتعليمهن . بل أصبح الآباء من الطبقة العالية لا يستنكفون من إرسال بناتهم إلى أوربا لكى يتزودن بالعلوم التى لا يجدنها فى مدارس مصر .

وقد كانت وزارة المعارف ترسل بعثات صغيرة العدد إلى انجلترا لكى يتعلم فيها خريجو مدرسة المعلمين . و يمكن بالمقابلة بين سنة ١٩١٧ وسنة ١٩٢٩ أن نعرف مدى النهضة فى تعليم البنات . ففى سنة ١٩١٧ كان جميع الاعضاء فى بعثة وزارة المعارف من الذكور وكان عددهم ٢٥ طالبا فقط يتعلمون جميعهم فى انجلترا فقط . ولكن فى سنة ١٩٢٩ بلغ عددهم ٥٠٦ من الطلبة والطالبات نحو نصفهم من وزارة المعارف والنصف الآخر من الوزارات الأخرى . إنما المهم الذى يجب أن نذكره أنه كان بينهم طالبات .

و بعد سنة ١٩٢٤ أخذت وزارة المعارف ومجالس المديريات فى إنشاء المدارس الأولية والابتدائية والثانوية للبنات . كما أن جامعة فؤاد الأول منذ إنشائها لم تميز بين تعليم الذكور والإناث فالتحق بها عشرات ثم مئات من الطالبات اللاتى ينضممن فى الأكثر إلى كلية الآداب وفى الأقل إلى كليتى العلوم والطب والحقوق . وقد بلغ عدد الطالبات فى الجامعة فى السنة الماضية ٤٢٥ طالبة غير مدرسة الممرضات التى كان بها ٣٣٥ طالبة .

وهناك إلى جنب الجامعة مدارس عالية لتعليم البنات ، منها :

معهد التربية للبنات ، ومعهد التربية للتدبير المنزلى ، ومعهد التربية للفنون الجميلة للبنات ، ومعهد التربية للموسيقى للبنات .

كما أن هناك مدارس أخرى تعد إلى حد ما فنية هى :

مدرسة الثقافة النسوية بسراى القبة ، ومدرسة الثقافة النسوية بشارع الخوياتى ، وكلتاهما بمصر . ومدرسة الفنون الطرزية .

فالفتاة المصرية تجد فى الوقت الحاضر الفرصة لأن تتعلم كما يتعلم الفتى فى جميع مراحل التعليم وأنواعه . وهى لا تحرم إلا من القليل من المدارس والكليات . مثل المدارس الصناعية ، وكليتى الزراعة والهندسة .

ومع أننا ما زلنا فى البداية التى نرجو أن نسير بها خطوات واسعة نحو تعليم الفتاة المصرية فإننا لا يسعنا إلا أن نبتهج عند ما نقارن بين ما اضطر إليه محمد على حين اشترى عشر جوار لكى يكن قابلات فى مدرسة الطب ، وبين التزاحم من الطالبات المصريات على الكليات والمدارس الآن . وكذلك نبتهج عند ما نعرف أنه إلى سنة ١٩٢٤ لم يكن لوزارة المعارف مدرسة ثانوية واحدة للبنات فى حين لها الآن عشرات من هذه المدارس تخرج منها الطالبات فتكن أمهات مستنيرات أو طالبات فى الجامعة يستزدن من المعارف العالية .

وجميع التكهنات السيئة التى كان ينتظرها المتشائمون من تعليم البنات لم يتحقق منها شىء بل العكس هو الذى حدث. فإن البنت المتعلمة قد ثبت أنها خير الأمهات والزوجات تحسن تربية الصغار وتؤسس البيت السعيد وتغرى الزوج بالبقاء فيه . فالبيت لم يعد فندقا أو مطعما للزوج وإنما هو ناد راق ومجتمع مهذب يجد الزوج فيه الزوجة المسامرة المستنيرة والزميلة المتعلمة الرشيدة التى يثق بها فى تربية أولاده ولا يخشى أن تتبدد ثروته بعد وفاته لقصورها . ولا يكاد شاب متعلم أن يتخيل أنه يستطيع أن يتزوج فتاة أمية فهو يسأل — أول ما يسأل — عن الدرجة التى بلغتها من الثقافة ويحرص بعد الزواج على أن يزودها بالوسائل التى تنبه ذهنها وترقيها .

سمات الديمقراطية الأمريكية

بقلم الأستاذ سلامه موسى

تنفرد الولايات المتحدة لأمريكية انفرادا فذا بين لأمم الديمقراطية لجملة اعتبارات . فهى أكبرهن عددا فى السكان الذين يبلغون ١٣٦ مليونا ، وهى أكثرهن ثروة سواء فى المعادن أو فى الحاصلات الزراعية كما أنها تملك من الذهب أكثر مما يملكه سائر العالم كله. ثم هى مع كل ذلك أمعن الأمم تقدما فى الرقى الثقافى والآلى . فانها تحفل بالمدارس والجامعات كما أن البيت الامريكى أكثر البيوت فى العالم استخداما للآلات .

وهـذا الرقى الظاهر تختفى تحته ألوان من الرقى الباطن هى موضوع هذه الكلمة . فان فى الديمقراطية الأمريكية من السمات ما لا نجد له ما يضارعه فى الأمم الديمقراطية الأخرى بل نحن حين نقابل ونوازن لا نكاد نسمى الأمم الأخرى " ديمقراطيـة " لأن المعنى الذى تعنيه هذه اللفظة لا يزال أمنية مرجوة أكثر مما هو حقيقة واقعة عند هذه الأمم ولاتزل آثار الأتوقراطية باقية فيها إما فى تقاليد الحكم وإما فى نظام المجتمع وإما فى متن الدستور نفسه ، وربما كانت سويسرا والأقطار الاسكندناوية أقرب الأمم الى الولايات المتحدة الأمريكية فى النزعة الديمقراطية . ولكنها مع ذلك لا تبلغ المستوى الأمريكى .

وأول ما يلفت النظر فى الولايات المتحدة أنها جمعت بين الاستقلال والاتحاد . فانها ٤٨ دولة مستقلة قد اجتمعن فى اتحاد عام مقره واشنطون ويمثله البرلمان بمجلسيه والرئيس والمحكمة العليا . ولكن كل دولة مع ذلك مستقلة فى هذا الاتحاد تسن لنفسها قوانينها وتنقح دستورها . واستقلالها يبدو فى كثير من القوانين التى تنفرد بها دون سائرالولايات . فهنا ولاية تسن قانونا للطلاق يؤدى الى انفصال الزوجين بأيسر الأسباب . وأخرى تسن قانونا آخر يكاد يجعل الطلاق مستحيلا لأى سبب . وهنا ولاية قد ارتقت فى وسائل التعليم حتى صار التعليم الجامعى فيها عاما فى حين أن أخرى لا تزال متخلفة فى التعليم الثانوى .

وهذا الاستقلال مع الاتحاد هو الأمل الذى تنشده الدول الأوربية فى الوقت الحاضر أى إيجاد " ولايات متحدة أوربية " تجمع نحو ٢٥ أو ٣٠ دولة تنزل كل منها عن حقوقها فى التسلح وسك النقود وفرض المكوس الجمركيـة وتستقل كل منهـا بقوانينها الداخلية . و"المحكمة العليا" فى واشنطون تفصل فى الخلافات التى تنشأ عندهن من الاصطدام بين استقلال الولاية وبين الاتحاد العام وكثيرا ما تحكم للأولى على الثانى .

ولو أن مثل هذا النظام وجد فى أوربا لما كابدت الدول الأوربية أهوال هذه الحرب. وأمارات الزمن الحاضر وطوالع المستقبل القريب كلتاهما تدل على أن الوحدة السياسية لن

تكون القطر الصغير وانما ستكون القارة الكبيرة . وان الاتحاد سيأخذ مكان الانفصال . وهذا النظام الاتحادى الأمريكى نجد له شبيها فى سويسرا ، حتى أن دعاة الاتحاد فى أوربا يذكرون سويسرا كلما فكروا فى هذا التنظيم الجديد. ولكن اتحاد سويسرا هو اتحاد اضطرارى تحتمه عليه جباله وتعدد لغاتها وقلة سكانها . وليس لسويسرا علاقات خارجية مشتبكة وليس لها أسطول بحرى أو جوى كبير . ولذلك يسهل اتحاد ولاياتها الأربع . أما الولايات المتحدة الأمريكية فتبلغ ٤٨ دولة وعلاقاتها الخارجية كبيرة وقواتها الحربية تغرى بالتسلط الامبراطورى . ومع ذلك لم تقع حكومتها قط فى هذا الاغراء .

وهذا الاستقلال الانفرادى والاتحاد الجماعى يخلقان حالة نفسية جديدة فى الشعب هى الاطمئنان الى السلم بل يخلقان عقلية تميل إلى السلم والإقلال من النفقات الحربية وتوفير المال للرقى الاجتماعى والاقتصادى . كما يخلقان عقلية تنزع إلى التسامح والتغاضى عن الخلافات المذهبية وكل هذه الميزات هى بعض سمات الديمقراطية الأمريكية وهى تعود فى الأصل الى هذا الاتحاد العام القائم على الاستقلال .

ولنظر فى ميزة التسامح هذه . فان حكومة الولايات بل حكوماتها تجهل الفروق الدينية والمذهبية والسلالية . وهى بوتقة الأمم ينزل فيها — أو كان ينزل فيها الى وقت قريب — الدنمركى والروسى واليابانى والانجليزى والسورى . وهؤلاء مع اختلاف أديانهم ومذاهبهم وسلالاتهم يجدون المساواة التامة ليس فقط إزاء القانون بل أمام الشعب . ويعزو بعضهم هذا التسامح الى أن المهاجرين الأولين الى أمريكا فى القرن السادس عشر قد ألجأهم الى الفرار من أوربا اضطهادات دينية فاتعظوا واعتبروا ونصوا على المساواة عندما بلغوا أرض الولايات المتحدة واستوطنوها وليس شك فى أنه كان لهذه الاضطهادات الأوربية بين الكاثوليك والبروتستانت أثر وعظى فى المهاجرين الى القارة الأمريكية . ولكن يجب ألا ننسى أن نظام الاتحاد نفسه فى الولايات المتحدة يؤدى الى التسامح . لأن استقلال الولاية مع الاتحاد مع ٤٧ ولاية أخرى يجعل الاضطهاد فى إحدى الولايات معدوم القيمة إذ يمكن للمضطهدين والمكروبين أن يلجأوا الى أية ولاية أخرى ويمكننا أن نتأمل أوربا فى أحقادها وإحنها المذهبية فى الوقت الحاضر وهى نحو ٢٥ دولة مستقلة، ثم نتخيلها وهى "ولايات متحدة" . فان مثل هذه الإحن والأحقاد تزول قيمتها فى الاتحاد .

ولكن هذا التسامح يقف عند الزنوج وصحيح أن الدولة تقول بالمساواة التامة بين البيض والسود فى جميع الحقوق والواجبات . بل يمكن الزنجى أن يرشح نفسه لأن يكون رئيس الدولة ولا يجد أمامه أية عقبة من القوانين. ولكن الشعب لا يؤيده . ونحن هنا إزاء عقبة أنثولوجية تعلو على القوانين وتحتاج لاجتيازها الى نفسية جديدة لم تتكون بعد . ومع ذلك يجب ألا ننسى الحرب الأهلية التى أثيرت بين الشماليين والجنوبيين سنة ١٨٦٠ كانت فى بعض وجوهها تعود الى أسباب إنسانية من ناحية تحرير الزنوج والغاء الرق .

وتمتاز الديمقراطية الأمريكية بميزات لا تكاد تعرفها أوربا . فانها وجدت منذ أكثر من ١٦٠ سنة الرتب والأوسمة . ورئيس الدولة هو " مستر " مثل أى عامل أو فاعل . وقد عممت المساواة بين الجنسين حتى يقال إن من يتكسبن من السيدات والأوانس فى المكاتب والمصانع الأعمال الحرة لا يقل عن ١١ مليونا . وقد رفعت شأن العامل الى حد أن بائع اللبن قد يحصل على أربعين جنيها فى الشهر . وحرية الصحافة والخطابة ليس لها نظير فى أى قطر آخر فى العالم ، بل كذلك حرية الثقافة .

وهـذه الحال هى نتيجة الظروف الأولى التى أحاطت بإنشاء الدولة ، فان الذين تولوا إنشاءها كانوا يخشون النزعات الاستعمارية التى كانت تسود أوربا فى ذلك الوقت (حوالى عام ١٧٨٠) فتوقوا جميع الظروف والملابسات الاجتماعية التى يمكن أن تؤدى الى إيجاد طبقة ممتازة تستطيع التسلط والاستئثار بالحكم وحرصوا على تحقيق المساواة .

وهذه النزعات الاستعمارية ليست مما يستهان به ، فان معظم الدول الكبرى فى العالم قد اشتبكت فى حروب عادت بالشقاء على العـالم ، وأحيانا عليهـا هى نفسها ، ولذلك ليس مما يستصغر شأنه أن نعرف مثلا أن الولايات المتحدة لم تشتبك فى حرب نحو مئة سنة (بين عامى ١٨١٧ و ١٩١٧) وأنها قضت نحو ١٥٠ سنة لا تعرف التجنيد الإجبارى ولا تعمل على إيجاد أسطول بحرى يتفق مع عظمتها ، بل أننا حين ننظر فى الحروب التى اشتبكت فيها الولايات المتحدة نجد فيها مغزى رمزيا للعصر الجديد يخالف التقاليد القديمة .

فقد حاربت الولايات المتحدة دولة مكسيكا وانتصرت عليها ولكنها بدلا من أن تطلب منها غرامة حربية أدت لها تعويضا .

وحاربت سنة ١٨١٧ كندا ولكنهـا عقدت صلحا ينص على إيجاد قوة بوليسية فقط ويمنع الدولتين من إقامة حصون أو تأليف جيش عند الحدود .

ودخلت الحرب الكبرى فاشترطت ألا تكون هناك غرامة حربية تفرضها الدول الظافرة على الدول المهزومة ، كما نصت على إيجـاد نظام جديد للعـالم مثلته " عصبـة الأمم " نحو عشرين سنة .

وأخفق هذا النظام لأن الروح الاستعمارى كان متسلطا على الدول الأوربية الكبرى .

فهذه أمثلة تدل على الروح الأمريكى الذى هو ثمرة الاتحـاد بين ٤٨ دولة ، وهو روح يمكن أن يسود أوربا إذا نزلت دولهـا الكبرى عن أنانيتها وجحدت المبادئ الاستعمارية وارتضت المساواة بين جميع البشر .

سلامه موسى

اثر الثقافة والفلسفة
فى المجتمع المصرى

أصبح للفلسفة فى أمريكا معنى يخالف معناها التقليدى المعروف فى أوربا وفى العالم القديم كله . فنحن نفهم من الفلسفة أنها تأمل فى الخلق والخالق ، وتفسير لمعميات الكون ، ودرس للمذاهب القديمة والحديثة من عهد الإغريق الى العصر الحاضر . وموازنة بين مختلف النظريات أو محاولة للتوفيق بينها بالزيادة هنا والحذف هناك . والفيلسوف فى نظرنا هو الرجل المنصرف عن معترك الحياة ، الواضع نظارته على أرنبة أنفه ، الغارق فى أكداس الكتب يقلب صفحاتها ويستوعب محتوياتها ، فإذا رفع عينيه عنها فلكى يحتر أفلاطون وارسطو ويفكر فى ديكارت وسبينوزا .

ولكن التفكير فى أمريكا يتجه اتجاها آخر وينحو نحوا جديدا .

من ذلك أن الأستاذ ديوى "Dewey" زعيم حركة التجديد فى الفلسفة الحديثة يرى أن الفلسفة وسيلة من وسائل الكفاح والنجاح فى الحياة ، شأنها فى ذلك كشأن جميع أنواع الثقافات ، وأن همها ينبغى أن ينصرف الى ترقية عيشة الإنسان والمجتمع الإنسانى كله . ولذلك يجب أن يكون هذا المجتمع أساس النقد والتجديد فى الفلسفة . ومن هنا نرى هذه الظاهرة الجديدة وهى أن الدراسات الفلسفية قد انتقلت من مخابئها فى مكتبات العلماء المترمتين الى الحياة العامة ، ونرى مثلا الحكومة الأمريكية تعين مستر ما كيفر "Mackiver" أستاذا للفلسفة فى كلية الزراعة فى تكساس .

فتأمل هذا الخبر الصغير فى مبناه ، الكبير فى معناه . هذه كلية تلقن الطلبة كيف يزرعون القطن ويعنون بالطماطم ويحلبون البقر ، ولكن الى جانب هذا يجب أن يتعلموا الفلسفة وأن يعرفوا أثرها فى حياتهم الزراعية المستقبلة ، ويجب أن ينيروا بصائرهم فى قيمة الحياة وأقيستها ، وأن يستعينوا بالفلسفة لكى يعينوا ويحددوا مطامعهم الفردية ومكانتهم الاجتماعية فى الأمة .

فالفلسفة لم تعد من الكماليات التى يتذوقها المتحذلقون أو المتخصصون . وإنما أخذت تتصل بالزراعة والصناعة فيجب أن يكون اتصالها وثيقا بالبيت والمصنع كما يجب على الشاب والفتاة أن يتساءل كلاهما فى بداية أى مشروع : هل هذا العمل يتفق والنظر الفلسفى الحسن ، أم لا يتفق ؟

اما النظر القديم — نظر التخصص — وهو الذى يقضى بأن يكون المزرع مزارعا فقط والفيلسوف فيلسوفا فقط ، فقد عدل عنه الأمريكيون لأنهم يرون أن الشخصية المثقفة هى الشخصية " الشاملة " المحيطة بالكثير من المعارف الإنسانية . وليس المقصود من هذا أن يكون الإنسان موسوعة كاملة ولكنهم يقصدون الى أنه يجب الا تتخير المعارف الانسانية لكل من فروعها أفرادا معينين ، هذا للفلسفة وذاك للكيمياء وآخر للأدب ، كأن هذه المعارف أمتعة مختلفة يحفظ كل منها على رف معين فى مخزن تجارى كبير بحيث لا يختلط أحدهما بالاخر .

وهنا ندرك معنى آخر للثقافة وهو أنها جزء من العدة للحياة الطيبة . وهى بهذا الاعتبار كفاح وجهاد للإصلاح والتجديد . فالمزارع يجب أن يدرس الفلسفة لا لكى يتحذلق بذكر أرسطوطاليس أو شوبنهاور ، ولكن لكى يهتدى بهديها فى حياته العملية ولكى توحى الى نفسه الاطمئنان الذى يكسب حياته الاتزان ويرشدها الى المرساة التى تسكن إليها فى التزعزع والقلاقل .

وكذلك يجب علينا جميعا أن نكون مثقفين . ولكن لأية غاية ؟

للغاية نفسها التى نقصد منها الى الفلسفة كما هو المغزى من تعيين المستر ما كيفر أستاذا للفلسفة فى كلية الزراعة الحكومية فى تكساس . أى أننا يجب أن نعالج الفلسفة والثقافة باعتبار صلتهما بالحياة الحاضرة وأثرهما فى السعادة والصلاح الاجتماعى . ويجوز لنا أن نقول إن أوروبا قد سبقت أمريكا الى ادراك القيمة الاجتماعية لها . فقبل نحو مائة سنة كانت دراسة اللغتين الإغريقية واللاتينية القديمتين تكاد تعم جميع المدارس الثانوية . وذلك تراث قديم انتقل اليها من القرون الوسطى حين كانت الكتب تؤلف باللاتينية . ولكن عند ما استفاضت العلوم العصرية ووضح لصوقها الحميم بالمجتمع فى الصناعة والزراعة والتجارة والطب عرف الأوربيون — وخاصة أمم الشمال — قيمتها وجعلوا لهذه العلوم التفضيل على تيك اللغتين القديمتين . فإن المزارع أو الصانع أو التاجر ينتفع بالكيمياء أو المبادئ الطبية أو الطبيعيات أكثر مما ينتفع بالإغريقية القديمة . وقد يحتاج الطبيب الى أن يعرف سبعين أو ثمانين جذرا من الجذور اللغوية اللاتينية التى تتألف منها الحدود الطبية ولكنه ليس فى حاجة الى درس بوتارك وتاكيتوس لهذا الغرض . كما أن التاجر أو الصانع ليس فى حاجة الى درس هذه الجذور بتاتا .

ولا يظن حد أن لأمم الأوربية حين نزعت الى إدخال العلوم العصرية فى مدارسها قد قصدت الى حذف أو إبعاد هاتين اللغتين القديمتين من مناهج التعليم وإنما هى أدركت أن الحياة العصرية تحتاج الى ثقافة تتصل بالمجتمع الحاضر ، وأن وسائل أو موادهذه الثقافة هى العلوم العصرية ، أما هاتان اللغتان فيجب أن تبقيا ولكن ليدرسهما المتخصصون لفقه اللغات .

وقد ينتهى القارئ الى الاستنتاج بأننا قد تناقضنا فى هـذا الذى ذكرنا . فقد قلنا إن الفلسفة تدرس فى كليات الزراعة، ثم عدنا فقلنا إن أوربا قد جنحت إلى العلوم واستبدلت بها اللغات القديمة كأنها قطعت بين الثقافة القديمة وبين الرجل العصرى .

والحقيقـة أن لا تناقض . فإن جميع الأمم المتمدنة لا تنكر ضرورة الاختصاص وهى تنشئ الكراسى فى الجامعات لأنواع الدراسات القديمة والحديثة والتافه منها والخطير . ولكن كل هذا للاختصاص لا للتعميم . فان اللغـة الإغريقية القديمة لا تلتصق بالحياة الزراعية فى أمريكا . ولكن الفلسفة تلتصق بهذه الحياة . فيجب أن يعلم المزارعون الفلسفة ولا يتعلموا الإغريقية القديمة . ويجب أن يحيطوا بالطبيعيات والكيمائيات والبيولوجية والاجتماع ولكن ليس عليهم — إلا إذا أرادوا التخصص أو الهواية — أن يدرسوا الآداب الصينية أو حتى لغـة الانجلوسكسون التى كانت حية فى انجلترا حوالى سنة ١٠٠٠ للميلاد .

وخلاصة القول أن النظر الجديد إلى الفلسفة والثقافة يخالف النظر القـديم . فهما ليستا للتأمل والاستمتاع وتقليب الكتب وتعليق الهوامش فى رفاهية المقعد الوثير فى المكتبة الزاخرة بالمجلدات . وليست الفلسفة اجتراراً من الأقوال والنظريات أو كما يقول الانجليز : ليست هى الغرفة الذهنية . إنما الفلسفة والثقافة هما ما يتصل بالحياة العصرية ويؤثر فيها بالصلاح والإصلاح . وإذا نحن تبعنا هـذا النظر فاننا سنجد أقيسة جديدة نقيس بها قيمة المعرف الإنسانية بين عقيمة ومفيدة وبين حسنة ومضرة . وعندئذ تعود الفلسفة والثقافة جهازين اجتماعيين للرقى والسعادة والحياة الطيبة . ثم تعودان من حيث هذا الاعتبار ضرورتين لكل فرد حتى لا يمكن لإنسان أن يعد نفسه متمدنا مالم يكن فيلسوفا مثقفا . وتخرج الفلسفة والثقافة عندئذ إلى السوق و إلى القهوة والنادى وتعودان حديث الزوجة مع الأولاد والمزارع مع العمال والمعلم مع التلاميذ .

ولكن أن تصل إلى هذه الحال إلا إذا اختفى من الثقـافة والفلسفة للتعميم ما يتصل بالحياة العصرية ويبين لنا المغزى من هذا التطور السياسى أو ذاك الانقلاب الاجتماعى وسائر الشؤون التى تهم لها جمهرة الناس وتصطدم بها فى قراءتها للجريدة أو فى طموحها الروحى أو فى رقيها الاقتصادى . أما غير ذلك مما لا يتصل بحياتهم العصرية إلا اتصالا ضعيفا فيجب أن يكون له الاختصاصيون الذين ينقبون عن آثاره ويوضحون قيمته التاريخية .

صيدلية المنزل

للدكتور حسين أمين

وكيل قسم الصيدليات بوزارة الصحة

موضوع كلمتى اليوم هو الصيدلية المنزلية ، أو صيدلية الإسعافات بالمنزل ، حيث إنه من الضرورى جدا أن يستكمل المنزل المصرى أسباب الراحة والرفاهية ، بأن تتوفر فيه عوامل تخفيف الألم عند وقوع أى حادث ، ومنع الضرر قبل استفحال الأمر ، فقليل من العناية فى الوقت المناسب قد يغنى عن مجهود ومال . وقد يوفر على المصاب صحته إن لم تكن حياته كلها ، إذ لو حدث توان من أهل المريض فى أداء واجب الإسعاف له فقد يصبح الأمر خطيرا .

من الواجب إذن أن يكون (دولاب الإسعاف) ومعدّاته محتسبا من قطع الأثاث التى يجب أن يعتنى بها السيدات . وهنا أكرر الرجاء وأحث على استكمال هـذا النقص إذا كان أحدنا لم يقم بعد باعداد العدّة .

و ياحبذا لو عنى الوالدون بدراسة هـذا الأمر وتلقينه لأولادهم ، وتمرينهم عليه ، والأمر لايتصاب فى كل منزل طبيبا ، ولكنه يتطلب شخصا يتصف بهدوء الأعصاب والقدرة على ضبط النفس حتى يتمكن من القيام بواجب الإسعاف — إن كان الأمر بسيطا وأفاد — و إلا استدعى الطبيب ليقوم بنفسه بعلاج المريض .

كلنا نعرف أن الإنسان وهو فى منزله ربما أصيب بجروح أو رضوض أو حروق أو نزيف أو رعاف أوصرع أو تسمم أو إغماء، إلى غير ذلك ،فماذا يفعل الإنسان إذا كان بعيدا عن الطبيب أو الصيدلية، أو تعذر لسبب ما الاتصال بهما، إن الأمر خطير يستدعى العناية ويجب الاحتراس له ، فتكون فى كل منزل صيدلية صغيرة .

والان وقد اتفق الأمر على وجوب إعدادصيدلية بالمنزل ، فإنى ذاكر للقراء الأدوات التى يجب أن توجد بها ، مع شرح بسيط لطرق استعمالها وفوائدها :

(١) ترمومتر طبى لقياس درجة الحرارة — وهـذا ضرورى جدّا ، لأن الطبيب المعالج يعتمد دائما فى تشخيص المرض على سير حرارة المريض . وكثيرا مايسأل عنها قبل

وصف الدواء وكثير من الناس يستعين لمعرفة حرارة المريض بوضع اليد على رأسه ويديه ولكن للأسف قد تخطئ اليد فلا تعطى حكما سديدا .

وقبل استعمال الترمومتر يجب التأكد من نزول عمود الزئبق الى درجة ٣٥ أو ٣٦ مئوية وبعد غسله بقليل من الكؤول أو ماء الكولونيا وتجفيفه بالفوطة أو بقطعة من القطن يوضع فى الفم أسفل اللسان — مع ضم الشفتين — ويترك هكذا مدة دقيقتين . وبعدها يخرج من الفم وتقرأ درجة الحرارة فى الحال . ثم يحرك باليد بشدة تكفى لنزول عمود الزئبق إلى درجة ٣٥ أو ٣٦ مئوية . وينظف بالكؤول أو ماء الكولونيا ويجفف ويوضع داخل العلبة المخصصة له ، ويعاد الى محله فى الدولاب . أما عند الأطفال فيوضع الترمومتر فى الشرج — ويلاحظ فى هذه الحالة أن يغسل جيدا بالماء والصابون ، ثم بالكؤول بعد الانتهاء منه .

(٢) حمام العين — ويجب أن تكون حافته ملساء — غير مشرشرة — وأن يكون نظيفا ويستعمل لغسيل العيون بمحلول البوريك المخفف بنسبة ٤ فى المائة مثلا .

(٣) قطارات — وتستعمل للتقطير فى العين أو الأنف — أو الأذن — وعند ما يستعمل الدواء على شكل نقط .

(٤) حقنة براڤاس — سعتها إثنتان من السنتيمترات المكعبة — للحقن تحت الجلد — أو فى العضل ، أو فى الوريد ، ولا تستعمل إلا بناء على أمر الطبيب .

(٥) كاسات الهواء — وهذه يجب أن يراعى فيها أن تكون حافاتها ملساء غير مشرشرة ولا حادة ، وأن تكون نظيفة عند الاستعمال ، ولا تستعمل الا بأمر الطبيب .

(٦) خمسون جراما من القطن الجيد — يستعمل للغسيل والتنظيف والغيارات على الجروح .

(٧) ستة أربطة من مقاسات مختلفة — وتستعمل لربط العضو المصاب بعد وضع الشاش المعقم والقطن على الجروح .

(٨) علبة شاش معقم — ويستعمل فى قصه مقص مطهر ، أى يغلى فى الماء لكى توضع قطعة منه على الجرح .

(٩) حقنة سعة لتر أو لترين — وهذه يجب العناية بنظافتها قبل الاستعمال ، ويحسن أن يوضع فيها دائما قليل من الماء وعليه قليل من الجلسرين ، وأن يكون "اللى" موضوعا بحيث لاينثنى إنثناء حادا قد يتلفه .

(١٠) نصف متر من اللنت . وهو نوع خاص من القماش . يستعمل فى اللبخ والمكمدات .

(١١) حقنة من الكاوتشوك على شكل الكمثرى بمبسم من العظم — تستعمل فى غسيل الأذن أو فى عمل حقنة شرجية للأطفال .

(١٢) قربة ماء ساخن — وهذه لها أشكال مختلفة فى السوق ، فمنها ما يوضع فيها الماء الساخن ، ومنها مايحتوى على مادة يوضع عليها قليل من الماء ثم ترج أو تهز لمدة بضع دقائق ، فتسخن وتحتفظ بحرارتها مدة كبيرة ، ومنها ماهو كهربائى وعلى أى صورة كانت ، فان وجودها نافع جدا كمصدر للحرارة والدفء ، خصوصا وأن الكثيرين من كبيرى السن والأطفال لايميلون لتناول الأدوية ، فيستعاض عنها أحيانا بالحرارة ، وهى ذات فوائد علاجية قيمة خصوصا فى حالات المغص ووجع البطن ، وآلام الروماتزم ويلاحظ عند وضعها أن تكون محكمة الغلق حتى لايتسرب شىء من الماء الساخن إلى جسم المريض .

انتهينا الآن من بيان الأدوات الهامة التى يجب أن تكون الصيدلية المنزلية محتوية عليها وأننتقل الان إلى ذكر الأدوية وكمياتها التى يحسن الاحتفاظ بها فى (دولاب الإسعاف) وكذلك فوائد هذه الأدوية وطرق استعمالها :

(١) أقراص الأسبيرين عشرون قرصا — ويعطى منها قرص مذاب فى قليل من الماء عند الإحساس بألم فى الرأس (صداع) ، أو بتكسر فى الجسم ، أو الأطراف ، ويجب ألا يتجاوز مايأخذه المريض ثلاثة أقراص فى اليوم على فترات متباعدة ، وإلا فيجب عرض الأمر على الطبيب .

(٢) بذر الكتان المسحوق مائتان وخمسون جراما — وهذا تعمل منه لبخة تنفع فى الالتهابات أو الاحتقانات الناشئة من الدمامل والخراريج .

(٣) كولياك أو روم مائة جرام — ويستعمل كمنبه عند ما يشعر الانسان بهبوط أو ضعف مفاجئ ، ويؤخذ منها ملء ملعقة كبيرة فى قليل من الماء .

(٤) جليسرين مائة جرام — ويستعمل عند حصول تقشف فى جلد اليدين أوخلافهما بأن يدلك موضع التقشفات ، أو تعمل منه حقنة شرجية للأطفال بمزجه مع قليل من الماء الفاتر عند حصول الإمساك .

(٥) الخل العطرى أو الخل العادى مائة جرام — وهو يخلط بالماء البارد ويستعمل مكمدات على الرأس فى حالة ارتفاع درجة الحرارة ، أو يدلك به الجسم .

(٦) روح النوشادر العطرى مائة جرام — ويفيد فى حالة الإغماء أو الهبوط ، وهو إما أن يوضع منه خمسة عشر نقطة فى قليل من الماء للشرب ، وإما أن تبلل به قطعة قطن وتقرب من الأنف قليلا قليلا .

(٧) روح الأثير وروح النعناع مائة جرام — ويفيد فى حالة المغص المعوى ، ويكفى أن يعطى من أحدهما عشرة نقط فى قليل من الماء .

(٨) زيت الخروع مائتان وخمسون جراما — ويعطى كمسهل بمقدار فنجان قهوة .

(٩) زهر البابونج مائة جرام — ويشرب كالشاى وقليل منه يصلح المعدة .

(١٠) زيت القرنفل عشرة جرامات — ونبلل به قطعة صغيرة من القطن وتوضع على المضرس المصاب عند حصول الألم ، مع الحذر أن تلمس اللثة أو اللسان — لأن زيت القرنفل كاو .

(١١) زيت الكافور مائة جرام — ويستعمل فى حالات الروماتزم ، ويحسن دلك العضو المصاب بالماء الساخن أولا ثم يجفف ويدلك بزيت الكافور .

(١٢) صبغة اليود خمسون جراما — مادة مطهرة توضع على الجروح .

(١٣) بيكربونات الصودا مائة جرام — وتذاب ملء نصف ملعقة صغيرة فى فنجان من الماء وتشرب فى حالة عسر الهضم والشعور بحموضة المعدة ، ومحلولها فى الماء نافع جدا للمضمضة قبل النوم لإذابة المواد الدهنية العالقة بالأسنان .

(١٤) سلفات الصودا أو الملح الانجليزى مائة جرام — ويؤخذ من أولها ملء ملعقة أو من الثانى ملء ملعقتين شوربة فى نصف كوبة ماء دافىء ويشرب المحلول كشربة وهنا يحسن أن نشير الى عدم الإكثار من تناول الشرب والأفضل الإكثار من أكل الخضراوات والفاكهة لاجتناب الامساك .

(١٥) بودرة الطلق أو مسحوق الأرز مائة جرام — وتستعمل لتلطيف الجسم وتسكين أكلان الجلد .

(١٦) الفازلين خمسون جراما — ويفيد فى الالتهابات الجلدية البسيطة .

(١٧) قطرة البروتارجول خمسة عشر جراما — ويجب المبادرة باستعمالها عند الاحساس لأول وهلة بالتهاب العين واحمرارها وإذا استمر الالتهاب وتكونت الافرازات رغم استعمال القطرة فيجب الإسراع بعرض الأمر على طبيب الرمد .

١٨) قطرة الزنك أو القطة الزرقاء ثلاثون جراما — وتستعمل لعلاج الرمد الحبيبى ثلاث مرات فى اليوم وهى نافعة جدا للعين بعد تعرضها لحرارة الجو والعرق والأتربة العالقة فى الهواء .

(١٩) الكحول النقى مائة جرام — ويفيد فى تطهير الجروح خصوصا البسيطة منها ويستعمل فى غسل الأيدى لتطهيرها قبل الغيار على الجروح وعقب ملامسة المريض بمرض معد ، أما إذا لمس الإنسان شيئا ملوثا فيجب غسل اليدين جيدا بالماء والصابون ثم غسلهما بالكحول بعد ذلك .

(٢٠) أمبول الكافور اثنا عشر أمبولا — ويستعمل كمقو للقلب ولا يعطى إلا بأمر الطبيب .

(٢١) محلول النوشادر القوى ثلاثون جراما — وتبلل به قطعة من القطن وتقرب من الأنف فى حالة الاغماء شيئا فشيئا حتى لا يفاجأ المريض برائحته القوية التعادة دفعة واحدة والاحتراس من أن يمس المحلول أنفه أو شفتيه لأنه يكوى الجلد ويسبب قروحا ، وهو يستعمل لتنبيه المريض لكى يفيق من الإغماء .

(٢٢) محلول حمض البكريك فى الماء ١ ٪ مائة جرام — ويستعمل للغيار على الحروق بعد حدوثها مباشرة بأن تبل منه قطعة من الشاش أو اللنت وتوضع على محل الحرق .

(٢٣) محلول حمض البوريك ٤ ٪ خمسمائة جرام — ويستعمل كمحلول مطهر لمسيل العين وتنظيفها .

(٢٤) ماء الأكسجين ثلاثمائة جرام — ويستعمل مخففا كمطهر للأغشية الرقيقة بإضافة مثل حجمه من الماء للغرغرة ، وكنقط للأذن وللغيار على الجروح .

وقبل أن أختتم الموضوع أرجو أن يحفظ كل دواء فى وعاء متين محكم الإغلاق مكتوب عليه الاسم بالكامل بخط واضح ، كما أرجو أن ينثبت الذى سيتصدى لعمل الاسعاف من الدواء الذى سيستعمله والى مقدار نفعه لحالة التى بين يديه وألا يدع للاضطراب العصبى سبيلا الى نفسه حين يصاب ولده ، أو زوجته ، أو أمه ، حتى لا يؤثر عليه ذلك ولا يعى تماما مايقرأه على بطاقة الدواء فيكون سببا فى حدوث حالة جديدة من الألم والمرض لمن يشفق عليه ، وقانا الله جميعا شر الزلل .

ونصيحتى الى ربات المنازل أن يصعن جميع هذه الأشياء مرتبة فى دولاب صغير يسمى دولاب الإسعاف ، وألا يضعن به سوى كل ما ذكر من أدوات وأدوية ، كما يجب أن يكون هذا الدولاب مغلقا ويحفظ مفتاحه مع ربة البيت نفسها خوف أن تصل اليه أيدى الأطفال أو غيرهم ممن يجهلون طريق الإسعاف والعلاج فيقع ما لا تحمد عقباه . وقانا الله جميعا شر الإهمال .

دكتور حسين أمين

كيف نربي أنفسنا ؟

كان جرانت ألين الأديب الانجليزى يقول على سبيل التهكم بالمدارس : يجب أن نمنع المدارس من التدخل فى تربية أطفالنا .

وهو يعنى هنا ان المدارس لا يمكنها أن تربى الناس وأنها اذا حاولت ذلك لم تنجح. وان مكان التربية الحقيق هو البيت أو الشارع أو المجتمع. ولا يشك أحد الآن فى أن قدرة المدرسة فى التربية على إيجاد النزعات وتكوين الأخلاق والتوجيه الاجتماعى أو الفلسفى صغيرة، وأننا نصل على هذه الأشياء جميعها من بيئات أخرى غير المدرسة . وهى تتكون وتنمو معنا نمو الحياة .

ولكن حتى على فرض أن المدرسة تربى كما تعلم فان الناس ليسوا سواء فى الحصول على الفرص المدرسية أو الجامعية . فان منهم من يقتصر على التعليم الابتدائى . ومنهم من يصل الى الشهادة التوجيهية . وعدد الذين يحصلون على تعليم جامعى محدود .

وتكاد التربية تكون عملا فسيولوجيا . فان الجسم لا يطلب الطعام إلا عند الجوع . ولا يطلب الماء إلا عند العطش . وهو يأخذ من الماء والطعام بالقدر الذى يحتاج . وفى الوقت الذى يحس فيه عاطفتى الجوع والعطش . وهو يختار ما يحب ويأنف مما يكره . وكذلك الشأن فى التربية. فإن الإنسان متى جاز طور الطفولة أو الصبا يعرف كفاءاته و بواعثه و يدرك حاجاته الثقافية و يطلبها بالقدر الذى يمكنه أن يهضمه و يمثله. وكما أن الطعام يستحيل شيئا آخر فى الجسم غير ما كان عليه قبل أن يهضم و يمثل، كذلك المعارف تمتزج بنفسيتنا وتحرك نشاطنا وتبعث طموحنا . ويختلف تأثيرها من شخص الى آخر لاختلاف النفسية عند كل منها . ومن هنا قولنا أن التعلم عمل فسيولوجى لأن له دورة فى النفس كما أن للطعام دورة فى الجسم . ولذلك خير من يعلم الشاب هو الشاب نفسه. لأنه حين يشتهى الوقوف على موضوع ما فانه إنما يشتهيه لحاجة نفسية . وهذه الحاجة هى بمثابة الجوع الذى يهيئ للهضم والتمثيل .

وأعظم ما يعاب على المدرسة أنها تعلمنا المواد وتعطينا المعارف ولكنها لا تعلمنا الطريقة التى يمكننا أن نحصل بها على هذه المواد والمعارف . وصحيح ان المدارس " النهضة " التى اتبعت طريقة "المشروع" وغيره من الطرق قد انتبهت الى هذا الركن الأساسى من التربية وشرعت تعالجه . ولكن ، الى أن تعم المدارس النهضة ، سيبقى شبابنا وهم قاصرون مقصرون فى المدارس. وسيبقى فضل التربية الذاتية واضحا بارزا على التربية المدرسية لهذا السبب .

وبواعث التربية الذاتية تختلف . فهي عند أحد الشبان حاجة يحسها بشأن العمل الذي يمارس من حيث إنه يريد الاستزادة أو التكمل فيه . وعند غيره هواية قد شغلت ذهنه وهي تتفتح أمامه بضروب من الارتياد الذهني . وعند آخر قد يكون الباعث قراءة الجريدة اليومية والرغبة في الوقوف على العوامل التي تختبئ وراء السياسة .

ولكل شاب فترة في حياته تقع بين السابعة عشر والخامسة والعشرين يحس فيها رغبة حارة للاطلاع كأنها الحمى . وقد يسوء استغلال هذه الفترة لأن الأبوين يكفان ابنهما مثلا عن هذا الاطلاع ويميتان فيه هذه اليقظة . ولكن الأغلب ان الشاب يجد في هذه السنين بواعث قوية تطلق ذهنه على الرغم من جميع القيود للتعرف الى كثير من المشكلات الدينية والفلسفية والاجتماعية والاقتصادية . وقد يكون لهذه الحمى الثقافية علاقة فسيولوجية بتطور النمو في الشاب . وانتقاله من طور الصبا إلى طور الشباب وما يؤدي اليه هذا الانتقال من حيرة تبعث على التطلع الجنسي أولا ثم يتسع هذا التطلع الى ان يصير بعد ذلك ثقافيا .

وفي هذه الفترة يتعود الشاب القراءة حتى تصير عنده هواية يشغف بها . وهو في هذه الهواية يجد من النظريات والأفكار ما يعد محوريا أو بذريا في النمو الذهني . فان المعارف ليست سواء . فان بعضها يقع في التربة الذهنية جامدا لا يلقح . وبعضها يجد عندنا خصوبة فينمو ويمتزج ويتفرع إذ هو بمثابة البذرة الصالحة للنمو . وبتوالي السنين واصطدامنا بالحوادث التي تتفاعل اذهاننا بها تنتصب عندنا طائفة من الأفكار نعتنقها كأنها المبادئ أو العقائد أو المذاهب . ونحن نقرأ لكي نتوسع فيها وندافع عنها . فتصير لنا بمثابة الحافز الذي يحفزنا على الاستزادة من الدرس والتوسع فيه .

وكل قارئ تقريبا سيجد هذه الأفكار المحورية أو البذرية تنشأ ثم تنمو في ذهنه . وعليه عندئذ أن يرعاها بالتوسع في القراءة المنظمة وبالدرس المتواصل . وقد عرفنا كثيرين من الشبان كان السبب لتعمقهم في الانجليزية أو الفرنسية رغبة حارة في استقصاء أحد الموضوعات العلمية ، كما عرفنا شبانا آخرين كانت التربية المدرسية تنقصهم . ولكن حمى الاطلاع أصابتهم حوالي الثامنة عشر من العمر فاندفعوا في تيارها وحصلوا من الثقافة على ما لا يمكن أي تعليم مدرسي أن يزود أحدا من التلاميذ به . وعرفنا آخرين أصبحت التربية الذاتية عندهم عادة فصارت لهم في بيوتهم مكتبات كهتهم عن التعرف الى المفاسد التي يقع فيها زملاؤهم من الشبان الذين لم يرووا للقراءة .

ولكن كيف يمكن الشاب أن يعمد الى تثقيف نفسه اذا كان قد ساء حظه فلم يتعلم التعليم الكافي في المدرسة ثم لم يجد في نفسه تلك الحمى التي أشرنا اليها أو وجدها ثم لم يستطع الانتفاع بها لظروف مختلفة ؟

وللجواب على السؤال نقول إن مثل هذا الشاب قليل . لأن هـذه الحمى الثقافية تكاد تكون طبيعية والمحموم بها يتغلب على جميع العوائق . ولكن لنفرض ان شابا قد بلغ العشرين أو الخامسة والعشرين يجب أن يشرع فى برنامج ثقافى فكيف يفعل ؟

يجب أن يعمد قبل كل شيء الى الجريدة اليومية يقرأها فى الصبـاح لكى ينبه ذهنه ويتصل بالمجتمع العالى ويلقى عليه نظرة عامة . وفى الجريدة مشروعات وأخبار وحوادث يجب أن تبعث التفكير عند الإنسان العـادى . وبالطبع تختلف الجرائد فى النزعة الثقـافية ومقدار عنايتها بالفنون والعلوم . ولـكن القارئ لابد مهتد الى ما يلائمه .

ثم يجب عليه أن يتدرج من الجرائد اليومية الى المجلة الراقية ثم الى الكتاب . ونحن نقول "يجب عليه" ولكن الحقيقة ان الرغبة ستدفعه فى نشاط وحرارة إلى اختيار المجلات والكتب متطوعا بلا إجبار . وبتى فعل ذلك فانه يكون عندئذ قد وصل الى " الطريق المـلوكى " للثقافة . وذلك أنه سيعين لنفسه غاية ثقافية كأنها البوصلة يتجه اليها وينشد المعارف ويجمعها للوصول اليها . ولمـا كانت الثقافة فسيولوجية فى أسلوبها فان الرجل المثقف سيأخذ منهـا انواعا ومقادير تأتلف ومزاجه . ولذلك كثيرا ما ينسلخ الإنسان من ثوبه الثقافى ويستحيل شخصا آخر كما تنسلخ العذراء من الفيلجة وتصير حشرة كاملة .

والرجل المثقف يمتاز بالاختصاص . فهو يهوى موضوعا معينا ينفق عليه من وقته وماله . وهذا الموضوع يكون له بمثابة المحور الذى يجمع اليه شتى المعارف تنظم وتنمو وتتفرع . فهو يبدأ فى تعميم يقرأ هنا وهناك كأنه يتسكع أو يتنزه ولكنه ينتهى إلى تخصيص فيحصر معظم قراءته فى موضوع معين يتصل بحرفته أو هوايته . وعندئذ تنتظم دراسته لأن التخصيص يجعله يتعمق ويأنف من المعارف السطحية . وكل شاب مثقف يجب أن يتعمق فى فرع معين من المعـارف بحيث يحاول أن يعرف كليـاته وجزئياته كما يعرف شيئا ما عن سائر المعارف .

وفى عصرنا الحاضر من المشكلات ما يجعل كل إنسان محتاجا الى الثقـافة ان لم يكن لحلها فلا أقل من تفهمها . ومن هنا قيمة التربية النفسية والنظر الى شؤون العـالم بالفهم والدرس والرغبة فى التعرف والاطلاع .

الأمراض الوبائية

نصائح وارشادات

تقدمها وزارة الصحة إلى الجمهور

١ — الأنفلونزا :

الأنفلونزا مرض معد يظهر من وقت لآخر فى شكل وباء . وهى كسائر الأمراض المعدية ، يجب اتقاؤها والحذر منها . وليعلم الجمهور أن الناس جميعا — شبانا وشيوخا وأطفالا — معرضون لخطر عدواها التى فضلا على أنها تعطل عن العمل فهى تنهك الجسم وتهيئه لأمراض أخرى أهمها السل .

وأعراضها أن يشعر المريض بآلام شديدة فى الجسم ، وبخاصة فى الرأس والأطراف السفلى . وقد تحصل الآلام أحيانا فى البطن ويصحبها عادة ارتفاع كبير فى درجة الحرارة ورشح من الأنف قد ينتهى إلى سعال شديد . كما أن المريض يحس فتورا عاما فى جسمه لا يمكنه من الاستمرار فى مزاولة عمله .

تلك هى أعراض الأنفلونزا . فإذا شعرت بها فبادر إلى استدعاء الطبيب .

أما طرق أمراض العدوى من المريض إلى السليم فكثيرة . فهى تنتقل من طريق الهواء الملوث بالإفرازات من فم أو أنف المصاب عند التكلم أو العطس أو السعال ، كما تنتقل بواسطة الملاعق والأكواب والمناديل والأشياء الأخرى التى يستعملها المريض أثناء مرضه . ولقد يحدث أحيانا أن يصاب شخص بنوع خفيف من الأنفلونزا لا يضطره إلى لزوم الفراش ولا إلى الانقطاع عن العمل فيظل يروح ويجىء ويختلط بغيره . وهذا الشخص يكون أهم عامل فى نقل العدوى وهو لا يدرى .

وللوقاية من عدوى الأنفلونزا يجب عليك فى أوقات انتشارها :

(١) أن تبتعد عن جميع الأماكن التى يكثر فيها ازدحام الناس ، كالمقاهى ودور السينما والتمثيل والأفراح والمآتم والأندية ومركبات الترام والسكك الحديدية إذا كانت مزدحمة .

(٢) ألا تزور مصابا بهذا المرض زيارة تجعلك تقرب من حجرة نومه .

(٣) أن تبتعد دائما عن نفس غيرك .

(٤) أن تجعل حجرات بيتك تامة التهوية متجددتها .

(٥) أن تصرف أوقات فراغك فى الهواء الطلق .

(٦) ألا تستعمل ملاعق أو شوك أو فناجين أو فوط أو مناديل أو فراش غيرك .

(٧) أن تحترس من أن يسعل أو يعطس أحد فى وجهك .

(٨) أن تتجنب الطرق والأماكن الكثيرة التراب .

(٩) أن تتجنب عادة التقبيل .

(١٠) أن تعزل المريض فى غرفة يتوافر فيها الهواء والشمس وألا تسمح لأحد بزيارته .

أما إذا أصبت بمرض الأنفلونزا فيجب أن تتبع الإرشادات الآتية :

(١) إلزم فراشك حتى لا يطول مرضك ولا تعدى غيرك .

(٢) لاتسمح لأحد أن يدخل غرفتك ولا تسمح لغير شخص واحد أن يقوم بخدمتك.

(٣) إجعل أبوابك وشبابيكك مفتوحة بقدر الإمكان على ألا تعرض نفسك لتيارات الهواء .

(٤) إذا سعلت أو عطست فغط فمك وأنفك بمنديل أو بما يقوم مقامه .

(٥) إذا بصقت فليكن ذلك فى مبصقة أو فى منديل أو فى خرقة خاصة .

(٦) لا تعتمد على تجاربك ولا على وصفات الأصدقاء فى علاجك ، بل استشر الطبيب فى ذلك .

(٧) لا تبرح غرفتك ولا تعد إلى مزاولة عملك إلا بعد أن يتم شفاؤك وتستعيد صحتك .

* * *

٢ — الحصبة :

حدث منذ عهد قريب أن بلغ عدد الإصابات بالحصبة فى مصر ٢١٨٦٠ إصابة ، وعدد الذين توفوا بها فى نفس السنة ٩١٥٢ ، وأن أكثر هذه الوفيات (٦٠٪ منها) كان فى الأطفال الذين لم يبلغوا الخامسة من عمرهم .

والتهابات الرئة كثيرة الوقوع مع الحصبة. والأطفال الذين يشفون من هذه الالتهابات يكونون عرضة لمرض السل فى مستقبل حياتهم . وكثيرا ما تأتى التهابات العين نتيجة لمرض الحصبة .

أما أعراض الحصبة فتظهر فى احتقان فى العينين مع تساقط دموع، ورشح من الأنف، وسعال وعطس . فإذا فتحت فم المريض ونظرت إلى حلقه وجدته شديد الاحمرار بسبب الاحتقان .

و يصحب هذه الأعراض عادة ارتفاع فى درجة الحرارة. وتستمر الأعراض حتى اليوم الرابع من المرض حيث يظهر على جسم المريض طفح هو عبارة عن بثع حمراء صغيرة بارزة قليلا وتنتشر بكثرة حتى يغطى الجسم كله تقريبا مبتدئة عادة من الوجه . ثم يأخذ هـذا الطفح فى الزوال فى اليوم الخامس حتى يزول تمـاما فى ظرف ثلاثة أو أربعة أيام وعندئذ يزول ارتفاع الحرارة .

وقد تشتد هذه الأعراض أحيانا وترتفع الحرارة كثيرا وتظهر مضاعفات شديدة الخطر أهمها التهابات الرئة . وكثيرا ما تظهر التهابات أخرى بالعين والأذن وأعضاء أخرى كثيرة تاركة عاهات مستديمة بعد الشفاء من هذا المرض الشديد الفتك .

وتبتدئ أعراض الحصبة بعد التعرض للعدوى بمدة تتراوح من ٩ الى ١٤ يوما تقريبا وهى ما تسمى مدة التفريخ .

وتنتشر الحصبة بشدة فى أشهر مارس وأبريل ومايو و يونيه من كل سنة .

وكلما كان المصاب صغيرا فى السن ازداد خطر المرض .

فاعمل جهدك لوقاية أطفالك من أن يصابوا بالحصبة . وخير طرق وقايتهم منها هو :

ألا تترك الأطفال يخالطون طفلا به رشح من الأنف أو سـيولة من العينين و بخاصة فى الأوقات التى تعلم أن هذا المرض كثير الانتشار فيها .

و إذا أصيب طفلك بالحصـبة وجب عليك أن تجعله فى غرفة بعيدة عن بقية الأطفال ولا تدعهم يختلطون به مطلقا . ومـما ينبغى ذكره و يحسن فهمه أن عدوى الحصبة لا تأتى إلا من مريض بالحصبة . أما الفكرة الذائعة والسـائدة فى بعض الأوساط والتى تقول بأن الطفل لا بد أن يصاب بالحصبة فى وقت ما من عمره فخطأ محض وجهل فاضح . والطب يؤكد أن من الأشخاص كثيرين لم يصابوا بهذا المرض أبدا .

وعلى كل حال فاحترس من أن يصاب طفلك بالحصبة فى السنين الأولى من حياته لأن خطرها فى هذا الطور من الحياة شديد جدا. وكلما كان الطفل متقدما فى السن ازدادت قوة تحمله للمرض .

أما إذا أصيب طفلك بالحصبة فاعزله عن بقية الأطفال واستدع الطبيب لفحصه مهما تكن أعراض المرض خفيفة الوطأة . ويجب أن تكون غرفة المريض متجددة الهواء

وأن يكون الغطاء خفيفا لأن الغطاء إذا ثقل اشتدت حرارة المريض وكان عرضة للبرد والتهاب الرئة . وليذكر أهل المريض أنه ينبغى ألا يدعوه يترك غرفته قبل أن تزول عنه أعراض المرض كلها وأهمها الحمى ، وذلك لا يكون إلا بعد انقضاء أسبوعين على الأقل من يوم الإصابة . كما أنه لا يجوز أن يختلط بالأطفال الأصحاء قبل مضى مدة أخرى لا نقدرها بأقل من شهر .

* * *

٣ — الحمى التيفودية :

الحمى التيفودية — ويسميها العامة " النوشة " من الأمراض التى يمكن للانسان أن يتحاشاها ويتقيها ، وطرق تحاشيها واتقائها بسيطة سهلة ولا تكلفك عناء ولا مالا .

وسبب حمى التيفود ميكروب صغير لا تمكن رؤيته إلا بمجهر "ميكوسكوب" واسم هذا الميكروب " باسيل التيفود " وهو يوجد فى جسم الشخص المصاب بالحمى ويفرز مع البراز والبول أثناء مرضه ، وقد يستمر وجوده فى البول والبراز مدة قد تكون قصيرة أو طويلة بعد شفاء المريض ، وأحيانا يستمر وجوده طول العمر ، وهناك اشخاص لم يصابوا بالحمى ولا ينتظر إصابتهم بها ، ومع ذلك يوجد فى برازهم أو بولهم هذا الميكروب ، والنوعان الأخيران يسميان حاملى العدوى وهما من أهم وأخطر الأسباب فى انتشار هذه الحمى .

ولا يصاب الإنسان بحمى التيفود إلا إذا تسربت كمية من ميكروب حمى التيفود إلى أمعائه بطريق الفم وكان عنده استعداد طبيعى للاصابة بالعدوى ، ففى هذه البلاد لا توجد طريقة صحية لتصريف الفضلات حيث يستعمل الناس المراحيض ذا المجرور مثلا إذا تصادف وجود بئر قريب من المجرور تتسرب هذه الفضلات إلى ماء البئر حاملة لميكروب المرض ، فعند شرب مياه هذا البئر يبتلع الشخص معه كمية من الميكروبات فيصاب بالمرض .

ويساعد على انتشار هذا المرض أيضا التبرز أو التبول فى الحوارى والأزقة أو الحقول فتنتشر هذه الفضلات إلى مسافات كبيرة بواسطة أقدام الأشخاص أو الحيوانات وبذلك يسهل تلوث المأكولات بما فيها من ميكروبات خصوصا الخضراوات عند أكلها قبل غسلها فانها تنقل العدوى إلى الذين يأكلونها ، وفضلا عن ذلك فان الذباب بوقوفه على هذه الفضلات ثم انتقاله إلى المنازل ينقل هذه الميكروبات إلى المأكولات التى فى المنازل وإلى اللبن على الأخص وبذلك يساعد على انتشار هذا المرض الفتاك .

وتحدث أكثر إصابات هذه الحمى فى شهور الصيف حيث يكثر انتشار الذباب ، ولكى تقى نفسك عدوى حمى التيفود يجب أن تعمل بالنصائح الآتية :

(١) لا تخالط مريضا بحمى التيفود .

(٢) لا تتبرز أو تتبول إلا فى المراحيض المعدة لذلك .

(٣) اغسل يديك قبل الأكل بماء نظيف " مرشح " وصابون .

(٤) اعمل على إبادة الذباب وعدم تمكينه من دخول المنزل .

(٥) غط جميع المأكولات بغطاء من الشاش أو ضعها بداخل " غلية " من السلك حتى لا يصل إليها الذباب .

(٦) يجب أن يكون ماء الشرب أو الماء المستعمل لغسل الأوانى موضوعا فى وعاء غير قابل للتلوث ، و إذا شككت فى تلوث الماء فيجب أن يغلى قبل استعماله لإبادة الميكروبات الموجودة به .

(٧) يجب غلى اللبن قبل استعماله مباشرة إذ بهذه الطريقة تقتل جميع الميكروبات الموجودة به .

(٨) لا تأكل حتى الخضراوات أو الفاكهة قبل غسلها جيدا تحت ماء جار مدة طويلة .

(٩) لا تترك أطفالك يأكلون شيئا مما يعرض للبيع مع الباعة المتجولين مهما كان نوعه .

(١٠) احترس بنوع خاص من كل المواد المثلجة التى تباع مع الباعة المتجولين .

(١١) ألا تترك أطفالك يلعبون فى الأرض و يلوثون أيديهم وملابسهم بالأتربة و يضعونها فى أفواههم .

(١٢) يمكنك أن تزيد فى مناعة جسمك ضد حمى التيفود وخصوصا فى زمن انتشارها وذلك بحقنك بالطعم الواقى منها وتعمل لك الحقن مجانا فى أى مكتب من مكاتب الصحة .

ولكى تعتنى بمصاب الحمى التيفودية :

(١) يجب عزل المريض فى غرفة خاصة ويستحسن أن تكون فى الدور العلوى من المنزل .

(٢) يجب ألا يدخل الغرفة سوى الشخص الذى يقوم بتمريض المصاب .

(٣) يجب أن يخصص للمريض أوان للأكل والشرب كالملاعق والشوك والسكاكين والأطباق وأكواب الماء .

(٤) يجب غمر جميع ملابس المريض وأغطية سريره وكل ما يستعمله من أشياء فى محلول مطهر لحمض الفنيك بنسبة ½٪ ويجب غليه جيدا قبل غسله ، ويجب ألا يسمح بوضع هذه الملابس أو الأشياء الأخرى مع ملابس أو أشياء أى شخص آخر .

(٥) يجب أن يوضع دائما فى " القصرية " التى يستعملها المريض محلول مطهر لمحلول حمض الفنيك . وبعد استعمال القصرية للتبول أو التبرز يجب إضافة مقدار آخر من المحلول إليها يساوى كمية البول أو البراز ثم يلقى ما فى القصرية فى المرحاض وبعد ذلك توضع كمية من المحلول ثانيا فى القصرية وتترك بها لحين استعمالها مرة أخرى .

(٦) يجب إبقاء غرفة المريض دائما نظيفة ورش أرضيتها بمحلول مطهر .

(٨) يجب ألا يترك بغرفة المريض من الأثاث إلا ما كان ضروريا .

(٨) يجب أن يلبس من يقوم بالتمريض فوطة بيضاء نظيفة وألا يستعملها إلا داخل الغرفة فقط وألا يختلط بأحد من أهل المنزل .

(٩) يجب على من يقوم بالتمريض أن يغسل يديه بمحلول مطهر بعد ملامسة المريض أو أى شىء من ملابسه وأن لا يأكل داخل غرفة المريض مطلقا .

(١٠) بعد شفاء المريض يجب إرسال جميع الملابس والمهمات الموجودة بالغرفة لتطهيرها بالبخار ووزارة الصحة تقوم بذلك مجانا بدون أن تكلفك شيئا وكذلك تقوم بتطهير الغرفة بمحلول مطهر .

(١١) يجب على المريض بعد شفائه من المرض أن يغسل يديه دائما بالماء والصابون بعد قضاء الحاجة (التبول أو التبرز) .

أزمة المتعطلين وكيف تعالج

بقلم الأستاذ س . م

أثار حضرة صاحب السعادة حافظ رمضان باشا وزير الشؤون الاجتماعية السابق فى عدد ماض من هذه المجلة ما سوف نواجه من مشكلات العمل وتطوراته . وسنحاول أن نعالج هنا مشكلة التعطل فى نواحيها المختلفة زراعية وصناعية وبين المتعلمين وبين الأميين .

فان الذين يبحثون مشكلة التعطل يحصرون بحثهم فى تعطل العمال فى المدن أو فى تعطل المتعلمين . وقلما يذكرون التعطل بين الفلاحين فى الريف مع أن لدينا من الأعراض مايدل عليه . ذلك أن القاهرة والاسكندرية بل بعض المدن الكبرى فى الوجه البحرى تكتظ بكثير من عمال الريف فى الصعيد . وهم يتسكعون فى الشوارع يبيعون التوافه والنوافل مما يجعلهم فى حكم المتعطلين . وهجرة الريفيين إلى المدن شائعة بل هى مشكلة واضحة كثيرا ما ذكرها الكتاب ولكنهم لم يردوها إلى أسبابها الحقيقية وهى أن الأعمال الزراعية لا تكفى العمال .

والأسباب لذلك كثيرة وهى أن الأرض الزراعية محدودة المساحة والريع . بل فى كثير من الأحيان قد نقص الريع عما كان عليه قبل ثلاثين سنة لانحطاط التربة من وفرة المياه الراشحة . وهذه الزيادة فى السكان تضطر إلى الهجرة فى المدن حيث يأمل الريفيون الحصول على العيش .

ولكن الزيادة فى السكان وحدها ليست أهم الأسباب . بل كان يمكن أن يستوعب الريف هذه الزيادة لو أن الزراعة كانت قد تطورت نحو الصناعات الزراعية العصرية التى ما زلنا نجهل منها الشىء الكثير . وهناك سبب آخر خطير للتعطل فى الريف هو تفشى الآلات الزراعية البخارية والموطرية والكهربائية فى الانتاج الزراعى . ذلك أن "الدوائر" الكبيرة تقتنى هذه الآلات للحرث والرى والحصاد بل حتى للطحن . وبدلا من استعمال المحراث البلدى الذى لا يحرث أكثر من فدان فى اليوم صارت المحاريث التى تدار بالقوة تحرث عشرين أو ثلاثين فدانا فى اليوم . فانظر فى هذا الاختلال الخفى للاقتصاديات الزراعية وتأمل أثره فى التعطل فى الريف ! فان ثلاثين فدانا تحرثها آلة لا تحتاج إلا إلى عامل واحد أو عاملين على الأكثر . وكان المحراث البلدى يحتاج إلى ثلاثين عاملا . ثم هناك الماشية التى استغنى عنها . فانها كانت تحتاج الى من يتعهدها بالخدمة وإلى علف تنبته الأرض يحتاج إلى عمال أيضا . فقام مقام ذلك كله البترول والبترين والفحم ، وهى مما لا يربح الفلاح منها شيئا لمعاشه .

وهذه الآلات تعمل فى الحرث والرى والحصاد والطحن والنقل ، وكانت كل هـذه الأعمال قبل ثلاثين سنة تجرى بالماشية التى تحتاج إلى عدد كبير من العمال الريفيين . ثم انظر إلى الأتومبيل الذى جعل الجمال والخيول فى ريفنا نادرة بل معدومة . فإنه أيضا قد أحدث تعطلا لأن الجمل والفرس يحتاجان إلى العلف وإلى من يتعهدهما بالعناية ويسير وراءهما فى السياقة . ولكن الأتومبيل ألغى كل ذلك . وهناك من خبراء الزراعة من كان ينعى على المزارعين المصريين تغييرهم للدورة الزراعية أى بدلا من زراعة الثلث قطنا صار هؤلاء المزارعون يزرعون القطن فى النصف أو أكثر من أرضهم . والذين يقولون هذا القول يعللون هذا التغيير بجشع المزارعين ورغبتهم فى الحصول على أثمان القطن . ولكنهم نسوا ما كان من أثر الأتومبيل فى النقل وأن زراعة البرسيم والقمح والفول قد أصبحت قليلة القيمة إذ ليست هناك ماشية تحتاج إلى العلف . فهـذا التغيير الذى طرأ على الدورة الزراعية إنما يرجع إلى أثر الآلات الزراعية التى تدار بالقـوة وإلى الأتومبيل . كما أن التعطل الناشىء فى الريف وهجرة الريفيين إلى المدن يرجعان أيضا إلى هذا السبب .

والأمم الزراعية تمتاز بالاستقرار على مستوى منخفض من الاقتصاد الأهلى . كما أن الأمم الصناعية تمتاز بالثراء العظيم ولكن مع تشنجات اقتصادية دورية . ولكن إذا نحن عمدنا إلى الوسط الزراعى وأفسدنا اقتصادياته فإننا يجب أن ننتظر فيـه تزعزعا تختلف مظاهره من هجرة عماله إلى المدن إلى تفشى الجرائم إلى فتك الجوع . وهذا هو ما نعانى الآن فى ريفنا . لأن الآلات البخارية والموطورية والكهربائية قد أفسدت اقتصادياته ، لأن كثيرا من الفلاحين فى الدوائر الكبيرة يعيشون على حافة القحط ولا يعملون فى السـنة كلها سوى أشهر قليلة . فإما أن نضع قيودا وحدودا لاستخدام الآلات الكبيرة كما فعلت هنغاريا وغيرها من الأقطار الزراعية وإما أن نسارع إلى تجفيف البحيرات فى شمال الدلتا واستصلاحها لكى يجد المتعطلون من الريفيين عملا جديدا فيها .

وتعطل الريفيين عندنا أخطر وأفدح وأكثر تفشيا من تعطل العمال فى المدن . ولكنه لا يجد الإعلان والانتباه اللذين يجدهما تعطل سكان المدن . والأسباب لهذه الحال لا تحتاج إلى شرح . والمصانع فى المدن تجد من الحماية الجمركية ما يجعلها دائمة العمل لأن الجمهور يستهلك ما تنتجه ، ولذلك فالتعطل قليل ، ومشكلات العمل فى مصر الصناعية ليست خاصة بشأن التعطل وإنمـا هى تتعلق بساعات العمل وأجوره .

ولكن هناك تعطلا آخر هو تعطل المتعلمين . فإن مدارسنا كانت مدة الرقابة البريطانية تعنى بتخريج الموظفين ولا تكاد تفكر فى تعليم شبابنا المبادئ أو المواد التى يحتاجون اليها للعمل الحر خارج الوظائف الحكومية . ونشأ من اتباع هـذه الخطة أن تخرج عدد كبير جدا من

الشبان الحائرين الذين يحملون شهاداتهم الثقافية ولا يعرفون كيف يكسبون . ولا علاج لهذه الحال السيئة إلا بإصلاح النظم المدرسية وتغيير المواد التعليمية بحيث تعد الشبان للعمل الحر، أو بإنشاء مدارس خاصة للمهن الحرة .

والشعور العام أن المصانع والمتاجر الأجنبية لا تستخدم الشبان المصريين بل تؤثر عليهم أبناء الجاليات الأجنبية . وأنه يجب أن تسن قوانين ، كتلك التي في تركيا ، تحتم على المتجر أو المصنع استخدام عدد مئوى من المصريين . وليس شك في صدق هذا الشعور نحو هذه المصانع أو المتاجر . ولكن يجب ألا توجه اللوم إليها وحدها . فإن الشاب المصرى لم يعد الإعداد الكافي لتولى الأعمال الحرة . وإن كان هو الآن في هذه الطريق . ولكنا حين نسمع أن بنك مصر يستخدم وحده نحو ٦٥٠ موظفا مصريا لا نتمالك من الشعور بأنه لو كانت المتاجر والمصانع كلها مصرية لوجد شبابنا ميدانا واسعا لا يحده في الوقت الحاضر . وهذا يجب أن يشجعنا على التوسع الصناعي . كما أن إيجاد نظام تأميني بسيط القواعد قليل التكاليف يكفل لنا المستقبل القريب تخطي الأزمات الصغيرة المنتظرة . ويكون في المستقبل البعيد بذرة لمعالجة الأزمات الخطيرة للبطالة . على أن مثل هذا النظام لا يمكن أن ينشأ إلا على قاعدة الثقافة .

وفي السنوات الأخيرة قام التنظيم الحربي الجديد باستيعاب عدد كبير من الشبان الريفيين والمدنيين . فكان لهذا أثره في تخفيف أزمة التعطل . وسوف يكون نمو الجيش عاملا خطيرا من عوامل هذا التخفيف في جملة سنوات قادمة وخاصة عند ما تنشأ مصانع للذخائر والأسلحة . لأن هذه المصانع سوف تستوعب عددا كبيرا آخر من العمال .

ولكن إذا كنا لا نتوقع في الوقت الحاضر أن تفدح أزمة التعطل لأن نمو الجيش المصرى يستوعب عددا كبيرا من الشباب فاننا يجب أن نحسب لنمو السكان كل حساب . فان الأرض المزروعة ، كما قلنا ، محدودة . فلا بد من أن نثمر ونشط في استصلاح الأرض في شمال الدلتا وشرقها وغربها من الأرض البور . كما لا بد أن ندرس موضوع الآلات الكبيرة التي تتفشى في الدوائر الكبيرة وتؤثر حتى في المزارع الصغيرة . وفي الوقت نفسه نخفف القيود والشروط التي تؤخر الرقي الصناعي في المدن . حتى تستوعب الصناعات الجديدة في المدينة ما يفيض من العمل العاطل في الريف .

س . م

الأمن العام فى السنة الماضية

مقتبسات وإحصاءات مفيدة

أصدر وكيل وزارة الداخلية صاحب السعادة الأستاذ أحمد حمدى محبوب باشا تقريرا عن الأمن العام فى السنة الماضية وهو سجل حافل بالاحصاءات والآراء والمعلومات عن الجرائم التى ارتكبت فى مصر فى العام الماضى مع المقابلة بما ارتكب فى الأعوام السابقة . وهذا التقرير يجب أن يحفظ فى مكتبات جميع المشتغلين بالمشكلات الاجتماعية فى مصر . فان الجريمة هى الانفجار الأخير لاختناق نفسى سابق قد دام مدة طويلة أو قصيرة . ولهذا الاختناق أسباب كثيرة تختلف باختلاف البيئة الاقتصادية والاجتماعية بل والثقافية ، ففى مديرية أسوان مثلا تقع جريمة قتل (وشروع فيه) لكل ٣٣٩١٠ من السكان فى حين أن هذه الجريمة تقع فى مديرية أسيوط لكل ١٨٠٧ من السكان . ولا يمكن تعليل هذا إلا بالرجوع الى تقاليد معينة وأخلاق سائدة فى كل من المديريتين .

ويقول الأستاذ أحمد حمدى محبوب بك :

وترجع أسباب ارتكاب الجريمة فى مصر الى تباين أخلاق الأهلين واختلاف مصالحهم وما قاسته البلاد من وقع الأزمة المالية واحتياج جزء كبير من الشعب للتهذيب والتعليم وما الى ذلك من الأسباب .

ويسرنى وكل مطلع على الإحصاء الجنائى أنه فضلا عن أن عدد الجنايات التى وقعت فى أنحاء المملكة المصرية فى سنة ١٩٣٩ قضائية قد نقصت بمقدار (٤٠٦) جناية فان نسبة القضايا التى حفظت موقتا من جملة الجرائم هبطت فى هذا العام الى ٤٥٪ وهى أقل نسبة عرفت منذ سنة ١٩١٨

وقد شمل النقص جل الجرائم الخطيرة كالقتل العمد والسرقات بظروف والشروع فيهما والحريق العمد وتسميم المواشى وخطف الأطفال وتعطيل قطر السكك الحديدية ، مع أن البلاد ما زالت تقاسى الأمرين من وقع الأزمة المالية التى زادت سوءا بهبوط أسعار الحاصلات الزراعية وبخاصة محصول القطن وهو المحصول الرئيسى للثروة الأهلية .

وغير خاف أن اشتداد الأزمة المالية يتبعه دائما زيادة فى عدد الجرائم فالنقص فيها وفى نسبة المحفوظ منها موقتا يدلنا على مبلغ يقظة رجال الأمن لمكافحة الجريمة قبل وقوعها وما يبذلونه من مجهودات فى ضبط مرتكبيها إذا وقعت .

ومن دواعى الغبطة أن إنشاء وزارة الشؤون الاجتماعية فى أواخر عام ١٩٣٩ القضائى وهى وزارة الفلاح والعامل سوف يسد بعونه تعالى نقصا كبيرا فى حياتنا الاجتماعية بعملها على رفاهية وتهذيب الفلاح والعامل وهما قوام الشعب وعماده .

* * *

وقد أورد التقرير بعض الجنايات التى تعود الى أسباب تافهة ونحن ننقل بعضها هنا لمغزاها الأخلاقى والاجتماعى :

(١) ٣٩٣٢ جنايات قليوب سنة ١٩٣٩ — قتل — بسبب نزاع على قطعة بطيخ .

(٢) ٢٨٧٧ جنايات طوخ سنة ١٩٣٩ — « — لأن القتيل كان قد أرسل أخا المتهم لاحضار ماء له للشرب فابتلت ملابسه » .

(٣) ٦٣٢٨ جنايات السنبلاوين سنة ١٩٣٩ — شروع فى قتل — بسبب إلقاء المجنى عليه بعضا من التراب على المتهم فى أثناء لعبهما .

(٤) ٣٠٥ جنايات مركز الزقازيق سنة ١٩٣٩ — قتل — لأن المجنى عليه توضأ من مجرى مياه تمر بأرض المتهم .

(٥) ٢٤٠٨ جنايات مركز أبشواى سنة ١٩٣٩ — شروع فى قتل — لنزاع على مشترى سمك .

(٦) ٨٢٦ جنايات الفشن سنة ١٩٣٩ — شروع فى قتل — على أثر مزاح .

(٧) ٥٦٦٠ جنايات بنى مزار سنة ١٩٣٩ — « « — بسبب إرضاع حمل صغير من نعجة المتهم » .

(٨) ٧٨٢ جنايات بنى مزار سنة ١٩٣٩ — « « — « المطالبة بقرش صاغ .

(٩) ٣٦٩ جنايات سمالوط سنة ١٩٣٩ — « « — « نزاع على قرش صاغ .

(١٠) ٨٧٥ جنايات بندر المنيا سنة ١٩٣٩ — « « — « المطالبة بدفع ثمن طعام .

(١١) ١٦٨٨ جنايات بندر المنيا سنة ١٩٣٩ — « « — « نزاع بسيط بين الأولاد .

* * *

ومن أحسن البيانات التى وردت هذا الاحصاء التالى عن الأسباب التى أدت الى جريمة القتل العمد أو الشروع فيه :

كشف ببيان الأسباب التى دفعت الى ارتكاب جرائم القتل العمد والشروع فيه من سنة ١٩٣٥ لغاية سنة ١٩٣٩

السنة	أسباب انتقامية							منازعات ومشاجرات					نزاع لأسباب أخرى	بسبب السرقات	الجملة
	بسبب الأخذ بالثأر	بسبب ضغائن عالية	بسبب نفقة شرعية	بسبب دفع العار	بسبب الضيق المالى	بسبب نزاع على [illegible]	بسبب نزاع على [illegible] وقتل أخرى	بسبب الرى	بسبب التعدى على حدود	بسبب قسمة محصول	بسبب نزول مواشى	بسبب [illegible]			
	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	حدد	
١٩٣٥	٢٨٣	٦٤٢	٢٠	٣٤١	٣٤	١٨	١٩	٣٣	١٠	١٥	٢٨	٢٧	١٠٨٩	٢٤٧	٢٨٠٦
١٩٣٦	٣٣٩	٦٣٦	١٩	٣٠٢	١٩	٤	٢٥	٤٠	٢٧	١٤	٤٠	٣٢	١١٤٣	٣٠٢	٢٩٤٢
١٩٣٧	٣٦٦	٦٥٨	١٧	٣٠٢	٤٣	١٠	٣١	٣٥	٨	١٠	٣٢	٣٨	١٢١٢	٢٨٣	٣٠٤٥
١٩٣٨	٤٨٨	٦٤٦	٢٠	٣١١	٢٦	١٦	٣٨	٥١	٢١	٥	٣٥	٣٤	١٣٠٤	٣٧٢	٣٣٦٧
١٩٣٩	٤٦٣	٥٥١	٢٦	٢٧٠	٤٠	٧	٣٣	٣٤	١٣	١٢	٤٣	٤٨	١١٥٩	٣٥٤	٣٠٥٣

أما من حيث المقابلة بين المديريات فإن هذا الجدول التالى يثير ويفيد :

الجهات	سنة ١٩٣٨		الجهات	سنة ١٩٣٩	
	جملة القتل والشروع فيه	ما يخص الحادثة من عدد السكان		جملة القتل والشروع فيه	ما يخص الحادثة من عدد السكان
أسيوط	٦٦٦	١٨٠٧	أسيوط	٦٣٠	١٩١١
جرجا...	٣٣٨	٣٠١١	القليوبية	١٨١	٣٢١٨
الفيوم	١٨٤	٣٢٧١	دمياط	١٢	٣٣٧٤
القليوبية	١٧٠	٣٤٢٥	الفيوم	١٦٦	٣٦٢٦
المنيا	٢٤٣	٣٨٢٠	جرجا	٣٠٣	٣٦٨٩
بنى سويف ...	١٤٦	٣٨٤٤	بنى سويف ...	١٥٠	٣٧٤٢
القنال	٤٢	٣٨٥٢	المنيا	٢٣٧	٣٩١٧
دمياط	١٠	٤٠٤٨	الجيزة	١٢٥	٥٣٤٢
اسكندرية ...	١٤٠	٤٨٧٢	الغربية	٣٣٨	٥٨١٠
الجيزة	١٣١	٥٠٩٧	اسكندرية ...	١١٢	٦٠٩٠
الغربية	٣٨٢	٥١٤٠	القنال	٢٦	٦٢٢٣
السويس... ...	٩	٥٥١٨	الشرقية	١٤٦	٧٦٦٨
قنا...	١٥٣	٦٦٤٥	المنوفية	١٤٥	٧٩٨٢
المنوفية	١٧١	٦٧٦٨	السويس... ...	٦	٨٢٧٨
الشرقية	١٥٦	٧١٧٦	قنا...	١١٢	٩٠٧٨
البحيرة	١٣٠	٨١٦٠	البحيرة	١١١	٩٥٥٧
مصر...	١٥٩	٨٤٦٩	مصر...	١٣٩	٩٦٨٩
الدقهلية	١٢٨	٩٤٩٥	الدقهلية	٩٧	١٢٥٣٣
أسوان	٩	٣٣٩١٠	أسوان	١٧	١٧٩٥٣

والمقابلة بين أسوان وسائر المديريات يجب أن تلفت النظر حتى على الرغم من أن هـذه الجنايات قد زادت الى الضعف من سنة ١٩٣٨ الى سنة ١٩٣٩

* * *

ويبدو من الجـدول الذى بينت فيه أسباب جنايات القتل العمد أو الشروع فيـه أن للضغائن العائلية والأخذ بالثأر المكان الأول ، ومن الجدول التالى يتضح أن أسباب جرائم الحريق العمد تعود فى الأكثر أيضا الى الضغائن العائلية والأخذ بالثأر :

بيـان الأسباب		سـنة ١٩٣٧	سـنة ١٩٣٨	سـنة ١٩٣٩
للانتقام	بسبب الأخذ بالثأر	٣٠	٢٤	٦٠
	« ضغائن عائلية	٣٥٦	٣١٨	٣٠٤
	« نفقة شرعية...	٤	٧	٥
	« دفع العار	—	١	—
	« ضيق مالى	١	٤	٥
	« نزاع على عمدية	٤	٧	٧
	« « وظائف أخرى	٨	١٥	١٠
منازعات	« « الرى...	١	٤	٨
	« التعدى على حدود	١	١	—
	« قسمة محصول	١	١	—
	« نزول مواشى فى الزراعة	١	٢	—
	« عرض...	—	٣	١
نزاع لأسباب أخرى		٢٩٢	٣٩٢	٣٥٨
بسبب السرقات		٤	١٠	١١
الجملة		٧٠٣	٧٨٩	٧٦٩

التحالف الثلاثي

بين الفقر والجهل والمرض

الفقر والمرض والجهل شركة تظل قوية ما دامت متضامنة. لكنها لا تلبث أن تضعف وتتبدد إذا زال أحد أركانها الثلاثة ، لأن معالجة الفقر تعين على معالجة الجهل، كما أن مكافحة المرض تؤدى غالبا الى تخفيف وطأة الفقر .

ومع أن لهذه النكبات الثلاث نصيبا كبيرا فى الشقاء الإنسانى ، فإن أكبرها هو الفقر . ذلك أن مجتمعنا اقتصادى فى أساسه وأقيسته وسائر اعتباراته. فالفقير يعجز عن شراء الأطعمة التى تقوم عليها صحته وصحة عائلته . وقد أثبت الدكتور على حسن أن مسألة التغذية فى مصر هى قبل كل شىء مسألة اقتصادية . لأن الفقراء يعجزون عن شراء حاجاتهم من الأطعمة . وعندنا فى مصر أمراض — مثل البلاجرا — هى نتيجة النقص الغذائى. إذ أن المريض يعجزه فقره عن شراء الغذاء الكامل، وعن الإقامة فى مسكن صحى، أو عن العناية الصحية بالمسكن. وقل مثل هذا فى حرمانه من الملابس المدفئة وفى عجزه عن شراء الدواء .

فالأمراض تعود — الى حد كبير — الى الفقر . سواء أكان هذا لقلة الأغذية أم لقلة النظافة . فان حمى التيفوس مثلا تنتقل الى الانسان عن طريق القمل . وهى لذلك تتفشى فى البيئات الفقيرة حيث يقل الاستحمام وغسل الملابس . وقد انقرضت هذه الحمى من الأقطار المتمدنة حيث تستطيع العائلات شراء الصابون وتبديل الملابس . ولما كان قوام التغذية هو المواد البروتينية الحيوانية فان الفقر يؤدى الى حرمان الفقراء من هذه المواد التى هى أغلى الأغذية ثمنا . وهذا العجز عن شراء المواد البروتينية كاللبن واللحم والجبن يحدث ضعفا فى الأجسام يجعلها عرضة لأمراض التدرن والبلاجرا وغيرهما .

والفقر هو أيضا أعظم الأسباب لتفشى الجهل . لأن التعليم — مدة المدرسة و بعد المدرسة — يحتاج إلى تكاليف أقلها أنه يجب على الوالد أن يقوت إبنه أو بنته دون أن يغريه الفقر باستخدامهما والتكسب بمجهودهما . ونحن نرى أن كثيرا من الآباء يستخدمون أولادهم من الجنسين فى البيوت والمصانع و يتهربون من المدرسة الإلزامية لكى يربحوا آخر الشهر ٢٠ أو ٣٠ قرشا هى أجرة الصبى أو البنت لخدمتهما فى البيت. ولكن الجهل لا تقشعه ثلاث سنوات أو أربع فى مدرسة إلزامية و إنما يحتاج إلى مواصلة الاطلاع بالكتاب والصحيفة وسائر الوسائل للتثقيف . والفقير يعجز عن شراء هذه الوسائل وهو لذلك ينسى ما تعلمه فى صباه .

فمن هـذا الذى ذكرنا . مدرك أن الفقر يؤدى إلى المرض و إلى الجهل . ولكن كذلك المرض يؤدى إلى الفقر والجهل . وكذلك الجهل يؤدى إلى الفقر والمرض . فهنا تضامن وتداخل . ولكن الفقر هو العامل الأكبر للشقاء .

فان أعظم ما يصاب به العامل الكاسب هو المرض الذى يعوقه عن أداء عمله ويحرمه من كسبه . وقد كان المرض أعظم الأسباب للتعطل بين العمال قبل ثلاثين سـنة إذ كان فى رأس القائمة . وأكبر الظن أنه ليس كذلك الآن لأن التطور الصناعى من حيث الاتجاه المتزايد نحو الآلة قد أوجد أسبابا أخرى خطيرة للتعطل . على أننا فى مصر نستطيع أن نقرر مع اليقين أن المرض هو أعظم الأسباب للتعطل . لأن الآلات لم تتفش بيننا الى الحد الذى يجعلنا نعزو اليها السبب الأكبر لتعطل العمال. والعامل المتعطل هو العامل الفقير . وهو أيضا الجاهل الذى يعجز عن تعليم نفسه أو أولاده و يكاد يكون جميع المتكففين فى بلادنا مرضى أو هم يدعون المرض لأنه عندهم السبب " الرسمى " للتكفف .

وكذلك الجهل يؤدى إلى الفقر والى المرض . فان المعرفة قوة . والعامل المـاهر الذى تعلم يمتاز على العامل الجاهل . الأول هو " العامل " الذى يحترف حرفة معينة . والثانى هو " الفاعل " الذى يتسكع فى الحرف و يلبى أى طلب رخيص . ثم هذا الجهل نفسه نرى أثره السيىء بل القاتل فى الأمهات من الطبقات الدنيا . فان وفيات الأطفال هنا ليس لهـا نظير حتى فى الهند . ومرجع ذلك إلى الجهل والفقر معا . وعندنا أمهات يمضغن الطعام ثم يخرجنه من أفواههن و يطعمن به الطفل . وعندنا أمهات يتركن الذباب حول الطفل ينقـل اليه الرمد والنزلات المعوية . . وقد تفشى بيننا العمى باعظم مما تفشى فى الهند أيضا لهذا السبب. وصحيح أن الفقر يؤدى إلى قـلة النظافة فى البيت وإلى كثرة الحشرات والذباب ولكن فى كثير من الحالات نجد عادات متوارثة تؤدى إلى تفشى القذارة التى يغشاها الذباب وسائر الحشرات .

فنحن هنا أزاء " حلقة مفرغة " من الفقر والمرض والجهل . وكل من هـذه النكبات تؤدى إلى الأخريين . ولا يمكن أن نحمل على واحدة منها إلا إذا حملنا على الثـانية والثالثة . وصحيح — كما قلنا — أن الفقر هو الأساس . لأننا نلاحظ أن الثرى الجاهل يعـلم أولاده إذا لم يستطع تعليم نفسه . ولكن الجاهل يعجز عن ذلك. وكذلك الثرى يعالج نفسه أو يعالج أعضاء عائلته إذا مرضوا . ولكن الفقير يعجز عن ذلك .

متفرقات اجتماعية

طعام الغذاء للتلاميذ :

يعطى التلاميذ فى بعض المدارس الحكومية والأهلية عندنا غذاء يحتوى اللحم والخضراوات والرز والفواكه . وهذا الطعام يكلف الوزارة كثيرا حتى أنها لا تعممه فى جميع مدارسها . ثم ليس هو بالغذاء الأمثل لأنه ثقيل يبعث الكسل والخمول بين التلاميذ فى حين يطلب منهم النشاط للدرس . وفى أوربا وأمريكا لا يتناول التلميذ فى غدائه سوى القليل من الطعام وهو واقف إلى بوفيه . وهو فى العادة طعام بارد لا يزيد ثمنه على بضعة مليمات . والتلميذ الأوربى أو الأمريكى يتناوله فى خفة ويعود إلى لعبه ونشاطه ثم الى فرقته فيبقى ذهنه متنبها للدرس . فاذا ترك المدرسة ووصل الى البيت وجد ما يتبلغ به الى وقت العشاء .

وتحسن الوزارة إذا هى جعلت الغذاء خفيفا للتلاميذ . بل يمكنها أن تجعل اللبن الزبادى أساس هذه الوجبة مع أوقية أو أوقيتين من الخبز الأسمر . فان مصلحة الصحة قد أثبتت أن هـذا اللبن يخلو تماما من الميـكروبات . كما أن أطباء التغذية فى قصر العينى قد أثبتوا من ناحية أخرى نقص اللبن فى غذاء الفقراء وضرورته .

الضغط العالى :

من الأمراض التى فشت فى العالم المتمدن كثيرا هذه الأيام مرض الضغط العالى للدم، وهذا المرض يرجع الى أسباب نفسية كما يرجع الى أسباب جسمية . فإن تراكم الهموم المالية — وفى هـذه الأيام الهموم الحربية — يجعل الانسان قلقا يستطيره كل خبر ويزعجه أتفه الحوادث . وينشأ عن ذلك خفقان القلب واضطرابه فيزداد الضغط . أى أن الدم يندفع بقوة وكثرة الى الشرايين فتنتفخ .

وكذلك الأسباب الجسمية تؤدى الى زيادة الضغط . فإن الطعام الوافر الدسم يملأ الجسم حرارة أكثر مما يحتمل وخاصة إذا كان قد جاوز الأربعين أو الخمسين من العمر وتستحيل هذه الزيادة الى شحم يحمله الجسم كأنه عبء ثقيل على القلب فيزداد الضغط للشرايين . وهذه بعد سنوات من الانتفخ تتكلس جدرانها وتستحيل مرونتها السابقة فتصف ينكسر . وخاصة فى الشرايين الدقيقة التى فى الدماغ فتكون الوفاة أو الشلل .

ولكى نتفادى من الضغط العالى للدم يجب أن نعالج النفس والجسم معا . الأولى بالقناعة والطمأنينة والرضى والثانى بالإقلال من الأطعمة الدسمة وتجنب البدانة .

قيمة الإعلان :

فى الولايات المتحدة شركة لصناعة الأحذية ، وهى تزعم أنها تصنع أحذية صحية تحافظ على قوس القدم ولا تضغطها . وقد احتاجت الى كلمة تصح أن تكون شعارا و إعلانا دائما لهذه الأحذية وقدمت مئتى جنيه مكافأة ومباراة لمن يخترع أحسن جملة تؤدى هذا المعنى . فنالت الجملة التالية هذه المكافأة

Wright Arch Preserver shoes give you more miealge, more styleage and more smileage.

وترجمتها : أحذية رايط التى تحفظ قوس القدم تزيدك مسافة وتزيدك شياكة وتزيدك ابتسامة .

ولكن التأليف الانجليزى يحدث إيقاعا لا يمكن نقله الى القارئ فى العربية .

وللاعلانات قيمة كبيرة عند الشركات وهى تخصها بأحسن الموظفين من أساتذة الجامعات الذين يزنون نفسية الجمهور وتمنحهم أعلى المرتبات . ومحررو الاعلانات فى الصحف أو فى محطات الإذاعة ينالون من الأجور العالية ما يزيد على ما يناله كثير من محررى الأخبار أو المقالات السياسية أو الأدبية .

برامج جديدة للدراسة :

الأمريكيون أكثر الأمم عناية بالتعليم ، وهم ينشئون المدارس والجامعات ويعلمون من المواد والموضوعات ما لا يخطر ببال الأمم الأخرى . وقد ألفت لجنة قوامها عشرة من رجال التربية يرأسهم المستر "بن جراهام" ودرست برامج التعليم فى المدارس الثانوية والمدارس العالية (غير كليات الجامعات) ونصحت بأن تجعل هذه المدارس غايتها من التعليم المواد التالية :

(١) أن يحسن الشاب القراءة .
(٢) أن يدرس الواجبات والحقوق الوطنية .
(٣) أن يعرف العوامل التى تجعل الزواج سعيدا .
(٤) أن يدرس وسائل الوقاية الصحية .
(٥) أن يعرف الطرق التى تحل بها المشكلات الشخصية والعائلية .
(٦) أن يحذق عملا للتكسب ويتمرن عليه .
(٧) أن يحذق أى عمل يدوى للتكسب أو للهواية .
(٨) أن تقوم المدرسة بمشروع ما يراد منه خدمة عامة صحية أو اجتماعية .
(٩) أن تتعاون المدارس مع المصانع والمكاتب والمزارع حتى يقضى التلميذ بعض يومه بالمدرسة وبعضها فى العمل للمرانة .

أثاث الذهن :

بعض الناس بل نكاد نقول جميع الناس يعنون أكبر العناية بتأثيث منازلهم أكثر مما يعنون بتأثيث أذهانهم. فهم يقتنون الأثاث العصرى الفاخر ويتغالون فى شراء قطعه ويزينون غرفهم بهذه الزهرية الأنيقة أو تلك الثريا من المصابيح تتلألأ فى بهو رحب أو غير ذلك مما تنفق عليه المئات من الجنيهات .

ولكن منهم أيضا كثيرين يهملون تأثيث أذهانهم بالأثاث العصرى الذى يستطيعون أن يتفهموا به التطورات والانقلابات الاجتماعية التى يتأثر بها العالم أو التى تهتز بها أركانه . وهذا خطأ كبير . فانه يجب على كل منا أن يعنى بتأثيث ذهنه وأن ينفق بسخاء على اقتناء الكتب العصرية التى تعالج المشكلات الاقتصادية والاجتماعية . وعلى هذا الأساس يجب أن نعد الكتب من خير الأثاث نقتنى القديم منها للمعرفة والاطلاع والاستنارة ونقتنى الجديد للوقوف على التطورات الحديثة .

والجريدة التى نقرؤها كل يوم تزودنا بالأخبار العالمية . ولكن هذه الأخبار تفقد مغزاها إذا لم تكن وراءها كتب تبين وتشرح العوامل المختفية التى عملت فى تكوين هذه الأخبار . ومن سوء الحظ أن الكتب التى تعالج المشكلات العصرية فى اللغة العربية قليلة . ولكنها مع قلتها تنير وتعلم . وهى لو وجدت إقبالا لكان فى هذا الإقبال ما يشجع المؤلفين على وضع غيرها .

عبقرية الإرادة :

عندما نرى شخصا ناجحا نسارع إلى تعليل نجاحه بالذكاء أو بعبقرية الذهن . ولكنا بعد أن نألف حديثه أو معاملته نتعجب من قلة ذكائه ونعود فنتساءل عن الأسباب التى حملته على تيار النجاح إلى القمة التى بلغها .

ولكنا عند ما نتأمل سلوكه ونفحص عن أخلاقه نجد السر الخفى الذى حقق له هذا النجاح . وهذا السر هو انه يمتاز بعبقرية الإرادة التى لا تقل قيمة عن عبقرية الذكاء ان لم تزد. فان الاكباب على الدرس مع الإرادة الحديدية التى تعين الهدف ولا تنكص عنه تؤدى مع الذكاء المتوسط إلى نتائج تفوق تلك النتائج التى يؤدى اليها الذكاء الفائق مع ضعف الإرادة . والتاجر الذى يقضى السنوات وهو يضع نصب عينيه غاية " يريد " الوصول اليها دون أن يحرف عنها يمنة أو يسرة لابد بالغ هذه الغاية التى يتخلف عنها الذكى بل العبقرى الذى لا يجد دافعا قويا من الإرادة .

وهذا هو السبب فى الإكبار من قيمة الرغبة والاهتمام فى أى عمل نمارسه سواء أكان دراسة أم تجارة أم صناعة . فان الإرادة تنبعث من الرغبة والاهتمام وهى تنتق الذهن وتوفر الوقت للاكباب والاتقان . وكثير من المتوسطين فى ذكائهم يبلغون القمة لقوة إرادتهم .

ثروة الولايات المتحدة :

انتخب المستر روزفيلت للمرة الثالثة رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية وهو أول رئيس ينتخب للمرة الثالثة منذ إنشاء الجمهورية الأمريكية . وقد برز انتخابه بتوتر الحال السياسية فى العالم من جهة وبارتياح جمهور الفقراء والعمال الى مشروعاته الداخلية التى عممت الرفاهية وكادت تمحو التعطل وخوف هذا الجمهور من أن يتولى رئيس آخر يلغى هذه المشروعات او يحد من قوتها .

والولايات المتحدة هى أعظم أقطار العالم ثراء، فإن مخزون الذهب فيها يبلغ ١٩ ألف مليون دولار أى نحو أربعة آلاف مليون جنيه انجليزى، ويبلغ مدخر الجمهور فى البنوك ٢٥ ألف مليون دولار، وسكان الولايات المتحدة يبلغون ١٣٠ مليونا منهم ٦٤ مليونا قد أمنوا حياتهم بمبالغ يبلغ مجموعها ١١٠ ألف مليون دولار، ويملك الأمريكيون ٢٩ مليون أتومو بيل أى بمتوسط أتومو بيل واحد لكل ٤,٣ من السكان فى حين أن المتوسط فى سائر أقطار العالم يبلغ أتومبيلا واحدا لكل ١٤٢ من السكان . وبالولايات المتحدة ٧٦٤ محطة للاذاعة وبها ٤٠ مليون جهاز للاستقبال وبها نحو ٢٠ مليون تليفون أى نصف عدد التليفونات التى فى العالم كله . كما أن بها أكثر من ٦٠٠٠ مكتبة عامة يقرأ فيها الجمهور كما يستعير منها بالمجان تبلغ مجلداتها ١٠٦ ملايين مجلد وبها ٢٤٢ ألف بناء مدرسى و ١٢٥٠ كلية و ٢٩١ مدرسة للعلمين .

من هو الشاب الراقى :

يقول الدكتور ديوى إن الرقى فى الإنسان ليس حالة ثابتة . لأننا إذا سلمنا بذلك فكأننا نسلم بأن للرقى نهاية لا يتجاوز ما وراءها . وليس هذا صحيحا . لأن الناس فى تطورهم يجب أن يسيروا متدرجين من الحسن إلى الأحسن . ولذلك يمكن أن نعرف الشاب الراقى بأنه ذلك الذى لا ينقطع عن النمو . ينمو فى الأخلاق بالصلاح والإصلاح . وينمو فى الثقافة بالاطلاع والاستنارة . وينمو فى المجتمع بزيادة الروابط الاجتماعية بالألفة والبر . وعندئذ نستطيع أن نقول إن الشاب الذى لا يرقى هو ذلك الذى ينقطع عن إصلاح نفسه ومجتمعه مهما يكن المركز المتقدم الذى ناله بمجهودات سابقة .

وكذلك الشأن فى المجتمع الراقى . فانه المجتمع الذى لا يسكن ولا يستقر على حال يرضى بها كأنه ليس وراءها مكان للإصلاح والاستزادة من الرقى . لأن هذا المجتمع مهما يكن قد بلغ من درجات عالية فى الرقى يعد جامدا متى كف عن النمو وارتضى حاله معتقدا أنه ليس بعدها غاية .

الرقى هو النمو سواء فى الفرد أو فى المجتمع . والمجتمع الراقى مثل الفرد الراقى هو المجتمع الذى ينمو .

مدرسة للأذكياء :

وجدت المسز ستافورد برانون أن ناقصى الذكاء من التلاميذ فى مدينة ديترويت بالولايات المتحدة يكلف كل منهم المدرسة التى يتعلم فيها ٢٨٧ دولارا فى السنة فى حين أن الأذكياء لا يكلف أحدهم المدرسة سوى ٥٨ دولارا فى السنة . فعمدت إلى إنشاء مدرسة للأذكياء هى مدرسة شيروود . وجمعت فيها الأطفال من سن سنتين إلى ١٣ سنة وبدأت بخمسين طفلا . وهى تعلمهم المواد المألوفة فى المدارس الابتدائية تضاف اليها الموسيقا والسباحة والرسم الملون . وهذا إلى اللغة الفرنسية . وهى تهيئ لهم مائدة فرنسية الألوان وتحتم على الأطفال الحديث باللغة الفرنسية على المائدة مرتين كل أسبوع .

وبين الأطفال نظام للحكم الذاتى من حيث إنهم يعقدون محكمة لمحاكمة المخالفين. وطريقة التعليم تسير على مبادئ المدارس " الناهضة " من حيث إن التلميذ يجب أن يبحث بنفسه عن التفاصيل للموضوع الذى يدرس . أى أنه لا يلقن المعارف .

والذكاء العادى يعبر عنه برقم ١٠٠ ، ومتوسط الذكاء بين هؤلاء التلاميذ كما وجدته المسز ستافورد برانون يبلغ ١٢٨ ، وقد وجدت طفلا فى الثامنة بلغ متوسط ذكائه ٢٢٠ وهى تقول إنه ألف كتابا عن طرق النقل وزوده بالرسوم .

تفاوت الرفاهية بين الأمم :

من الكتب التى لفتت النظر عند الاقتصاديين والاجتماعيين سواء ، كتاب وضعه المسز " كولين كلارك " بعنوان " أحوال الرق الاقتصادى " قابل فيه بين دخل كل أمة والرفاهية العامة بين السكان من حيث كسب الفرد وأثمان الحاجات التى يشتريها . وقد وضع لذلك وحدة عامة تنطبق على جميع الأمم . ووجد بعد ذلك أن مستوى المعيشة يمكن تعيينه بهذه الأرقام التالية :

الولايات المتحدة الأمريكية	١٣٨١
بريطانيا العظمى	١٠٦٩
فرنسا	٦٨٤
ألمانيا	٦٤٦
اليابان	٣٥٣
إيطاليا	٣٤٣
الاتحاد السوفيتى	٣٢٠

اختبارات الذكاء :

كان الذكاء معدودا عند المعلمين والسيكلوجيين الى هذا العام تقريبا بأنه مقدار معين أو تراث مقرر لا يمكن أن يؤثر فيه الوسط بالزيادة أو النقص . فالصبي الذكى الذى لم يتعلم والذى عاش فى بيئة ريفية قليلة المنبهات الذهنية سيبقى ذكيا ممتازا على صبي ولد وهو دونه فى الذكاء ولكنه تعلم وتثقف وعاش فى بيئة راقية منبهة للذهن .

وقد عم الإيمان بهذا المذهب الجبرى للذكاء . ولكن بعض السيكلوجيين الأمريكيين تحدوا هذا المذهب وعمدوا الى تجارب مختلفة خرجوا منها بنتيجة مناقضة هى أن الذكاء يزداد بالبيئة الحسنة الراقية . بل لقد زعم ولمان أن طفلا بانتقاله من بيئة مدرسية منحطة الى بيئة أخرى راقية قد زاد ذكاءه بمقدار ٥٥ كما أن غيره قد زاد ٢٠

ولا يمكن التسليم التام بهذه التجارب الجديدة . ولكن يبدو لنا أن الهمة ستبذل فى القيام بتجارب مختلفة للوصول الى نتيجة يمكن الثقة بها . وعلى كل حال يجب أن نشك من الآن فى قيمة اختبارات الذكاء .

شيخ فى السبعين :

لما بلغ الأستاذ فيرميس السبعين من عمره فى عام ١٩٣٠ قرر أن يستقيل من جامعة نيويورك . ولكنه لم يستقل من الحياة النافعة فانه استبق لنشاطه وظيفتين لا ترهقانه كلتاهما تتعلق بالتربية ووضع لنفسه هذا البرنامج :

(١) اتخذ النظرة الفكاهية للاشياء .
(٢) وجه بعض نشاطك الى الاتصالات الخارجية .
(٣) إقرأ الكتب الحسنة .
(٤) أكتب شيئا كل يوم .
(٥) تأنق فى الطعام وتذوق ألوانه .
(٦) زد عنايتك بالملابس .
(٧) لا تنقطع عن الاتصال بالألعاب الرياضية
(٨) اعتدل فى مطامعك .
(٩) عالج بعض الأعمال اليدوية .
(١٠) لا تنقطع عن الاهتمام بالسياسة .
(١١) اقص عن الحركات الاقتصادية .
(١٢) واظب على حضور الصلاة بالكنائس .

فى التربية الوطنية

ألقى المستر فيليب د . ريد مدير شركة جنرال اليكتريك فى الولايات المتحدة خطبة قال فيها :

لو أنه طلب إلىّ أن أعين بالإيجاز النقاط التى تتلخص فيها التربية الوطنية فى الولايات المتحدة لاقتصرت على هذه النقاط السبع التالية :

(١) تفهم واحترم وصُنْ دستور الولايات المتحدة .

(٢) راقب انفصال الهيئات الثلاث التشريعية والقضائية والتنفيذية بعضها عن بعض وحافظ عليه .

(٣) تذكر أن الحكومة هى للشعب وأنها بطبيعتها قليلة الكفاءة فيجب أن تحدّ نشاطها على الأعمال التى يمكن الحكومة وحدها أن تقوم بها .

(٤) اسهر على حرية الخطابة وحرية العبادة وحرية العمل .

(٥) ارع نظام المزاحمة الحرة وهو النظام الذى جعل الولايات المتحدة عظيمة .

(٦) الزم الادخار والاقتصاد وتجنب الدين .

(٧) حافظ على كلمتك واحترم حقوق الغير .

الأبدال الصناعية :

أعظم ما تمتاز به الحرب القائمة كثرة استعمال الابدال الصناعية أى المركبات الكيماوية بدلا من المركبات الطبيعية ، ويمكن أن نذكر بعض هذه الابدال فيما يلى :

(١) الريون ، وهو قماش كيماوى مصنوع من ألياف الخشب المطبوخة بدلا من أقمشة القطن والكتان والحرير .

(٢) النيلون ، وهو قماش كيماوى آخر يصنع من الماء والفحم والتراب (وأصحابه بالطبع لا يبوحون بسرّ صناعته) وهو يستعمل بدلا من الحرير الطبيعى ، كما أنه أمتن منه وأغلى ثمنا .

(٣) الانيتال ، وهو قماش مصنوع من اللبن بدلا من الصوف الطبيعى .

(٤) البونا ، وهو كوتشوك مستخرج من الفحم بدلا من الكاوتشوك الطبيعى المستخرج من لبّ النبات .

(٥) السكر المصنوع من الخشب بدلا من سكر القصب وسكر البنجر .

(٦) البترول المستخرج من الفحم بدلا من البترول الطبيعى. وهذه المصنوعات قد عنى الكيماويون باستخراجها ترقبا للحصار الذى يضرب على الأقطار وقت الحرب ويمنع استيراد المواد الطبيعية من الأقطار النائية . وجميع هذه المصنوعات تجد التأييد العظيم من الحكومات وسوف يكون لها أثر اجتماعى واقتصادى عظيم .

أمارات البلادة :

كيف نعرف الطفل البليد ؟

يقول كورث لوين إن للبلادة فى الأطفال أمارات . منها أن الطفل لا يكون مرهف الملاح والتقاسيم ، وأنه لا يلائم بين موقفه وبين الظروف الطارئة . وأنه يجد فى المواقف الجديدة ويتعلق بعاداته القديمة . وأنه ينشد أخف الواجبات . وهو يخاف كثيرا كما أن ذهنه يشطح ، وهو قليل التحصيل للمعارف لا يعالج منها غير المحسوس كما أن اتزانه العاطفى ناقص .

ويقول ستودارد وويلمان إن من علامات النقص الذهنى أن الطفل يتأخر نموه فى الوقوف والمشى والكلام . كما أنه لا يحسن تعلم الألعاب الطفلية . وهو يكره الأشياء التى يحبها الأطفال فى سنه . ويتضح تأخره فى اللغة . فإن مفرداته قليلة وجمله قصيرة ، وهو يتأخر فى تعلم القراءة ولا ينتفع من الاختبارات ، كما أنه يعجز عن تجنب المتاعب . وهو يتخلف فى دروسه حتى حين يرصد كثيرا من وقته للدرس .

النجابة فى الصبيان :

للنجابة فى الصبيان أمارات عامة لعل أعمها المقدرة على التعاون مع الرفقاء . فإن الصبى النجيب يعيش فى وفاق مع من يحيطون به ، ولا يلجأ إلى الخصومة إلا فى حالات قصوى . ثم هو مستقيم لا يعمد إلى المكر السيئ . وهذا لسعة حيلته ، لأن الطرق المعوجة لا يلجأ اليها أحد إلا وقت العجز والضيق . فالذكى لا يعجز ولا يضيق بالوسائل القويمة . ثم إن أمارات الذكاء ضبط النفس أى التمالك وكراهة العنف فى اللسان أو اليد .

ولذلك يمكن أن نقرر أن هناك علاقة بين الأخلاق والذكاء . فالذكى يمتاز بالأخلاق الحسنة . وهو أقدر على التعاون ممن هم دونه فى الذكاء . وكلمة " التعاون " هنا تعنى أشياء كثيرة . منها الاندماج فى المجتمع وكراهة الشذوذ ، ومنها الاشتراك فى النشاط المدرسى أو المصلحى أو الاجتماعى . ومنها الائتلاف فى الوسط العائلى والإحجام عن الجريمة .

وقد وجد أن المجرمين على وجه عام ينقصهم الذكاء . وإن كان هذا النقص ليس عظيما .